# بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا

تأليف

د. محمد سالم المقيد الو رفلي

مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية

# بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا

تأليف

د. محمد سالم المقيد الو رفلي

مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية

موقع تاوالت الثقافي

www.tawalt.com

# تـــقـــــــــــــديم

إنهـــا لحقيقة متفق عليها، ان ليبيا لم تنل إلا قليلا من الدراســـات في مجال الفنون والآثار الإســـلامية، فلقـــد كان الاهتمام منصبا على المخلفات الإغريقيـــة الرومانية. ويمكن ان يقـــال أيضا ان حقبة ما قبـــل التاريخ قد حازت على قدر كبير مـــن الاهتمام مقارنة بالآثار الإســـلامية، التي لم يكتب لها حتى رصد وتســـجيل معالمها. ولم يفتح هذا الباب إلا في أواخر الســـتينات من القرن العشرين. وعلى الرغم من ذلك فلا زالت المعالم والموقع الإســـلامية الأثرية بحاجة ماسة إلى الدراسات الجادة والعناية العلمية. والهدف هو إلقاء مزيد من الضوء على حقب تاريخية ومفصلية في تاريخ هذا البلد.

ان منطقة جبل نفوسة تتصف ضمن المناطق التي عانت من الإهمال في هذا المجال لفترة طويلة من الزمن. ولذا كانت هذه الدراسة، برغم مـــا اكتنفنا من صعوبات، محاولة لإزالة بعض الغبار عن صفحات من التاريخ والمعالم الأثرية. ومن جهة أخرى محاولة لتمهيد الســـبيل أمام أولئك الذين يودون الذهاب إلى ابعد من هذا الهدف. وذلك بالسعي لانجاز دراسات أكثر تفصيلا وعمقا. وعلى العموم فهذه الدراسة ربما تنجح في الإشـــارة إلى مواقع ومعالم إسلامية، يجب ان تحظى بالأولوية عندما يتقرر إجراء الحفريات الأثرية في هذه المنطقة.

ولعل الإشكالية الأساســـية التي يواجهها الباحث في الدراسات الأثرية. هي الرؤيـــة التاريخية المتزنة. وفي منطقتنا هذه لم تكن بالقدر الكافي. وإذا كان من أهداف هذه الدراســـة العمل على تأطير رؤية

تاريخية موضوعية للمنطقة، عبر القرون الإســـلامية الأولى. ولقد تم توظيف المقارنة والقياس من اجل رسم الخطوط العريضة لهذا التصور. وهذا ما دعت إليه الضرورة العلمية، وصولا إلى تسليط الضوء على أقدم المعالم الإسلامية بجبل نفوسة.

**محمد سالم المقيد الورفلي**





# مختصرات لبعض المراجع

## مختصرات

| | |
|---|---|
| العبر | ابن خلدون. |
| | كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. |
| الكامل | ابن الأثير. |
| | كتاب الكامل في التاريخ . |
| المغرب | البكرى. |
| | المسالك والممالك |
| | المغرب في ذكرى بلاد افريقية والمغرب. |
| البيان | ابن عذارى. |
| | كتاب البيان المغرب في ذكرى الأندلس والمغرب |
| السير | الشماخي/ كتاب السير. |
| الفتح العربي | طاهر الزاوي/ الفتح العربي لليبيا. |
| فتوح | ابن عبد الحكم. |
| | فتوح أفريقيا والأندلس. |
| معجم | طاهر الزاوي/ معجم البلدان الليبية. |
| مواكب | علي معمر/ الإباضية في موكب التاريخ. |

رحلة التيجاني/ رحلة التيجاني.

**Ars Orientalis A.O**

**Abu Zakaria / Chronique Chronique**

**D'Abou Zakaria**

**Stranford Research Institute S.R.I**





# المقدمة

على الرغم من توفر بعض المعلومات التاريخية وغيرها عن منطقة جبل نفوسة، من قبل عدد من المؤرخين والجغرافيين القدماء، إلا ان الجوانب الأثرية والفنية لم تكن محط اهتمام لديهم، والكتاب المعاصرون الذين اقتبسوا ما كتبه القدماء، أهملوا بدورهم هذا الجانب. وربما يعود هذا إلى العديد من الأسباب، ولعل من أهمها، صعوبة التنقل بالمنطقة، وصولا إلى المواقع الأثرية الإسلامية، وكذلك قلة أهل التخصص المهتمين بخوض هذه المخاطرة مع وجود الأسهل دراسة، والأكثر قربا من الطرق الممهدة والعمران.

ان مادة هذا البحث التي تشملها الدراسة والمناقشة، هي ثمرة مجهود ميداني، تحقق بفعل الرحلات المتكررة لمنطقة الجبل. كما هي أيضا جهد ونتيجة عون الجنود المجهولين. ويجدر القول بان اغلب المباني الأثرية، التي تضمنها البحث. لم تكن في أعين أهل الجبل عمائر تاريخية وحسب، بل أمكنة تحظى منهم بالتقدير والاحترام، ويعود أصل هذا الأمر إلى الصلة التي تربطها بأهم الشخصيات العلمية بالمنطقة في القرون للإسلامية الأولى.

ولا يفوتني هنا ان أسجل عرفاني بالفضل للدكتور (جيزا فيهرفاري)، أستاذ الآثار والفنون الإسلامية بجامعة لندن، الذي كان منذ البداية محرضا لي للخوض في غمار هذا الموضوع، والذي تم فيما بعد تحت إشرافه كتابة هذه الأطروحة، كما ان الشكر موصول إلى مصلحة الآثار. ويشمل هذا أولئك النفر الذين رافقوني في العديد من الرحلات، وأنجزوا كل ما كلفوا به متحلين بدرجة عالية من البذل والإخلاص. ان شكري موجه أيضا إلى الأستاذ (سيجال)، الذي قام

بترجمة النصوص العبرية وكذلك إلى الزملاء الذين ساهموا بقدر كبير في إثارة الانتباه إلى العديد من النقاط الهامة ولا أنسى ان أسجل تقديري للأساتذة: الدكتورة سعاد ماهر، عميدة كلية الفنون والآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، الدكتور طه باقر أستاذ الفنون الإسلامية، جامعة بغداد، والدكتور ديفيد وايت هاروس، الأستاذ والباحث في مجال الفنون والآثار الإسلامية. وذلك لما اكتسبه منهم من معلومات في هذا الميدان. وكذلك لما قدموه من توصيات تخصني إلى جامعة لندن. والفضل أولا وأخيرا لمن يسر جميع الأسباب.





# الفصل الأول

# الأرض والتاريخ

# الأرض والتاريخ

ليبيا، أو الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، وهو الاسم الرسمي للدولة القائمة بالشمال الإفريقي، وتمتد أراضيها فيما بين جمهورية مصر العربية شرقا، والجمهوريتين التونسية والجزائرية غربا. وتقع ليبيا على جزء من الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، بين خطي الطول 9 ، 29 درجة شرقا، وخطي العرض 19، 33 شمالا. ويحدها من الجنوب النيجر وتشاد، ومن الركن الجنوبي الشرقي السودان. وتبلغ المساحة التقريبية للأراضي الليبية الشاسعة 1,754,000 كم$^2$ (677,378) ميل مربع، وهذا يعني ان مساحتها تعادل مساحة الجزر البريطانية ثماني مرات، كما إنها تزيد على مساحة فرنسا، ايطاليا، اسبانيا وألمانيا الغربية مجتمعة.[1]

ولا يوجد ما يعرف علميا بالجبال على هذه الرقعة، وذلك ان سلسلة جبال أطلس تمت من بلاد المغرب إلى الشرق، متدرجة في انخفاضها، لينتهي ظهورها بنهاية جبال مطامطة في الأراضي التونسية. وثمة–على أية حال– تلال مرتفعة بليبيا يطلق عليها مجازا اسم الجبال. ويشمل هذا منطقة جبل نفوسة، أو الجبل الغربي.[2]

ينقسم جبل اطرابلس (الجبل الغربي) إلى أربعة أقسام، وتعرف بجبل نالوت، جبل غريان، جبل يفرن، وجبل نفوسة. ويمتد القسم الأخير من الحدود التونسية إلى مسافة تبلغ حوالي 200 كم (124ميل) إلى الشرق منها.

---

1– Stanford Research Institute, Area handbook for Libya. Washington 1969. P 9

2– محمد المرابط، حقائق عن ليبيا، مالطا، 1964، ص 13.

و تطل واجهة جبل نفوسة شمالا على سهل الجفارة وتتخلل هذه الواجهة العديد من الأودية الصغيرة والشعاب، والتي تدفع بمياهها في موسم الأمطار إلى سهل الجفارة. وهذا السهل يتسع في بعض أنحائه ليبلغ حوالي 80 كم تقريبا، حيث يتصل بساحل المتوسط. وتقع الحمادة الحمراء، التي تمتد لمسافة تبلغ حوالي 80 كم. في الجهة الجنوبية من الجبل الغربي.[3]

و يمكن للمرء سلوك طريقتين للوصول إلى جبل نفوسة، الأول يتجه نحو الجنوب حتى مدينة غريان، التي تبعد حوالي 94 كم. عن مدينة اطرابلس، ثم يتجه غربا مخترقا بعض قرى جبل نفوسة. ويعرف هذا الطريق بالطريق العلوي. والطريق الثاني ويبلغ طوله حوالي 285 كم، يمتد باتجاه الجنوب الغربي، ليصل إلى مدينة نالوت في أقصى الغرب. ويتفرع عن هذا الطريق بعض السبل الصغيرة، التي تربط بعض مدن وقرى الجبل بالطريق الرئيسي، وهو ذات الطريق الذي يواصل امتداده جنوب نالوت، ولمسافة تقدير بحوالي 335 كم ليبلغ مدينة غدامس ذات الشهرة التاريخية والأثرية الواسعة.

و تبعد قرية (كاباو)، باتجاه الشرق، عن مدينة نالوت بمسافة تقدر بحوالي 87 كم، أما قرية فرسطة القديمة، التي تحتل مبانيها سفح احد الجبال، فتقع فيما بينهما، ويمتد وادي شروس من منطقة الحرابة إلى الجنوب الغربي من مدينة كاباو، ليلتقي في الشمال مع سهل الجفارة. وتتبع قرية شروس القديمة على هضبة صغيرة على الضفة الشرقية من الوادي. أما على الضفة الغربية فتظهر أطلال قرية تندميره. وتقع قرية ويغو القديمة على مسافة 7 كم إلى الجنوب الشرقي من شروس، حيث تنتشر بقايا أثارها على ارض منبسطة

3- نفس المصدر ص ، 11، S.R.I. Op-cit . P. 11





خلافا لما عليه القرى المشار إليها سابقا، وإلى الشرق منها بمسافة تقدر بحوالي 50 كم، وعلى الطريق العلوي توجد منطقة (الرحيبات). وإلى الشرقي منها، وعلى مسافة حوالي 36 كم. تظهر مدينة (جادو)، المطلة على سهل الجفارة. ويستمر امتداد الطريق وصولا إلى مدينة (يفرن)، ثم مدينة (غريان). وهي المدينة التي تعد ملتقى الطريق بالجبل الغربي .

لم ينل جبل نفوسة ذلك الاهتمام من قبل المؤرخين القدماء، ولعل أهم ما جاء بخصوصه من إشارات، وردت عن طريق ابن حوقل والبكري وكتاب الاستبصار .

يقول ابن حوقل، ان جبل نفوسة عبارة عن منطقة جبلية عالية، وتقع كل من مدينة شروس وجادو بوسط هذه المنطقة. وبكل منهما جامع ومنبر، كما يشير إلى ان سكان الجبل أباضيو المذهب، ولم يستقر بهذه المنطقة إلا الخوارج منذ فجر الإسلام.[4]

ويذكر البكري ان جبل نفوسة يقع على مسيرة ستة أيام من اطرابلس. وكانت به قبيلة تسمى (بني زمور). ولها حصن منيع. وإلى جوارها توجد قبيلة أخرى تدعى (بنو تندميرة) ولها ثلاثة حصون، وتقع مدينة جادو بين هذه القبائل، حيث توجد الأسواق، وجمع من اليهود. كما ان البكري أشار إلى ان شروس هي المعروفة بأم قرى جبل نفوسة، ويسكنها الأباضيون. وأضاف إلى هذا، انه لا يوجد جامع بمدينة شروس، ولا بالقرى التي تحيطها، والتي تبلغ ثلاثمائة قرية.[5]

4- ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة كرامرز، ليدن، 1938-9، ص 5-94.
5- البكري، المسالك والممالك، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، طبعة دو سلاين ( (de slaneالقاهرة1857 ،، ص 9.

## تمهيد تاريخي:

يتعرض ابن خلدون إلى ذكر البربر، ويسهب أكثر من غيره في الحديث عنهم، ويكفي ان نقتبس منه العبارة التالية، والتي تتضمن وتختزل الكثير : (وما تشهد أخباره كلها بأنه جيل عزيز على الأيام، وأنهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مظاهرون لأمم العالم وأجياله من العرب والفرس ويونان والروم).[6]

ربما لا نجانب الحقيقة عندما نقول ان معلوماتنا عن أصول الليبيين قليلة جدا، ولعل الدراسات التي أجريت في حقل ما قبل التاريخ، والأبحاث المتعلقة بعلم الإنسان قد ألقت القليل من الضوء على هذا الموضوع. والراجح حتى الآن ان أول ذكر لليبيين يرجع تاريخه إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، ولقد وثقت هذه الإشارة في نص مكتوب يعود تاريخه إلى العصور المصرية القديمة.[7]

تشير الدراسات على انه بحلول القرن العاشر قبل الميلاد، استوطن البلاد مجموعات من الناس عرفت بالليبيين، الذين عرفوا فيما بعد باسم البربر[8]، وعلى الرغم من تعرض الباحثين إلى تفصيل

6- ابن خلـــدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخـــبر، القاهرة، 1867، المجلد السادس، ص 103-4.

I.E.L. Haynes, Antiquities of Tripolitania, Kent , 1965, pp. -7 18-22.

E.Rossi, Storia di Tripoli e della Tripolitania dalla conquista -8 .al 1911, Roma 1968.p. 4-5

أنظر أيضا حامد عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تونس 1968، ص 13.
E-F, Gautier, le passé de L'Afrique du NordTrans.

ترجمة الحسيني، طرابلس، 1970، ص 17-8.





اكبر بشأن الموضوع،[9] إلا أننا لا نستطيع الجزم بحقيقة أصول البربر، أو المناطق التي قدم منها البربر أصلا. ولقد تشعبت الآراء حقيقة حول هذا الأمر، فمن قائل بمجيئهم من منطقة بأعالي النيل، ومنهم من يقول أنهم من أجناس البحر المتوسط، وآخرون يشيرون إلى إثيوبيا، ويضيفون إلى ذلك أنهم من نسل الحاميين. ويبقى من يرجع أصولهم إلى الساميين بالجزيرة العربية.[10]

و لقد ظلت المعلومات التي سطرها المؤرخ اليوناني هيردوت حول القبائل الليبية ثابتة[11] حتى الفترة الرومانية، حيث بدأنا نسمع منذ القرن الثالث الميلادي بأسماء جديدة مثل واسيلي والاستوريين. وانه من الصعب ان نجد ان هذه القبائل من القادمين الجدد إلى البلاد، أم إنها أسماء جديدة أعطيت للقبائل المذكورة آنفا.[12]

و يصف هيردوت القبائل الليبية بأنهم قوم رحل يشربون اللبن ويأكلون اللحوم. ومن المعروف ان للحضارة الفنيقية تأثير على بعض البدو الرحل، إذ أنهم ألفوا حياة الاستقرار وزاولوا الزراعة.[13]

Gautier, op. cit , P 27. -9

ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، دار نشر الطباع، بيروت، 1964، ص 27-8، أنظر أيضا ابن خلدون، العبر، ص 89-97.

10- Haynes, op. cit, p. 18

11- أنظـــر المصدر الســـابق ص 18-9، أنظر أيضـــا. A. fantoli, la Libia, 6.-Roma , 1933 ; PP, 7 ; 15

وفقـــا للطاهر الزاوي ان الجرمانيتين فخذ من قبيلـــة بني مصالة ،التي تنتمي إلى لواته.

أنظر الطاهر الزاوي ،معجم البلدان الليبية ،طربلس1968 ،، ص 101-2

12- أنظر المصدر السابق، Fantoli, P 101 Rossi, op. cit , pp. 5-6

13- أنظر، Rossi, op, cit P. 5. J.S Nickerson, A short history of

وكانت هذه القبائل تتكلم لغة تطورت تدريجيا، لتتفرع إلى عدة لهجات وتعبيرات تميز هذه القبائل، ولا يزال بعضها موجودا إلى وقتنا الحاضر، ونلمس هذه الظاهرة في كل من غدامس، سوكنة جبل نفوسة، زوارة، وجربة، وكذلك في وسط بلاد الجزائر. ويجدر بنا ان نذكر ان اللغة الفينيقية قد انتشرت بين القبائل وعاشت حتى بعد غزو البلاد من قبل الرومان، واندحار الفينيقيين من الشمال الإفريقي.[14]

تبين من الأدلة الأثرية في مجال الدين والعقدة ان الليبيين القدماء عبدوا الشمس والقمر، ولقد كان ذلك بتأثير المعتقدات المصرية القديمة.[15] ولا جدال حول تأثرهم بعد بالرؤية العقدية للفينيقيين الساميين، ولم يزل هذا الحال إلى ان وصلت المسحية إلى البلاد، واستمرت بها حتى مجيء الفاتحين العرب المسلمين.

ان الفينيقيين الذين يلتقون مع العرب في الجنس السامي، بدا تحركهم إلى غرب البحر المتوسط، قبل ألف سنة من الميلاد تقريبا، ونحن لا ندري بالتحديد بداية استقرارهم بليبيا، ولكن الذي تعرفه أنهم قد بسطوا سيطرتهم على الجزء الشمالي الغربي من البلاد، في نهاية القرن السابع قبل الميلاد، وقاموا بتأسيس المدن التجارية الثلاث: لبدة الكبرى، اطرابلس (أويا)، وصبراته. وفي ذات الوقت نجح الإغريقيون في غزو الجزء الشمالي الشرقي، وتم لهم أيضا الاستقرار وبناء المدن، وكان الفاصل بينهم وبين الفينيقيين خليج سرت، (منطقة

North Africa, New york, 1968. p. 21

أنظر أيضا، عبد الوهاب، نفس المصدر، ص 17.

14– أنظر، Rossi, op. cit, pp. 10–1. Gautier, op. cit pp. 91,94.

15– أنظر، Haynes, op cit pp. 21–4.





فيلينورم).[16]

لقد سبب احتلال الفينيقيين لـــ (ميسينا) في عام 265 قبل الميلاد حرجا وخطرا للرومان. الأمر الذي دفعهم إلى التفكير والعزم على وضع حد، بل نهاية لغريمهم ومنافسهم في منطقة البحر المتوسط. ولذلك كان احتلال ميسينا بداية للحروب البونيقية، التي انتهت في سنة 146 قبل الميلاد. ولقد كانت نهايتها فاجعة للفينيقيين، حيث تمكن الرومان من احتلال وتدمير قرطاج[17]. وبهذا أسدل الستار على حكم الفينيقيين لتحل محله سيطرة الرومان.[18] ويمكن القول ان حكم قرطاج قد بدا في الأفول أبان القرن الثالث قبل الميلاد.

ويبدو ان الرومان لم يكتفوا بتدمير قرطاج، إذ ان القلق ساورهم بشان الانتفاضات المسلحة، ولذا أسسوا حكمهم المباشر بإفريقيا.

أصبحت المدن الثلاث جزءا من الإمبراطورية الرومانية، قبل وقت قصير من احتدام الصراع على السلطة في الإمبراطورية. ولقد انتهى ذلك الصراع بانتصار اكتافيوس في معركة اكتيوم عام 31 قبل الميلاد.[19] ولقد واجه الرومان مقاومة شديدة من قبل الليبيين

Ibid, pp. 25–8, Rossi, op, cit pp. 7–10 Nickerson, op. cit –16 p. 12.

17– أنظر، Nickerson, op. cit, pp. 11–2. Rossi, op, cit p8 H–G . Wel– les, the outline of History, New York, 1931, pp. H32–3, 439–48.

18– اســـم الثلاثة من ظهر لأول مرة في القـــرن الثالث قبل الميلاد، ويعني كل الأراضي الممتدة بين خليج ســـرت وخليج قابس في تونس، والمدن الثلاثة تحديدا هي: طرابلس (أوبا) ولبدة الكبرى وصبراته، والمزيد من التفاصيل أنظر: Rosi, op. pp. 3–4

19– أنظر، Haynes, op. cit p. 11

المتحصنين في المدن الساحلية، ولكنهم لم يلبثوا ان بسطوا سيطرتهم على هذه المدن، واستمر تقدمهم نحو الجنوب حتى وصلوا إلى مناطق الجرمانيتين بفزان في الجنوب الليبي.

كان عهد الإمبراطور سبتميوس سيفروس (193–211 م) عهدا متميزا في ليبيا. ففي هذه الفترة بني حصن أبي نجيم على الطريق الممتد من طرابلس إلى جنوب البلاد. وبعد سنوات قليلة أنشأ الرومان حصني القريات الغربية وغدامس (سيدا موس)،[20] وقد كان الغرض من بناء هذه الحصون تحقيق هدفين أساسين. الأول إنشاء خط دفاعي لحماية المدن الثلاثة من هجمات القبائل الليبية، والثاني استخدام هذه الحصون كقواعد للانطلاق باتجاه الأراضي الواقعة بجنوب البلاد.

و يبدو ان انتهاء حكم أسرة سيفروس قد ارتبط بظهور الانتفاضات في البلاد، ومن جهة أخرى كان بداية لانحسار وانهيار الحكم الروماني في ليبيا.

لقد كان عام 439م. تاريخا لاحتلال قبائل الوندال، القادمين من أوربا، لمدينة قرطاج.[21] وعلى الرغم من احتلالهم وسيطرتهم على المدن الثلاثة، والتي استمرت لمدة قرن تقريبا، فالحقيقة أنهم لم يؤسسوا لهم بها وجودا قويا ومستقرا، ومما يؤكد هذه الحقيقة انحدار الوندال في أول مواجهة مع الجيش البزنطي عام 531، 32 م.[22]

و تدلل المخلفات الأثرية على ان النفوذ البزنطي لم يتجاوز الشريط الساحلي. ويعود هذا الأمر إلى العداء الذي واجه به

20– أنظر، Ibid, pp. 39–40, Nickerson, op, cit , pp. 22–9. Gautier, op. cit pp. 92–4

21– أنظر، Haynes , op.cit, p. 61

22– أنظر، Rossi, op. cit. p, 20. Nickerson–op–cit p. 6.





المواطنون الجيوش الغازية. ومما يؤكد هذه المشاعر ان البزنطيين كانوا منشغلين بإخماد حركة المقاومة والانتفاضات المتكررة.[23] ولم ينته حكم البزنطيين حتى ظهر على مسرح الأحداث، إبان العصور الوسطى، القبيلتان البربريتان، نفوسة وهوارة. وهما القبيلتان اللتان قدر لهما ان تلعبا دورا مهما وحاسما في حركة التاريخ وأفاق الجغرافيا السياسية.[24]

وبمراجعة هذه الومضات التاريخية، يتبين كيف توالت أيدي الحكم على ليبيا، قبل مجيء العرب إلى هذه البلاد، كما يتبين أيضا ان السكان كانوا يلتزمون دوما موقف الرفض والمقاومة للجيوش الغازية. وعلى الرغم من هذا الموقف المعادي، لم يكن ذلك ليمنع السكان من التأثر ببعض الأفكار وطرق العيش لدى الحملات العسكرية المتعاقبة.

ولقد ترسخ التأثير البونيقي في المدن الثلاث، كما في أجزاء أخرى من الشمال الإفريقي حتى بعد سقوط مدينة قرطاج. وكان للغة البونيقية التي تكلمها الليبيون إلى جانب الإغريقية والرومانية، عظيم الأثر في حياة السكان، ومما يدلل على ذلك، الأسماء البونيقية، والتي تسمى بها الناس، إضافة إلى المصطلحات البونيقية في الإدارة والحياة الدينية.[25]

ولا يغرب عن البال ان انتشار اللغة البونيقية عبر زمن طويل،

23– أنظر، Haynes,op, cit

24– Ibid, p. 67.
أنظر أيضا ،حسن مؤنس ،فتح العرب لبلاد المغرب ،القاهرة ،1947 ،ص 50–1

25 – Rossi, op, cit, p. 10 Fantoli, op, cit , p. 49.

قد ساعد فيما بعد على تمهيد الأرضية لانتشار اللغة العربية، على نطاق واسع بين الناس، كما لا يفوتنا العلم بان المعتقدات البونيقية هي فينيقية الأصل. وهذا الأمر قد يسر للناس اعتناق المسيحية، ثم الإسلام دون إشكاليات.[26]

ولا يعني هذا ان الحضارة الرومانية لم يكن لها تأثير على البلدان اللاتينية الجديدة (Neolatin)، إلا ان هذا التأثير كان بعيدا عن إطاري اللغة والتقاليد البربرية. وبالمقابل فالعمارة والفنون الرومانية لا زال لها الأثر الملحوظ على الأطلال القائمة في البلاد.[27]

و لقد أضافت الحفريات الأثرية الحديثة في ليبيا، معلومات جديدة إلى معارفنا المتعلقة بمناطق المدن الثلاث في الفترة الرومانية، فالمسيحية مثلا قد اعتنقت من قبل السكان المحليين في العهد الروماني، ولكن المذهب الكاثوليكي لم يكن له وجود إلا بعد الدعاية له من قبل البزنطيين[28]. كما انه على الرغم من حكم البزنطيين لفترة طويلة من الزمن، فالمعلومات المتوفرة لا تنسب إليهم أثرا باقيا في مجال الفنون والعمارة. ولكن الثابت ان نظامهم الإداري حقق نجاحا وفاعلية.[29]

و لم يكن عمرو بن العاص، وبعد فتح مصر، في سنة 21 هـ – 642 م. مقتنعا بأنه حقق نصرا كاملا. ذلك انه رأى ان الجهة الغربية من البلاد المفتوحة، تبقى باستمرار تحت تهديد وخطر البزنطيين.[30] ولذا تقدم إلى برقة ثم إلى الغرب، قاصدا فتح ما يليها من

26– Rossi, op, cit, pp. 10–1. Gautier, op. cit, pp. 91, 100–1.

27– Haynes, op. cit, pp. 41–4.

28– Ibid, pp. 66–7,

29– Rossi, op, cit, p. 22.

30– أنظر: حسين مونس، المصدر السابق، ص 26. وقارن ص 27، كتاب





المدن. أثناء ذلك بعث بفرقة من جيشه، بقيادة عقبة بن نافع، ليقطع الصحراء جنوبا، وواصل عمر سيره باتجاه اطرابلس،[31] بينما قطع عقبة الصحراء حتى وصل إلى زويلة.[32]

و لم يلق جيش ابن العاص مقاومة تذكر حتى توقف على مشارف اطرابلس. وكانت قد امتنعت عليه بتحصيناتها المعنية. فعزم عمرو على محاصرتها. وفي هذه الأثناء وصلت رسالة إلى نفوسة طلبا للنجدة وكسر الحصار.[33] ولم تزودنا المصادر بما يفيد ان نفوسة قد لبت الطلب.

ولم يكتمل شهر واحد على حصار اطرابلس حتى سقطت في أيدي المسلمين. وفتحت المدينة عنوة في سنة 22 هـ – 643 م. ولم يلبث الجيش الإسلامي ان واصل زحفه نحو الغرب، وتم له الاستيلاء على المدينة الثالثة صبراته (صبره)، التي استسلمت دون مقاومة.[34] وكان عمرو قد أرسل بفرقة من الجيش، بقيادة بسر بن ارطأة، إلى منطقة ودان[35] بالجنوب الليبي، بينما انطلق عمرو بن العاص من مدينة

Rossi

31– أنظر ، البلانري، فتوح البلدان، القاهرة، 1932، ص 227. والبكري، نفس المصدر، ص 8 وابن الاثير، كتاب الكامل في التاريخ، طبعه ليدن 1867، المجلد الثالث، ص 19.

32– أنظر، البكري، نفس المصدر، ص 10 وابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص 30.

33– أنظر التجاني، رحلة التجاني، تونس 1958، ص 10، وقارن حسين مؤنس، نفس المصدر ، ص 63.

34– أنظر، ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص 30–32، وقارن، ابن الاثير، نفس المصدر، ص 19–20.

35– أنظر ابن عبد الحكم، (فتوح) ص 50–1. وانظر أيضا، أيضا البكري،

صبره نحو شروس، حاضرة جبل نفوسة، وتمكن من وضع يده عليها دون عناء يذكر.[36]

ولقد تبين لعمرو بن العاص بعد فتح قرية شروس، ان التقدم غربا سيواجه بتحديات كبيرة، ولعل من أهمها جيش جيرجيريوس الكثير العدد، وابتعاده عن قاعدة الإمداد الرئيسية في مصر، ولذا تطلب هذا الأمر، مراجعة الخليفة عمر بن الخطاب بهذا الشأن، كما انه طلب الأذن والموافقة على مواصلة التقدم باتجاه افريقية (تونس)،[37] والراجح انه بعث برسالة قبل مغادرته شروس، قافلا إلى مدينة اطرابلس.

وكان نص الرسالة التي بعث بها عمرو بن العاص كالتالي :

(ان الله قد من علينا بفتح اطرابلس، وليس بينها وبين افريقية إلا تسعة أيام فان رأي أمير المؤمنين ان يغزوها فتحها الله على يديه).

لم تكن رؤية عمرو بن العاص موافقة لما يراه الخليفة، ولذا جاء الرد على النحو التالي :

(لا إنها ليست بافريقية، ولكنها المفرقة، غادر مغدور بها لا يغزوها احد ما حييت) .[38]

عاد عمرو أدراجه إلى مصر، بمجرد استلامه لرسالة الخليفة

نفس المصدر، ص 12.

36– البكري (المغرب) ص 12.

37– يعتبر اســـم افريقية الاسم القديم عند العرب لتونس وأجزاء من الأراضي الجزائرية، وكان عمرو بن العاص يعني بهذا الأســـم الأراضي الواقعة إلى الغرب من ليبيا.

38– أنظر، ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص 33.





ولم يكتمل بعد عام 23 هـــ – 644م. ومما يدعو إلى التساؤل والاستغراب، ان عمرو بن العاص لم يترك وراءه من ينوب عنه في حكم اطرابلس. أما بالنسبة إلى برقة فقد ولى عليها عقبة بن نافع.

وانتهت الحملة الإسلامية الأولى على ليبيا. وكانت شروس وزويلة أقصى نقطتين وصلهما المسلمون إلى الغرب والجنوب.[39] ويبدو ان مقصد عمرو من هذه الحملة، كان بالدرجة الأولى استكشافا وأعدادا للحملات المستقبلية. وربما على أساس هذه الرؤية نستطيع ان نفسر الغموض، الذي اكتنف عودته إلى مصر دون ان يخلف وراءه أحدا في حكم اغلب البلاد المفتوحة.[40]

وبعد سنوات قليلة، وبالتحديد في سنة 27 هـــ – 648 م،[41] قاد عبد الله بن أبي السرح الحملة الإسلامية الثانية نحو افريقية (تونس) ولم يلق عبد الله ما يعرقل تقدم جيشه حتى وصل إلى مدينة صبيطلة. فعلى أبواب هذه المدينة وقعت معركة كبيرة، انتهت بمقتل جيرجيروس وفتح المدينة، في عام 28 هـــ – 649م.[42]

ولم يلبث بعدها ان قفل عبد الله عائدا إلى مصر، وفعل ما فعله سلفه عمرو بن العاص، حيث لم يترك من ينوب عنه في حكم الأراضي المفتوحة. ولذا لم تؤسس هذه الحملة، كما هي سابقتها حكما مباشرا في المنطقة التي وقعت بأيدي المسلمين.

39– أنظر، ابن عذاري، كتاب البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ليدن، 1948، المجلد الأول، ص 8.

40– المصدر السابق، ص 9، أنظر أيضا، ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص 34.

41– أنظر البلاذري، نفس المصدر ، ص 228.

42– أنظر مؤنـــس، ص 105–6، وابن الاثير، الكامل، المجلد 3، ص 70، وابن عذاري، البيان، المجلد 1 ص 11–3، وابن عبد الحكم، فنوح، ص 35.

ولقد احدث اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فتنة كبرى في أرجاء الدولة الإسلامية، ونتيجة لذلك توقفت الحملات العسكرية على الشمال الإفريقي لفترة من الزمن، ولم تكن الظروف مواتية لهذا الأمر حتى تولى الأمويون السلطة في عام 41 هـ – 661م. ونقلوا حاضرة الدولة الإسلامية إلى دمشق.[43]

ولقد عين الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، معاوية بن خديج قائدا للحملة المتوجهة لفتح بلاد المغرب في سنة 45 هـ – 666م.[44] وعلى الرغم من المدة التي استغرقتها الحملة، والتي قاربت ثلاثة سنوات، لم تحقق من النتائج ما كان يطمح إليه الخلفية الأموي. ولذا فقد تلتها حملة عسكرية أخرى بقيادة عقبة بن نافع. ولقد تمكن هذا القائد من بناء مدينة القيروان بتونس، وكانت هذه المدينة أول انجاز استراتيجي يحققه المسلمون في عمق الشمال الإفريقي في عام 51 هـ 671 م.[45]

وتجدر الإشارة إلى ان عقبة خلال السنوات 49، 55 هـ – 669، 75 م، كان قد توغل في أراضي الجنوب الليبي حتى وصل مدينة جرمه، وتوجه بعد ذلك إلى مدينة كاوار في العمق الإفريقي، وأثناء وجود عقبة بن نافع في هذه المناطق أقدم كثير من السكان المحليين على اعتناق الدين الإسلامي.

وعاد عقبة بن نافع إلى حاضرة الدولة الإسلامية بأمر من خليفة الأموي في سنة 55 هـ – 675م.[46] وترك وراءه أبا المهاجر دينار

43– ابن عذاري، البيان، المجلد 1، ص 15، وابن الاثير، المجلد 3 ، ص 342.
44– ابن عذاري، البيان، المجلد 1، ص 16–7.
45– ابن الاثير، الكامل، المجلد 3، ص 387.
46– ابن عذاري، البيان، المجلد 1، ص 21، وابن عبد الحكم، فتوح، ص 55.





قائدا للجيش للإسلامي بافريقية، ولم يلبث ان عاد عقبة بن نافع إلى قيادة الجيش الإسلامي وذلك بعد ان توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وتولى ابنه يزيد الخلافة من بعده، في عام 62 هـ – 682 م.[47]

وسار عقبة بجيشه هذه المرة باتجاه بلاد المغرب، ولم يتوقف في تقدمه حتى لامست سنابك فرسه مياه المحيط، وأثناء عودته وقع في كمين نصبه له البربر، فقتل في منطقة تعرف باسم تهودا.[48] ورأى زهير بن قيس البلوى، الذي تولى القيادة بعد عقبة، الرجوع إلى برقة سنة 64 هـ–683م. وكان هذا الانسحاب هو ما يطمح إليه كسيلة قائد البربر، فوضع يده على مدينة القيروان.[49]

ويبدوا انه بعد كل المحاولات المتعددة، لم يتمكن العرب المسلمون من تحقق استقرار دائم في الأراضي المفتوحة بالشمال الإفريقي. ورغم ان كسيلة قد أرغم الجيش الإسلامي بالتراجع إلى برقة، فلم يكن هذا الأمر إلا مكسبا سياسيا مؤقتا، ذلك لان العقيدة الإسلامية قد ترسخت لدى العديد من السكان المحليين. ويضاف إلى هذا ان كسيلة لو يتمكن من الدفاع عن القيروان عندما عاد إليها الجيش العربي الإسلامي. فلقد قرر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إعادة القائد زهير بن قيس لمواصلة الفتح بإفريقيا في سنة 69 هـ 668م. وكان ان تمكن زهير من هزيمة كسيلة، واستعاد مدينة القيروان للحكم الإسلامي، وفي طريق عودته تعرض زهير مع بعض أصحابه لكمين نصبه لهم البزنطيون،

47– ابن الاثير، الكامل، المجلد 4، ص 89، البلاذري، نفس المصدر، ص 230. أنظر أيضا، ابن عذاري، البيان، المجلد 1، ص 23.
48– انها قرية في جبال الاوراس، أنظر، البكري، نفس المصدر، ص 72–3.
49– ابن عبد الحكم، فتوح، ص 61، ابن الاثير، الكامل، المجلد 4، ص 91، وابن عذاري، البيان، المجلد، ص 30–1.

وتمكنوا من قتلهم جميعا قرب برقة.[50]

ولقد تجمع البربر بعد كسيلة حول امرأة تدعى الكاهنة، التي تمكنت من هزيمة القائد الجديد للجيش الإسلامي بافريقية، حسان بن النعمان الغساني، في سنة 79 هـ – 689م.[51] فما كان منه إلا الرجوع منسحبا ليستقر بمنطقة سرت في موقع عرف فيما بعد باسم (قصور حسان).[52] وكان مكث حسان بهذا الموقع انتظارا للمدد، الذي أرسل بشأنه إلى الخليفة.

ولقد استغلت جموع البربر المتجمعين حول الكاهنة هذا الوقت في تدمير الأشجار وحرقها، بضواحي المدن. وكان هذا العمل في ظنهم سيثني عزم المسلمين الذين جاءوا إلى هذه المناطق طعما في خيراتها.[53] ولقد دلت الأحداث فيما بعد ان هذا الفعل لم يكن إلا سوء ظن وتقدير. فلقد وصل مدد الخليفة إلى حسان في سنة 81 هـ – 700م، فانطلق صوب جموع الكاهنة، حيث تمت هزيمتها، فانتقلت إلى جبال الأوراس بالجزائر. وهناك انتهى دورها بقضاء المسلمين عليها.

ولم يكتف حسان بمقتل الكاهنة، بل واصل السير إلى قرطاج،

50– ابـــن عذاري، البيان، المجلد 1، ص 31–2، وابن الاثير، الكامل، المجلد 4، ص 251.

51– تولـــت الكاهنة قيادة القبيلة البربريـــة جراوة في جبال الاوراس بالجزائر، وذكرت في معظم كتب التاريخ الخاصة بالفتح العربي للمغرب، ولكننا لا نعرف شيئا عن شـــخصيتها الحقيقية، ودورها قبل الحملة العربية الثانية، بقيادة حسان النعمان.

52– ابن عبد الحكم، فتوح، ص 63. والبكري، نفس المصدر، ص 8، والطاهر الزاوي، معجم، ص 278–9.

53– ابن عذاري، البيان، المجلد الأول، ص 36–7.





حيث انتهت المعركة بهزيمة البزنطيين، واستيلاء المسلمين على المدينة، ولقد سجل هذا الحدث نهاية للوجود البزنطي بالشمال الإفريقي في سنة 823 هـ – 702م.[54] وكان أيضا بداية لتأسيس حكم إسلامي مستقر بالمنطقة. وأدّى بالتالي لان يكون إيذانا وتمهيدا للحملات القادمة المتوجهة نحو بلاد المغرب الأقصى واسبانيا. وبانتهاء هذه المهمة عاد حسان إلى دمشق في سنة 85 هـ – 705م.[55]

و لم يكن تصدر الأمويين للخلافة الإسلامية ليمر بسلام، فلقد تسببت مشاعر الرفض لهذا الأمر في إثارة العديد من المشاكل والانتفاضات.[56] ونتيجة للقمع والاضطهاد، الذي واجهت به الدولة حركات المعارضة، فرت بعض شخصيات المعارضة إلى بلدان المغرب، طلبا للامان، ولقد توفر لها الملاذ الأمن لدى بعض القبائل المناوئة للحكم الأموي.[57]

ومن المعروف ان الدولة الأموية قد قامت دعائمها على أكتاف الجنس العربي، ولذا كان الجيش الإسلامي ببلاد المغرب مشكلا في أغلبية من قبيلتين عربيتين، هما قيس ومضر. ولقد أدّى إلى التنافس بينهما حول تولي الأمور في الجيش، وحكم المناطق المفتوحة. وكل هذه الظروف قد هيئت بالطبيعة المناخ الملائم لنشئة الفرق والأحزاب. وثمة من المؤرخين[58] من يصنف الأباضية على إنها فرع من

54– لمزيد من التفاصيل أنظر حسين مؤنس، نفس المصدر، ص 259–60.

55– ابن عذاري، البيان مجلد 1، ص 41. وابن عبد الحكم ن فتوح، ص 65.

56 – أنظر ، أحمد امين، فجر الإسلام، القاهرة، 1928، ص 304–8.

57 – ابن الاثير، الكامل، المجلد 5، ص 237، والتجاني، رحلة، ص 207.

58 – أحمد سعيد الشماخي، كتاب السير، القاهرة، 1949، ص 70. وعلي يحيى معمر، الأباضية في موكب التاريخ، القاهرة، 1964، الجزء الأول، ص 33–4.

فرقة الخوارج.[59] ولكن الأباضيين لا يعترفون بهذا الانتماء.

ويذكر الشماخي في سيره، ان مسلمة بن سعد، الأباضي المتحمس للمذهب، كان أول من نشر الأباضية في المغرب، وينسب إليه قوله: (إنني أود ان أرى هذا الدين يطبق ولو لمدة يوم واحد ولا أبالي ان أموت في آخر هذا اليوم)،[60] والحقيقة انه لأمر من الصعوبة بمكان ان يجزم المرء على ان شخصا ما كان المسؤول الأول عن نشر المذهب الأباضي، وإرساء قواعده ببلاد المغرب، ولكن من المؤكد انه مع بدايات القرن الثاني الهجري كان للأباضيين ثقل بإقليم طرابلس.

ولقد تمكن الأباضيون من الثورة بمدينة اطرابلس سنة 127 هـ – 744م. الأمر الذي جعل عبد الرحمن بن حبيب، حاكم القيروان، يرسل أخاه إليها، للقضاء على هذه الانتفاضة، وإعادة الهدوء إلى المدينة. ولم يلبث الأباضيون ان قاموا بانتفاضة، ثانية بمدينة اطرابلس. ورأى عبد الرحمن ان وجود أخيه، الذي قتل قائد الانتفاضة الأولى، سيكون عاملا مثيرا لمشاعر الأباضيين، ولذا قام باستدعاء أخيه إلى القيروان، وأرسل رجلا آخر لحكم المدينة. ولكن هذا الرجل حوصر خارج الأسوار، وإعاده الأباضيون إلى القيروان، وتمكنوا من الاستيلاء على اطرابلس بقيادة رجلين، وهما الحارث الحضرمي وعبد الجبار المرادي.[61]

59– الشماخي، السير ، ص 70، أبو الربيع سليمان الباروني، مختصر تاريخ الأباضية، تونس، 1936، ص 40.

60– الشماخي، السير، ص 98.

61– المصدر السابق، ص 125–6 وقارن، الرفيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تونس، 1968، ص 128–9، والكامل، مجلد 5، ص 237. وابن عبد الحكم يكتب الحارس بدلا عن الحارث.





وهكذا تشكلت نواة أول دولة للأباضية، حيث امتدت سيطرتها إلى خليج سرت شرقا. ولم يدم الحال طويلا بقائدي هذه الدولة، حيث وجدوا مقتولين في ظروف غامضة، ولم يجد الأباضيون بدا من الاتفاق على إسماعيل بن يزيد النفوسي ليتولى منصب القيادة.[62]

ولم يكن عبد الرحمن ليقبل بما آلت إليه الأمور، فأرسل ابن عمه شعيب بن عثمان لإخماد حركة التمرد باطرابلس. وما لبث عبد الرحمن نفسه ان لحق بابن عمه، واستطاع ان يهزم الأباضيين، ويضع نهاية لأول دولة أباضية بشمال أفريقيا في سنة 132 هـ – 753م.[63]

ولقد تمكن الأباضيون من جمع كلمتهم على رجل يدعى أبو الخطاب السمح المعافري، في قرية صغيرة، بالقرب من مدينة اطرابلس، تسمى صياد.[64] ويذكر الشماخي ان أبا الخطاب دخل اطرابلس في سنة 140 هـ – 757م، ومعه جماعة من المسلمين، وادخلوا الرجال في الجواليق على هيئة الرفقة، فلما توسطوا المدينة أشهروا السلاح وقالوا : لا حكم إلا لله. وهكذا أصبح أبو الخطاب أول إمام أباضي.

62– ابن خلدون، العبر، المجلد 6، ص 3 وابن عبد الحكم، فتوح ، ص 108.

63– الرقيق، نفس المصدر، ص 129، وابن الاثير، الكامل، مجلد 5 ص 237.

64– أنظر ابن خلدون، العبر، مجلد 6، ص 112. والطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، القاهرة، 1963، ص 132–4، والشماخي في كتابه السير يقول: ودخل أبو الخطاب ومعه جماعة المسلمين. وذلك عام اربعين ومائة، وادخلوا الرجال في الجواليق على هيئة الرفقة. فلما توسطوا المدينة اشهروا السلام وقالوا: لا حكم إلا لله.

وكانت القيروان هي الأخرى غنيمة سهلة لقبائل ورفجومة، التي تبنت أسلوبا قاسيا مع السكان، بعد مقتل الحاكم العباسي للمدينة. ورأى أبو الخطاب ان الفرصة سانحة لوضع يده على القيروان. فتقدم بجيشه إليها، واستطاع الاستيلاء عليها في سنة 141 هـ – 759م.[65] ثم عاد بعدها إلى اطرابلس مخلفا وراءه عبد الرحمن بن رستم حاكما للقيروان.[66]

ولم يتمكن أبو الخطاب من الوقوف أمام الجيش العباسي القادم من الشرق بقيادة محمد بن الاشعث، حيث هزم وقتل في معركة مغمداس شرق مدينة اطرابلس،[67] ولم يستطع أبو هريرة الزناتي الذي خلف أبو الخطاب ان يغير من مجرى الأحداث فهزم هو الآخر، في سنة 144 هـ – 761م. وما لبث محمد بن الاشعث، بعد استيلائه على اطرابلس، ان أرسل بفرقة من جيشه إلى ودان وزويلة بأقصى الجنوب الليبي.

وكان عبد الرحمن بن رستم قد انطلق من مدينة القيروان لمساندة أبي الخطاب. وعندما وصل إلى قابس جاءته أنباء مقتل أبي الخطاب، فعاد أدراجه إلى القيروان. ولكن مناصري العباسيين انتهزوا فرصة غيابه، واستولوا على المدينة. وتمكنوا أيضا من أسر عبد الرحمن

65– ابن خلدون، العبر، المجلد 6، ص 111–2، وابن عذاري، البيان، مجلد 1، ص 70–1. وابن الاثير، الكامل، مجلد 5، ص 241– والشماخي ، السير، ص 128–30، وقارن، الرفيق، نفس المصدر، ص 141–42.

66– عبد الرحمن بن رستم ينحدر من اصول فارسية، تعود بنسبة إلى الاكاسرة الذين حكموا فارس لفترة طويلة من الزمن، وكانت نهاية دولتهم على يد المسلمين، في بدايات الفتح العربي الإسلامي.

67– ابن الاثير، الكامل، مجلد 5، 241، والزاوي، الفتح العربي، ص 137–8، وقارن، ابن خلدون، العبر، المجلد 6، ص 112. والشماخي السير، ص 132.





بن رستم. وأطلق سراحه فيما بعد، عن طريق وساطة احد أصدقائه من ذوي النفوذ لدى العباسيين. فغادر عبد الرحمن القيروان إلى منطقة تدعى سوقجاج،[68] قرب تاهرت بالجنوب الجزائري.[69] ويبدو ان ابن الاشعث لم يكن راضيا عن إطلاق سراح عبد الرحمن بن رستم، فحاول اللحاق به ولم ينجح، فعاد أدراجه إلى القيروان في عام 153 هـ– 770.[70]

ولقد نجح الأباضيون، بعد هزيمة ابن الاشعث لهم من الاستيلاء على مدينة اطرابلس بقيادة أبي حاطمة، ثم ساروا إلى مدينة القيروان، حيث دخلوها بعد حصار لم يدم طويلا، في سنة 144 هـ – 761م.[71] وعندما علم أبو حاطمة باقتراب الجيش العباسي من مدينة اطرابلس، غادر القيروان لمواجهته قبل الوصول إليها. ولكنه عاد إلى القيروان عندما وصلته الأخبار بنشوب القتال فيها، واستطاع أبو حاطمة ان يعيد الهدوء إلى المدينة. وغادرها للمرة الثانية ليلتقي بالجيش العباسي خارج أسوار مدينة اطرابلس. وانتهت المعركة بمقتل أبي حاطمة وهزيمة الأباضيين[72] وبذلك انتهت الإمامة الأباضية الثانية.

68– الشماخي، السير، ص 133. وقارن ، ابن عذاري، البيان، مجلد 1، ص 61– 72.

69– تاهرت هذه مينة قديمة، تقع باقصى الجنوب الجزائري. وتعو إلى فترة ما قبل العصر الإسلامي. وتاهرت الاحدث عهدا انشأها عبد الرحمن بن رستم أول أمام أباضي. وهي لا تبعد عن تاهرت القيمة كثيرا.

70– ابن الاثير ، الكامل، المجلد 5، ص 458. وقارن الشماخي السير ، ص 134.

71– الرقيق، نفس المصر، ص 146–7. وابن خلدون، العبر مجلد 6، ص 113.

72– الشماخي، السير ، ص 136، وابن خلون ن العبر ، مجلد 6، ص 79. والكامل، مجلد 5، ص 290.

ولقد ساد الغموض حركة الأباضيين بعد هذا الحدث إلى ظهور الإمامة على يد عبد الرحمن بن رستم في تاهرت سنة 160 هـ – 777م. ويذكر المؤرخون[73] الأباضيون ان عبد الرحمن بن رستم، أبان فترة الغموض التي اشرنا إليها، كان إماما مكتوما.[74] ومما يؤيد هذا القول ان أبا حاطمة كان يرسل إليه بأموال الزكاة. وهذه المعلومات تفيد بان أبا حاطمة لم يكن إلا إمام دفاع.[75]

ويبدو ان عبد الرحمن إبان الفترة التي أطلقنا عليها فترة الغموض كان يعمل على تقوية مركزه في الوسط الأباضي ولذا لقب بلقب أمير المؤمنين الذي أطلقه عليه أنصاره الأباضيون.[76]

وربما يبدو لأول وهلة غرابة ما تعرضت له القيادات الأباضية الأولى من أزمات، وما تمتع به عبد الرحمن بن رستم من إمامة يكتنفها الهدوء والسلام. ومن الطبيعي ان تختفي الغرابة بمعرفة ان من سبقه من القيادات قد اختارت اطرابلس مركز للدولة الأباضية، وهي المدينة التي تقع على طريق القيروان. ومن المعروف ان الأخير قد شكلت قاعدة الانطلاق نحو أراضي المغرب، منذ تأسيسها من طرف عقبة بن نافع في عهد الأمويين والعباسيين.

73– محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، 1963، مجلد 3 ص، 287، 293–4. والشماخي، السير، ص 139.

74– يطلق الأباضيون على امامهم في حالة السلم أمير المؤمنين، وعندما يقعون تحت سلطة خارجية، يطلقون عليه أمام الكتمان.

75– يختـــار الأباضيون رجلا منهم يطلقون عليه أمام دفاع، في حالات الحرب والتهديد وهذا عندما لا يكون ثمة أمام ظاهر.

76– الشماخي، السير ، ص 139.





ولم يتمتع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم،[77] الذي خلف والده في الإمامة، بالاستقرار في أيامه الأولى، فلقد كان عليه ان يواجه ما يسميه الأباضيون حركة (النكار) والمعتزلة.[78] واستطاع ان يتخلص من كليهما ليتفرغ لبناء الدولة الرستمية وإدارتها.[79]

ويبدو انه هذا التاريخ، لم يكن ثمة ما يثبت ان نفوسة كانت خاضعة مباشرة لحكم الرستمين بتاهرت.[80] ولكن الاعتراف بالإمام الرستمي، والدعم المادي والمعنوي له، لا يشوبه الجدل. ولكن هذه الصلة والتبعية قد تدعمت بوصول الإمام عبد الوهاب إلى جبل نفوسة في طريقه لأداء فريضة الحج. فلقد نزل ضيفا على أبي مهدي الويغوى.[81] ثم انتقل إلى فرقة شروس. وهناك نصحه العلماء بعدم مواصلة الرحلة، بسبب الخوف على حياته من العباسيين. فاستجاب الامام عبد الوهاب إلى هذه النصيحة واستقر بقرية (ميرى) بجبل نفوسة منتظرا امن الطريق.[82] وارسل إلى علماء الأباضية في الشرق طلبا للمشورة. وكانت نصيحتهم تأجيل الأمر إلى العام الذي يليه.

77– دبـــوز، نفس المصدر، ص 55، وقـــارن، C.Bossworth, the Islamic Dynasties Edinburgh, 1967, p22.

78– (النـــكار) هم أولئك الذين عارضوا امامة عبد الوهاب بن عب الرحمن بن رســـتم، أنظر، الشماخي، الســـير 154–5. ودبوز، نفس المصدر، ص 474–8. وانظر أيضـــا Chroniqu d'Abu Zakaria, ed E.Masqueray. Algeria. 1878. pp. 57–67

79– الشماخي السير، 154–8. الباروني، نفس المصر ص 34.

80– الشماخي، السير ص 154–5.

81– ويغـــو عبارة عن قريـــة قيمة، تقع إلى الغرب من قرية شـــروس حاضرة الجبل.

82– ميري قرية قيمة، تقع في الجنوب الشـــرقي لمدينـــة جادو، والمبنى الوحيد القائم هو المسجد، الذي درس فيه الامام الرستمي عبد الوهاب.

فاستقر الامام عبد الوهاب بجبل نفوسة. وكان ان ترك ابنه افلح بتاهرت. وانشغل عبد الوهاب بالتدريس، وإيجاد الحلول لما يتعرض له الأباضيون من نوازل في المجال الديني.

ولقد انتفضت قبيلة هوارة التي كانت تنتشر جموعها في شمال جبل نفوسة، إلى الشرق منه، في وجه حاكم اطرابلس العباسي، فقام إبراهيم بن الأغلب بإرسال ابنه عبد الله على رأس جيش لاخماد هذه الانتفاضة. وعندما تلقت هوارة هذا الخبر علمت ان ليس باستطاعتها مواجهة جيش ابن الاغلب. فارسلت إلى الامام عبد الوهاب، طلبا للنجدة. ولم يكن الامام ليرفض هذا الطلب الذي يتيح له بسط النفوذ الرستمي على منطقة من الاهمية بمكان.

ويبدو ان عبد الله بن الاغلب قد علم بهذا الحلف، فتجنب قتالهم وفضل الاحتماء داخل مدينة اطرابلس. والتقى الامام عبد الوهاب ومعه اهالي نفوسة خارج اسوار المدينة بجيش هوارة.[83] ولم يجد ابن الاغلب بدا، بعد سماعه بوفاة ابيه، الا ان يتوصل إلى اتفاقية مع الامام عبد الوهاب، الذي كان يحاصر المدينة. وكان اهم ما جاء في هذه الاتفاقية ان تصبح الاراضي الممتدة من سرت شرقا إلى جنوب صفاقس غربا، تابعة للدولة الأباضية الرستمية، بينما يبقى اطرابلس والساحل البحري تحت سيطرة الاغالبة.[84]

وغادر الامام عبد الوهاب جبل نفوسة عائدا إلى تاهرت بعد فترة قصيرة من عقد هذه الاتفاقية، وكان قد وافق على اختيار السمح بن الخطاب وزيرا لحكم الجبل فكان أول حاكم رستمي

83– الشماخي. السير ص 160. وقارن ابن الأثر، الكامل، مجلد 6، ص 188.
84– ابن الاثير، الكامل، مجلد 6، ص 188، والشماخي، السير، ص 161. وقارن ابن خلدون، العبر، مجلد 6، ص 121.





لنفوسة في تاريخ الأباضية،[85] ولم يستشر اهل الجبل بعد وفاته الامامة بتاهرت فيمن يخلفه، بل اختاروا ابنه ليشغل المنصب، ولم يكن امام الفئة التي عارضت هذا الاختيار الا اللجوء إلى تاهرت. فاستجاب الامام عبد الوهاب لمطلبهم وعين بدلا عنه أبو الحسن بن العباس.[86] ولم يطل المقام بابي الحسن حيث عاجلته المنية، فتولى حكم الجبل أبو عبيد عبد الحميد الجناوني. وكان عليه ان يشغل نفسه بمحاربة اتباع خلف بن السمح بن الخطاب. ولكنه لم يتمكن من القضاء عليهم ابان فترة حكمه. وكانت نهاية هؤلاء الذين عرفوا باسم (الخلفية) على يد خليفة أبي عبيد، الذي قضى على خلف نفسه في مواجهة بالجهة الشرقية من الجبل.[87]

ولقد توفي الامام عبد الوهاب في سنة 211 هـ – 826م. ولم يترك وصية بخصوص خليفته في الامامة. ولكن اتباعه لم يكن امامهم الا التكتل حول الرجل المتمرس بشؤون الدولة والعارف بالمذهب الأباضي، افلح بن عبد الوهاب، فاختير اماما للدولة الرستمية بتاهرت.[88] ويجمع الأباضيون على ان فترة حكمه كانت الفترة الذهبية للدولة الرستمية. وكان الامام افلح قد عين قبل وفاته ذر بن وسيم حاكما لجبل نفوسة. ولكن ذر هذا لم يمكث في المنصب سوى سبعة اشهر.[89]

ولقد توفي الامام افلح في سنة 240 هـ – 854م. عن أربعة

85– الشماخي، السير، ص 161، Abu Zakaria, chroniqu, pp- 128–9
86– الشماخي، السير، ص 180–1.
87– المصدر السابق، ص 196–7.
88– دبوز، نقس المصدر، ص 527، وقارن Bosworth, op, cit, p. 22.
89– الشماخي، السير، ص 215–7.

ابناء، وهم: أبو بكر، محمد، يعقوب، ويقظان. وكان الاخير اكبر هم سنا واصلحهم للامامة. ولكنه كان مسجونا ببغداد وقت وفاة ابيه. فكان الاتفاق على ان يتولى أبو بكر الامامة على ان يتنازل لاخيه اذا اطلق سراحه.[90] وبعد فترة قصيرة رجع اليقظان إلى تاهرت. ولكن بمقدمه حدثت انتفاضة مسلحة ادت إلى قتل الامام أبي بكر في سنة 241 هـ – 855. وكان جمع من الأباضين قد وقفوا على الحياد ابان الصراع الذي عاشته تاهرت. الامر الذي شجع محمد بن مصالة، امير حصن هوارة، بشمال تاهرت، على انتهاز هذه الفرصة، والاستيلاء على مدينة تاهرت. ولقد كان هذا الحدث عملا لتجمع الأباضيين حول اليقضان، وحال وصول النجدة من أهالي نفوسة حاصر اليقظان المدينة. وقام بارسال وفد من نفوسة إلى محمد بن مصالة، ليطلب منه مغادرة المدينة دون إراقة الدماء. ويبدو ان محمد بن مصالة لم يكن بداية راغبا في البقاء بتاهرت، بل كان غرضه استتباب الامن وعودة الهدوء إلى تاهرت. ولذلك وافق على طلب الوفد وغادر المدينة.[91]

ولقد توفي الامام اليقطان، وتولى الامامة من بعده ابنه أبو حاتم يوسف، ونتيجة لعدم تقديره لهيئة الشورى، غضب عليه عمه يعقوب وكان عضوا بهيئة الشورى. فغادر يعقوب مدينة تاهرت متجها إلى زواغة. ولكنه رجع إلى تاهرت استجابة لرغبة المناصرين من الأباضيين، فانقسم الأباضيون بوصوله إلى تاهرت إلى فريقين. تناصر كل منهما احد الطرفين.

وظل الصراع محتدما بتاهرت إلى ان وصل إليها يعقوب المزاتي

90– أبو الربيع الباروني، نفس المصدر، ص 39. ودبوز، نفس المصدر، ص 562. و Abu-Zakaria, chronique. P. 185-6.

91– الباروني، نفس المصدر، ص 39، ودبوز نفس المصدر ، ص 484–5.





برفقة بعض من قومه. ولقد ادى توسطه بين الطرفين، إلى انهاء النزاع. ونصت اتفاقية الصلح على تخليها عن الحكم، وتفويض الامر إلى اختيار الناس لشغل منصب الامامة.

واتفق الأباضيون على إمامة أبي حاتم، بعد بقاء تاهرت بدون امام لفترة أربعة اشهر.[92] وفي هذه الاثناء كان أبو منصور إلياس قد اعتلى سدة الحكم بجبل نفوسة. وكان أبو منصور رجلا ذا موهبة وتدين شديد. وتتفق الاخبار التي تتعلق بهذه الفترة التاريخية، على انه كان يحظى بتقدير اهالي الجبل وما حوله.

ولقد توافق حكم أبي منصور، مع استتلال أبي العباس بن طولون بمصر، فرصة غياب ابيه، ليسير على رأس جيش باتجاه الاراضي الليبية. وكان يطمح إلى إنشاء دولة مستقلة عن الدولة الطولونية.[93] ولم يستطع ابن قهرب، حاكم الاغالبة، صد الجيش الطولوني. فتراجع ليتحصن بمدينة اطرابلس. وبمجرد دخول ابن طولون إلى مدينة لبدة، ارسل إلى أبي منصور بمن يطلب منه الاستسلام. ذلك لان الاراضي المحيطة باطرابلس كانت تابعة للدولة الرستمية. فما كان من أبي منصور الا التقدم بجيشه لمواجهة ابن طولون، عند قصر حاتم شرقي مدينة اطرابلس. وانتهت تلك المعركة الكبيرة بهزيمة ابن طولون.[94] فعاد ادراجه إلى مصر. وامر أبو منصور جيشه بعدم جمع الغنائم بحجة ان الذين قاتلهم يدينون بالاسلام. ولذا وجد جيش الاغالبة، القادم من تونس إلى مكان الموقعة، الغنائم بانتظاره.

92– دبوز، نفس المصدر، ص 584–5.

93– الشماخي، السير، ص 225، ابن عذاري، البيان، مجلد 1، ص 118. أنظر أيضا ، ابن الاثير، الكامل، مجلد 7، ص 224.

94– الشماخي، السير، ص 225، ابن عذاري، البيان، مجلد 1، ص 118–9.

وكان على أبي منصور، بعد عودته[95] إلى الجبل التصدي، لابن خلف، الذي طفق يزعزع الامن في نواحي الجبل. فتبعه حتى جزيرة جربة بتونس. وهناك تم القبض عليه. ولقد اطلق سراحه بعد ان قطعت احدى رجليه وانتهى الامر بتخليه عن ما تنادى به (الخلفية) اتباع خلف الأب.[96]

ولقد اتسمت فترة حكم أبي منصور إلياس باستتباب الامن، والحفاظ على الاراضي التابعة للدولة الرستمية في الشرق. وبعد وفاة أبي منصور تولى حكم الجبل افلح بن العباس للمرة الثانية. واثناء حكمه للجبل جمع الاغالبة جيشا كبيرا بغرض غزو الاراضي المصرية. ولا يعرف السبب الحقيقي لاعتراض اهالي نفوسة لمسيرة هذه الحملة، بالقرب من قصر مانو ومدينة صبراته. ولكن المعروف ان جيش واهالي نفوسة تكبدوا هزيمة كبرى. وكان من نتائج المعركة فقدان الجبل للكثير من خيار مقاتليه، اضافة إلى خسران العديد من العلماء.[97] وعندما عاد حاكم الجبل افلح بن العباس إلى مقره بالجبل، قابله السكان بموجة من الغضب، وطالبوه بالتنحي عن الحكم.

ويبدو ان ثمة من كان يناصر لبن العباس ولا يحمله هذه الخسارة الكبرى بقصر مانو. واذا لم يرضخ لتلك المطالب. ولك استمرار الحركة الغاضبة ضده، ادت به إلى التشاور مع أبي معروف، حاكم قرية شروس، لعلو قدمه في العلم.[98] ويبدو ان ابا معروف قد اشار عليه بتلبية رغبة المناوئين، فتنحى عن الحكم. ولكن بعد فترة

95– الشماحي، السير، ص 95. وقارن، ابن الاثير، الكامل، مجلد 7. ص 225.
96– الشماخي، السير، ص 224–5. الباروني، نفس المصدر، ص 42–3.
97– الشماخي، السير، ص 267–70. ابن عذاري، البيان، مجلد 1، 129.
98– علي معمر، نفس المصدر ، الجزء الثاني، ص 130.





قصيرة اعيد إلى منصبه.

وانتهت حياة الامام الرستمي أبي حاتم بالاغتيال، فتولى اخوه الامامة، على الرغم من ان ابنه كان مسئولا عن قتل عمه.[99] وكان ذلك في سنة 294 هـ – 907م. وعلى العموم، ولم يكتب للدولة الرستمية البقاء طويلا بعد هذا الحدث. فقد دخل الجيش الفاطمي مدينة تاهرت في سنة 296 هـ – 909م. وكان ذلك ايذانا بخروج الدولة الرستمية من مسرح التاريخ.[100]

ولقد ظل جبل نفوسة بعد سقوط الدولة الرستمية مستقلا بذاته، وبعيدا عن سيطرة القوى الخارجية. وباءت كل المحاولات للاستيلاء على هذه المنطقة بالفشل. ولم يتحقق هذا الفعل الا بعد زمن طويل. وكان ذلك ابان حكم الاتراك لليبيا.

وانتقل تعيين حاكم جبل نفوسة بعد انهيار الدولة الرستمية إلى لجنة مشكلة من علماء ومشايخ الجبل. وكانوا في بعض الاحيان يختارون حكاما لمناطق الجبل المختلفة.

وتندر المعلومات عن الأباضيين، خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية، وفي المراجع غير الأباضية. اما المراجع الأباضية فينقصها الترتيب الزمني لأولئك الرجال الذين حكموا بجبل نفوسة. ولذلك بذل الجهد في هذا البحث لمحاولة متواضعة، وصولا إلى تصنيف زمني لحكام الجبل. اضافة إلى التطرق إلى ذكر بعض الاحداث التاريخية ذات العلاقة. ويبدو ان افلح بن العباس قد توفي بعد فترة قصيرة من دخول الفاطميين إلى تاهرت. وبما ان الجبل فقد الكثير من الرجال

99– أنظر دبوز، نفس المصدر ، ص 609.
100– ابن عذاري، البيان، مجلد 1، ص 197.

في معركة مانو، فقد اتفق مشائخ الجبل على محمد بن عبد الله الخيار، ليكون امام للدفاع.[101] ولم يلبث ان تولى المنصب بعده أبو يحيى زكريا الأرجاني، في بدايات القرن الرابع الهجري.[102]

والراجح انه في عهد أبي يحيى هذا، قام الخليفة الفاطمي عبيد الله، بارسال جنده إلى جبل نفوسة. ولكن اهالي نفوسة تمكنوا من صدهم بمعركة الجزيرة في وادي شروس. ولم تكن المحاولة الاخرى التي قام بها الفاطميون بمهاجمة (تاركت) إلى الغرب من شروس أفضل من سابقتها.[103] وتجدر الإشارة إلى اغتيال أبي يحيى، قرب نهاية المعركة من قبل احد اعوانه، في سنة 310هـ – 922م. وعلى الرغم من وجود أبي يحيى حاكم الجبل في هذه المعركة، يذكر ابن عذاري ان قائد الأباضية كان يدعى أبو بطة.[104]

ولقد اتفق اهالي نفوسة على اختيار أبي عمرو بن منصور إلياس خلف لأبي يحيى، ولكنه تلبية لرغبة اتباعه ترك الحكم بعد فترة وجيزة. وكان الذي ولي المنصب بعده، أبو يحيى ارجواني. واثناء حكمه هاجم العباسيون الجبل. فتصدى لهم أبو يحيى. وباءت هذه المحاولة للسيطرة على جبل نفوسة مرة اخرى بالفشل.[105]

101– الشماخي، السير ، ص 236–7. علي معمر ، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 147–50.

102– الشماخي، السير ص 243. علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 151–52.

103– الشماخي، السير، 243. تيركت قرية قديمة. 42 كلم إلى الغرب من كاباو.

104– ابن عذاري، البيان، ص 187.

105– الشماخي، السير، ص 244، علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 155.





وأثناء رجوع أبي يحيى من هذه المعركة إلى (جادو) اغتاله احد رجاله. فتكرر المشهد والمصير الذي واجهه والده اثناء مهاجمة الفاطميين لمنطقة (تاركت)، ولكن أبا يحيى اوصى اصدقائه قبل وفاته، ان يكون زايد بن افصيط الدرفي خلفا له في الحكم. ويبدو ان اهالي نفوسة لم يعملوا بهذه الوصية. وطلبوا من أبي عمرو بن أبي منصور إلياس ان يشغل المنصب. فاستجاب لهم قائلا : (لو لا ان اكون كمن قتل نفوسة مرة اخرى ما رجعت في اموركم).[106]

وابان حكم أبي عمرو، كان أبو خزر يتجهز للانتفاضة ضد الفاطميين بتونس.[107] فقام بارسال مبعوث إلى جبل نفوسة بقصد التحريض ومشاركة اهالي نفوسة في الثورة. وعرض أبو عمرو الامر على علماء الجبل ومشائخه. فرفضوا الدعوة معتذرين بفقدان الكثير من المحاربين في معركة (مانو)، واذا فالظرف لا يسمح بفتح جبهة جديدة ضد الفاطميين الاقوياء. وعلى الرغم من ذلك ولم يكن امام أبي عمرو الا الأسلوب السياسي، فوعد المبعوث بالمشاركة في هذه الثورة اذا تغيرت الاحوال إلى الافضل.

ولم يشهد أبو عمرو هذه الانتفاضة، حيث وافاه الاجل، وتولى مكانه ابنه أبو زكريا. ووفقا للمصادر الأباضية كان اعلم من انجبتهم نفوسة. ومرت فترة حكمه، التي دامت ما بين ستين إلى سبعين سنة في هدوء وسلام.[108] وجاء في مدحه: (لم تر معه نفوسة نكبة).

ولقد ثار أبو خزر في وجه الفاطميين في عهد أبي زكريا. ولكنه هزم، وفر ليجد ملاذا له في جبل نفوسة. ونتيجة للجهود التي بذلها

106– الشماخي، السير، ص 318.

107– الباروني، نفس المصدر، ص 45. الشماخي، السير،ص 349–50.

108– الشماخي، السير، ص 318.

صديقه أبو نوح، عفا عنه الخليفة الفاطمي. وعاد إلى المهدية حيث استقبل استقبالا حسنا.[109]

وعندما اكتمل بناء مدينة القاهرة بمصر، قرر الفاطميون الانتقال إليها، فطلب الخليفة الفاطمي أبو تميم من أبي نوح وأبي خزر مرافقته. فوافق أبو خزر واستعفى الاخر. وغادر الاخير المهدية إلى ورجلان بجنوب الجزائر.[110]

ويبدو انه في الفترة التي قضاها أبو زكريا في حكم الجبل، قليل من الرجال عينوا لادارة مناطق صغيرة. وعلى العموم كان الدور المنوط بهم مساعدة الحاكم في تسيير امور الجبل. وكان محمد الدرفي احد هؤلاء النفر، وكان نفوذه مقصورا على جادو وضواحيها. وبعد وفاته خلفه ابنه أبو يحيى يوسف في شغل هذا المنصب. وفي عهد الاخير هاجمت جماعة من زناتة منطقة جادو، وتمكنت من تدمير قرية (إدرف)[111] وكان أبو يحيى بن ماطوس الشروسي، في عهد أبي زكريا حاكما بقرية شروس. ولقد اشتهر بالعلم والتدين. وانشأ مدرسة عرفت بمدرسة ابن ماطوس. وجذبت إليها الكثير من طلاب العلم الأباضيين.[112] ولقد عاصر ابن ماطوس عبد الله بن محمد اللالوتي، الذي كان يحكم (لالات).[113] كما تولى تلميذه يحيى بن سفيان الحكم في نفس المكان.

109– المصدر السابق، ص 354.

110– المصدر السابق، 354–7.

111– المصدر السابق، ص 288.

112– المصدر السابق، ص 276–8. علي معمر ، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 17–60.

113– الشماخي، السير، ص 238–9. علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 173–9.





وتحوطا لما يمكن ان يزعزع الامن الذي تنعم به الناس في عهد أبي زكريا، طلب منه ان يوصي بمن يخلفه في حكم الجبل، فقال لهم، انه يوصي بثلاثة رجال وهم أبو زكريا اللالوتي، ولكن ما لا يؤهله وجوده بالركن الاقصى من الجبل. وأبو يعقوب البغتوري ولكن اهل نفوسة لا يرون ان تتقدم قبيلته عليهم. وعيسى أبو داوود سليمان الدرفي، فاذا قبل فهو الافضل.

وعندما توفي أبو زكريا، صرف المشائخ النظر عن عيسى الدرفي. واختاروا أبو موسى عيسى. ثم اجتمع الراي بعد فترة وجيزة على أبي هارون موسى بن هارون الباروني، الذي قرر الانتقال إلى قرية (ابناين) بمنطقة كاباو. وذلك رغبة في مجاورة امراة اشتهرت بالعلم. وكانت تدعى الجدة.[114] وبنى في هذه القرية مسجدا ومدرسة.[115]

واذا عرجنا على منطقة جادو، فاننا سنسمع عن أبي عبد الله بن محمد بن يحيى الدرفي، وعن اخيه أبي داوود سليمان الذي خلفه في حكم بني زمور.[116] والراجح ان سليمان التندميري قد خلف أبا هارون موسى. ولكن سليمان تنازل عن الحكم لابي عمرو ميمون الشروسي. وفي عهد هذا الاخير وصلت إلى شروس قافلة تجارية قادمة من بلاد السودان (وسط إفريقيا).[117] وكان ان قام وفد للقافلة بتقديم هدية ثمينة لابي عمرو. ولكنه رفض قبول الهدية. واهاب

114– الشماخي، السير، ص 321.

115– المصدر السابق، ص 301، أنظر أيضا ، أبو اليقظان إبراهيم. سليمان باشا الباروني في اطوار حياته، الجزائر 1956، ص 9–10.

116– علي معمر ، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 172. الشماخي، السير، ص 287–8.

117– الشماخي، السير، ص 273.

بالاهالي التعامل مع أولئك التجار.[118] ويبدو ان ابا عمرو – نتيجة لورعه الشديد – احس بثقل المسؤولية، فتخلى عن منصب الحكم.

ووجب ان نشير ايضا إلى أبي الربيع سليمان بن هارون الباروني، الذي تولى حكم جبل نفوسة، تذكر المصادر الأباضية، انه كان تلميذا لأبي زكريا اللالوتي. وانه قتل وهو في سن السابعة والعشرين، بعد ان نقل مركز اقامته إلى قرية (ابناين).[119]

وتذكر المصادر الأباضية، ومن نقل عنها من الباحثين، ان نزاعا بين شروس وجارتها قرية ويغو، قد تطور إلى نزاع مسلح. وتسببت الحرب بينهما في تدمير قرية شروس، التي كان يحكمها أبو الشعتاء البغتوري. اما ويغو فكان يديرها أبو عبد الله الاكبر.[120]

وما يستشفه المرء من قراءة الاحداث، ان ابا الفضل سهل تزامن اختياره حاكما عاما لجبل نفوسة مع اضطرابات بمناطق متعددة من الجبل. ولقد نال شهرة واسعة بفضل جهوده التي اثمرت اعادة الهدوء والامن للمنطقة. ويبدو انه الوحيد الذي تفرد بمهاجمة غدامس، على إثر ما تردد من اخبار عن الفساد المستشري بالمدينة، كما انه الرجل الذي ينسب إليه إنشاء حاميات في مواقع استراتيجية من جبل نفوسة. وذلك لحماية السكان من غارات القبائل.[121]

وأدى سقوط الدولة الرستمية بأهالي جبل نفوسة، إلى التفكير فيما يحافظ على وحدة الجبل ومنعته أمام الاطماع الخارجية. وتوصلوا

118– المصدر السابق، ص 274.

119– المصدر السابق، ص 299. علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 193–6. أبو اليقظان نفس المصدر، ص 12.

120– الشماخي، السير، ص 326.

121– المصدر السابق، ص 275. علي معمر ، نفس المصدر، ص 169.





إلى ابتداع فكرة تتمثل في تشكيل لجنة من العلماء، وتكون مهمتها اختيار الحكام والتشاور فيما يخص شؤون الجبل، وتتكون هذه اللجنة من رجال ينتمون إلى مناطق متعددة من الجبل. ولقد عرفت هذه اللجنة عند الأباضيين باسم (العزابة).[122] وربما يرجع الفضل في تنظيم هيكلية اللجنة وتوضيح اختصاصاتها وتطوير آلياتها إلى أبي عبد الله محمد بن بكر، في اواخر القرن الرابع الهجري – العاشر – مسيحي.[123]

وكان المعز لدين الله الفاطمي، عند مغادرته مدينة المهدية إلى مصر، قد اوكل حكم افريقية (تونس) إلى بلكين بن زيري. وبمباركة الخليفة الفاطمي العزيز بالله، اتسع حكمه ليصل إلى نواحي سرت وبرقة بليبيا. الامر الذي جعل من ابن زيري مؤسسا لدولة ستقوم بدور كبير في تاريخ المغرب العربي.

ولقد انقسمت دولة بني زيري إلى قسمين مع نهاية القرن الرابع الهجري – العاشر مسيحي واصبح بنو حماد حكاما للجزء الغربي، متخذين من قلعة بني حماد مركزا للحكم، بينما احتفظ الزيريون بالجزء الشمالي الشرقي. وكانت عاصمتهم القيروان.[124] وتحول ولاء المعز بن باديس من الفاطميين إلى العباسيين، قرابة منتصف القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي.[125] ولقد نظر الفاطميون

122– لمزيد من التفصيل أنظر، علي معمر، نفس المصدر، لجزء الثاني، ص 97–110.

123– الشماخي، السير، ص 401، علي معمر، نفس المصدر، الجزء الأول، ص107.

124– ابن خلون، العبر، مجلد 6، ص 155–67. عبد الوهاب، نفس المصدر، ص 105. أنظر أيضا، Bosworth نفس المصدر، ص 26–7.

125– ابن خلدون، العبر ، مجلد6، ص159، عبد الوهاب، نفس المصدر، ص111–2.

إلى هذا الامر بعين السخط، ولم يكن بامكانهم توجيه الجيوش نحو المغرب. ذلك لان اولويتهم كانت مركزة على المشرق حيث الدعم الحقيقي لدولتهم الفتية، وحيث المنافس الحقيقي لهم والممثل في الدولة العباسية. ولذا قام الفاطميون بترغيب القبيلتين العربيتين، بني هلال وبني سليم في خيرات المغرب، واذنوا لهم بعبور نهر النيل. وكان الفاطميون يقصدون بهذا الفعل الانتقام من بني زيري ومعاقبتهم على نقض العهود، بتحول ولائهم للعباسيين.

وانطلقت جموع القبيلتين يحدوها الأمل في الثروة والسلطان. وكانت أثناء سيرها تدمر وتحرق ما تمر به من خضرة وتقلق ما تمر به من تجمعات سكنية.[126] ولم تكد تصل طلائعها إلى تونس حتى انسحب بنو زيري من القيروان، وتحصنوا بمدينة المهدية. وظل بنو زيري بالمهدية حتى اكتسحتها جيوش النورمانديين في القرن السادس الهجري – الثاني عشر مسيحي.[127] ولم يخرجها منها سوى جيوش الموحدين، التي وضعت يدها أيضا على ممتلكاتها بني حماد وبني زيري.[128]

وجب ان نذكر ان العرب المسلمين الذين وصلوا إلى بلدان المغرب منذ القرن الأول الهجري – السابع الميلادي، لم يرق لكثير منهم الاستقرار والبقاء في البلاد المفتوحة. ان ظاهرة التوطن هذه في بلدان المغرب لم تكن ظاهرة بشكل ملموس، إلا في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي. وبداية هذه الظاهرة كانت

126– ابن خلدون ، العبر، مجلد 6، 13–5 التيجاني، رحلة، ص 17.
127– ابن خلدون، العبر، مجلد 6 ، ص 161–2
128–عبد الوهاب، نفس المصدر، ص 121.





باستقرار مجموعات منهم في الأراضي الممتدة بين برقة والقيروان.[129] ولا جدال ان مقدم قبيلتي بني هلال وبني سليم، قد اضفى عليهما طابع الاستقرار والتوسع والهيمنة. ولم تكن منطقة جبل نفوسة بمعزل عن التأثر بهذه الظاهرة.[130]

ولقد أشير فيما سبق إلى ان أسرة أبي منصور إلياس حكمت الجبل لفترة غير قصيرة، إبان القرن الرابع الهجري – العاشر مسيحي – وتلتها على هذا النسق أسرة الباروني، التي استقر حكامها في قرية ابناين، ثم في يفرن الواقعة في الجهة الشرقية من جبل نفوسة. وكان الحاكم الثالث من هذه الأسرة، أبو زكرياء بن يحيى إبراهيم معدودا من الشخصيات البارزة في تاريخ الجبل،[131] إبان القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي. وولداه أبو عبد الله وأبو منصور توليا أيضا الحكم بعد أبيهما.[132] ولا توجد أدلة تساعد في تحديد فترة حكمهما، إلا ان عهدهما – كما يبدو – كان عهد سلام واستقرار.[133]

ولقد قام قراقش في عام 568 هـ – 1172م، بجمع جيش كبير – كما فعل العباس بن طولون من قبل – وتقدم به صوب المغرب، املا في ترسيخ دعائم الحكم العباسي.[134] ونتيجة لسوء

129– ابن خلدون، العبر، مجلد 6، ص 12–72، التيجاني، رحلة، ص 15.
130– الطاهر الزاوي، معجم، ص 144–5، ذكر الشماخي ان مجموعة قليلة من العرب واليهود أيضا كانت مستقرة بالجبل، قبل قدوم بني هلال وبني سليم إلى المنطقة.
131– الشماخي، السير، ص 539.
132– المصدر السابق، ص 359. وقارن، اليقظان، نفس المصدر، ص 16.
133– الشماخي، السير، ص 546. اليقظان، نفس المصدر، ص 19.
134– وهو احد جنود صلاح الدين الايوبي – أنظر، ابن الاثير، الكامل، مجلد 11، ص 25، 256. وانظر، التيجاني، رحلة، ص 112.

الفهم الذي حدث بين قراقش ورفيقه قراتكين، انقسم الجيش إلى فريقين. فسلك الأخير الطريق بمحاداة الساحل حتى وصل إلى قفصة بتونس، حيث لقي حتفه. أما قراقش فقد اتجه إلى الجنوب، مخترقا واحة سيوة، ثم إلى زويلة في الجنوب الليبي. واستطاع القضاء على أسرة بني الخطاب، التي كانت تحكم المنطقة لفترة من الزمن.[135]

وقام قراقش أيضا في عام 582 هـ – 1186م. بمهاجمة أراضي جبل نفوسة، بمساعدة بعض القبائل العربية. وتمكن من الاستيلاء على مدينة اطرابلس.[136] وفي هذه الأثناء نجح يحي وعلي إبنا غانية في نزع المهدية وصفاقس وقابس من السيطرة الموحدين.[137] وسيطروا أيضا فيما بعد على مدينة تونس في عام 586 هـ – 1191م.[138] وفي ذات السنة التقى الموحدون بجيشي يحي بن غانية وقراقش في منطقة (الحامة)، قرب مدينة تونس، وكان النصر في هذه المعركة حليف الموحدين، الذين سيطروا بعدها على كل من مدينتي قابس وطرابلس.[139] ولقد تمكن ابن غانية من الفرار إلى الصحراء باتجاه الجنوب التونسي.

و لم يطل الفرار بابن غانية حتى عاد ليستولي على مدينة

135– التيجاني، رحلة، ص 113. ابن خلدون، العبر، مجلد 6 ص، 191–2، أنظر أيضا، الزاوي، الفتح العربي، ص 239.

136– التيجـــاني، رحلة ، ص 113. الزاوي، الفتح العربي، ص 240، وقارن ابن الاثير، الكامل، مجلد 10، ص 256.

137– المزيـــد من المعلومات عن ابني غانيـــة أنظر، ابن خلدون، العبر، مجلد 6، ص 190–1.

138– الزاوي، الفتح العربي، ص 238–9.

139– ابن خلدون، العبر، مجلد 6، ص 238–9.





القيروان.[140] ونجح قراقش هو الآخر في استعادة سيطرته على مدينة طرابلس، ولكنه لم يلبث ان هزم، وغادر المدينة متجها إلى ودان بالجنوب.[141] أما ابن غانية فقد حاول الاستيلاء على جبل نفوسة، ولكنه هزم في منطقة جادو. وكرر المحاولة مرة ثانية بنية الاستيلاء على شروس. ولكنه مني بالهزيمة عند موقع الجزيرة بوادي شروس.[142] واضطر حاكم الجبل آنذاك، أبو يحي زكرياء الباروني، إلى استشارة العلماء في حكم الغنائم التي تركها جيش ابن غانية وراءه. فاشار العلماء عليه باحراقها. ولم يتلكأ زكرياء في القيام بهذا الفعل.[143]

وتصف المصادر الأباضية أبو زكرياء الباروني بالرجل المتميز علما وتدينا. ولقد استطاع بفضل هذه الشخصية ان يقنع الأباضيين بكثير من الأفكار الجديدة والاجتهادية في إطار المذهب الأباضي.[144] وربما دلت هداياه الكثيرة، التي كادت ان تصل إلى كل بيت في الجبل، على ثرائه وكرمه. ونتيجة لهذا التميز أطلق عليه الأباضيون لقب أمير المؤمنين.[145]

وكان أبو نصر التملوشايتي حفيدا وتلميذا لأبي يحي زكرياء. ويذكر الشماخي انه من الذين تولوا حكم جبل نفوسة. وكان رجلا

140– المصدر السابق، ص 193. رحلة، ص 104–5.

141– التيجاني، رحلة، ص 244–6.

142– علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 200–1. أبو الربيع، نفس المصدر، ص 49. الشماخي، السير، ص 547. وقارن التيجاني، رحلة، ص 244، 36.

143–علـــي معمر، نفس المصدر، ص 201. أبو اليقظان نفس المصدر، ص 22، الشماخي، السير، ص 547.

144– الشماخي، السير، ص 546. أطلق اسم الامام الرستمي عبد الوهاب على هذه المدرسة. واطلق على منتسبيها الوهبيون، والصحيح الوهابيون.

145– المصدر السابق، ص 546–7. علي معمر، نفس المصدر، ص 197.

مشهورا بغزارة العلم. وكان رئيسا لحلقة كما شاع عنه. والحلقة عبارة عن مجموعة من العلماء، كانت تتجول بانحاء الجبل نشرا للعلم والمعرفة.[146] وإذا أخذنا بقول الشماخي يمكننا الجزم على توليه الحكم في النصف الأول من القرن السابع الهجري – الثالث عشر مسيحي. ويكون ذلك العمل العلمي قد قام به قبل تسليمه لدفة الأمور بجبل نفوسة.

ولقد ثار أبو زكرياء يحي بن عبد الواحد في وجه الموحدين حكام المغرب في بداية القرن السابع الهجري – الثالث عشر مسيحي، بافريقية (تونس). واستطاع ان ينتصر عليهم ويؤسس النواة الأولى للدولة الحفصية.[147] ولكن المعلومات التاريخية، تشير إلى ان جبل نفوسة كان يدار بواسطة الحكام الأباضيين حتى نهاية القرن السابع الهجري – الثالث عشر مسيحي، تؤكد على ان جبل نفوسة لم يخضع لسيطرة الحفصيين. وهذه المعلومات ترتبط بحاكم الجبل، الشيخ إبراهيم بن أبي يحي الباروني، الذي كان تلميذا لعيسى بن عيسى الطرمسطي. ولقد توفي كلاهما في عام 722 هـ، 1322م.[148] ويشير الشماخي إلى وقوع معركة بين العرب وأهالي نفوسة، في عهد الشيخ إبراهيم هذا.[149] وتدلل هذه المعلومات إلى استقرار مجموعات عربية بالجبل في هذه الفترة.[150]

146– الشماخي، السير، ص 553–4.
147– عبد الوهاب، نفس المصدر، ص 128. .Rossi , op, cit p. 554
148– الشماخي، السير، ص 554.
149– المصدر السابق، ص 558، أبو اليقظان، نفس المصدر، ص 26–7.
150– فرسطة قرية قيمة أنشئت على سفح جبل، إلى الشرق من كاباو، وهي مهجورة الان، ولكن مبانيها لازالت قائمة.





ونستطيع ان نتبين اضمحلال النفوذ الأباضي في الجبل في المنتصف الأخير من القرن الثامن الهجري – الخامس عشر مسيحي. فعلى الرغم من احتفاظ الأباضيين بولائهم لعلمائهم ومشائخهم، فزيادة أعداد العرب والنفوذ الخارجي اضحى شيئا فشيئا ظاهرا للعيان، ولذا لم يكن بوسع المشائخ اختيار حكام الجبل، ولكن بقي باستطاعتهم اختيار من يرونهم اهلا للاهتمام بشؤون مناطقهم الصغيرة.[151]

وكانت طرابلس، ولفترة طويلة من الزمن، مدينة تتناوب السيطرة عليها، دول ومجموعات إسلامية، ولكن في سنة 916هـ – 1510م، وقعت تحت سيطرة الاسبان.[152] وكان هذا الحدث بادية منعطف تاريخي جديد. وما يهمنا هنا هو ان جبل نفوسة لم يتأثر البتة بهذا الغزو، إذ ان الاسبان لم يتجاوزوا ضواحي طرابلس. وهكذا كان الحال بالنسبة لفرسان القديس يوحنا، الذين قدموا من مالطا، لاستلام المدينة من قبل الاسبان في عام 937هـ – 1530م.[153]

واستطاع القائد التركي، درغوت باشا، الاستيلاء على مدينة جربة والمهدية وتونس،[154] قريبا من منتصف القرن العاشر الهجري – الخامس عشر مسيحي. فالتقى أبو سليمان داود بن إبراهيم في معية وفد من نفوسة بالقائد التركي في جزيرة جربة. وفي هذا اللقاء اظهر درغوت باشا حنقه حول الفوضى التي عمت المدينة أثناء غيابه. ولقد اعتذر أبو سليمان بعجز مشائخ الأباضية عن تعيين أو عزل من يتولون

151– الشماخي، السير، ص 569–70. ابن خلدون، العبر، مجلد 6، ص 277.
152– Rossi، نفس المصدر، ص 111–2.
153– المصدر السابق، ص 127. الزاوي، الفتح العربي، ص 283.
154– Rossi، نفس المصدر، ص 137.

القيادة. ولكن درغوت باشا لم يقبل هذا العذر. فوضع أبا سليمان في السجن إلى ان وافاه الأجل في سنة 967هـ – 1560م.[155] وفي هذه الفترة تمكن الأتراك من الاستيلاء على مدينة طرابلس. وبالتحديد في عام 958هـ – 1551م، وبذلك أصبح جبل نفوسة أيضا تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية.[156] واضحى تعين من يدير شؤون الجبل بيد الوالي التركي المقيم بمدينة اطرابلس.

واستمر الحكم العثماني لليبيا لمدة قاربت أربعة قرون. وفي بداية القرن العشرين، وبالتحديد في سنة 1911 مسيحي. نجح الايطاليون في هزيمة الأتراك، ووقعت طرابلس في قبضة الاحتلال الايطالي. وأثناء فترة الحكم الايطالي، ووقعت مواجهة أخرى بين العرب والأباضيين بجبل نفوسة. فتمخضت عن كثير من الضحايا والخسائر. كما تعرضت كثير من المخطوطات للتلف والتدمير.[157] وكانت في مجملها مأساة وطنية، وإبان فترة الحكم الايطالي أيضا سادت اجواء الانتفاضات المسلحة والحركات التحريرية والجهادية.

ودخلت ليبيا مرحلة تاريخية جديدة مع انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة ايطاليا من قبل الحلفاء. فوضعت ليبيا تحت وصاية وحماية كل من بريطانيا وفرنسا. الأولى تشرف على اطرابلس وبرقة، والثانية على إقليم فزان بالجنوب الليبي.

وأخيرا وليس بآخر، صدر قرار الأمم المتحدة باعتبار ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة في أواخر سنة 1951م. وفي أول يوم من

155– رويت هذه القصة عن محمد بن زكرياء البارووني، في ملحق كتاب الشماخي، ص 174–6.

156– علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثاني، ص 145.

157– أبو اليقظان، نفس المصدر، ص 174–6.





سبتمبر ( الفاتح) تفجرت ثورة بالبلاد. ولم تمض فترة ثمانية سنوات حتى أعلن الحكم الشعبي في ليبيا. وظهر الاسم الرسمي الجديد للبلاد تحت عنوان: الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

**حكام جبل نفوسة إبان الدولة الرستمية.**

**السمح بن الخطاب (إمامة عبد الوهاب)**

**خلف بن السمح**

**أبو الحسن بن العباس**

**أبو عبيد الجناوني**

**العباس بن أيوب (إمامة افلح )**

**أبو منصور إلياس (إمامة اليقظان )**

**أفلح بن العباس (الولاية الثانية )**

**أفلح بن العباس (الولاية الثانية )**

**حكام جبل نفوسة منذ سقوط الدولة الرستمية حتى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر مسيحي**

**أفلح العباس**

**محمد ابن أبي الخير**

**أبو يحيى الأرجاني**

**أبو عبد الله أبو عمرو بن منصور إلياس**

**أبو زكرياء يحيى الأرجاني**

**أبو عبد الله منصور إلياس**

**أبو زكرياء أبو عبد الله**





**أبو موسى عيسى**

**أبو هارون موسى**

**سليمان التندميري**

**أبو عمر الشروسي**

**(لالات) (شروس) (جادو)**

**أبو عبيد الله جلدسين محمد الدرفي**

**أبو يحيى ماطوس أبو يحيى يوسف**

**أبو زكرياء يحيى**

**أبو الشعتاء**

**أبو معروف**

**(ويغو) (بنو زمور)**

**أبو عبد الله أبو داود**

**أبو عبد الله الأكبر**

**حكام جبل نفوسة منذ نهاية القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي، حتى منتصف القرن الثامن الهجري – الرابع عشر مسيحي.**

**أبو الربيع سليمان الباروني**

**أبو الفضل مسهل**

**أبو زكرياء يحى الباروني**

**أبو عبد الله الباروني**

**أبو منصور الباروني**

**أبو يحى زكرياء إبراهيم الباروني**

**زكرياء يحى الباروني (الشيخ)**

**(توفي في سنة 722هـ – 1322م).**

# الفصل الثاني

## نالوت – كاباو

## مدينة نالوت القديمة – القصر – المسجد العلوي

## مدينة كاباو القديمة – قصر التخزين

## مسجد تنومايت – مسجد أبناين

## نالوت – كاباو
## مدينة نالوت القديمة – قصر – المسجد العلوي
## مدينة كاباو القديمة – قصر التخزين
## مسجد تنومايت – مسجد ابناين

لا يعثر المرء في المصادر العربية إلا على قليل من المعلومات ذات الصلة بجبل نفوسة. ولذا يجد المرء نفسه معتمدا على المصادر الأباضية، التي لا يمكن ان توصف إلا بالندرة، في سبر أغوار تاريخ هذه المنطقة. أما في المجال الجغرافي، فان هذه الرقعة لم تخضع لدراسات جادة بعد. ووقفنا لهذا الغموض المعلوماتي، الذي ربما يتوفر بشكل أفضل في أماكن أباضية أخرى، وجب الاعتماد بالدرجة الأولى على المادة المجمعة من خلال الدراسة الميدانية ذات الصلة بموضوع هذا البحث وذلك من اجل خلق أرضية لدراسات أكثر عمقا وتفصيلا.

تقع مدينة نالوت على مسافة تقدر بنحو 270كم، إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس. وتنتشر أطلال القرية القديمة على قمة جبل يشرف على وادي نالوت الكبير في الجهتين الشرقية والجنوبية. ويقع في وسط هذه القرية قصر التخزين، الذي يتراءى من جميع الجهات مهيمنا على سائر اطلالها. (أنظر، شكل 2،1) ويبدو المسجد الأعلى (العلوي) في الجهة الشمالية من القصر، على مسافة 15 متر تقريبا. ويحتل المسجد الآخر الذي يعرف بالمسجد اللوطي مكانا اقل انخفاضا، في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الأول. وعلى الرغم من تصدع بعض أجزائه، إلا انه لا زال محتفظا بمظاهر معمارية هامة.

شكل 1 منظر عام لمدينة نالوت القديمة كما تبدو من الجهة الشرقية

شكل 2 الجانب الغربي من قصر التخزين مع بقايا منازل قديمة





وإن المبنى الذي يعتقد انه كان يمثل قاعة المحكمة، لا زال هو الآخر ظاهرا للعيان. وهو لا يبعد كثيرا عن قصر التخزين (أنظر شكل 3).

وتتراص بيوت القرية مشكلة شبه قطعة واحدة من البناء، تخترقها في الأغلب طرق ضيقة ومتعرجة. وتعد هذه القرية اليوم شبه مهجورة. (أنظر شكل 4) فلقد انتقل الناس إلى مدينة نالوت الحديثة، الواقعة في الغرب والجنوب الغربي من القرية القديمة.

يقدم موندادوري (Mondadori) وصفا لنالوت القديمة على الوجه التالي :يحيط بنالوت جبال كانت في وقت ما عرضة لنشاط بركاني .وتتكون هذه الجبال – في الأغلب – من طبقات الحجر الجيري ذي اللون البني الفاتح .وتمتد الأحجار الصلبة ذات الألوان المتعددة على شكل أفقي في الطبقات المكونة للجبال .ويفصلها عن بعضها البعض أمتار قليلة .ولقد تصلبت العليا ،نتيجة للعوامل الجوية بينما ظلت المستويات الدنيا في وضع قابل للتحليل .وهو ما أدى إلى أحداث اخاديد ومنابع مائية .كما ان تسطح قمم بعض الجبال يسر بناء القرى الصغيرة عليها[158]. ويقول موندادوري أيضا، ان قرية نالوت القديمة تذكرنا بقرى جبال التبت. وإنها بوضعها الحصين هذا شكلت مناعة ضد هجمات الجيوش العربية. كما شكلت من جهة أخرى، حماية لسكانها من اعتداءات القبائل المجاورة، وينسب موندادوري تاريخ إنشاء قرى هذه المنطقة إلى القرن السادس مسيحي.

ولا يتعرض الكاتب إلى تفصيلات بخصوص مباني نالوت القديمة. ولا يهتم بما أحدثه الإسلام من تحولات عقيدية واجتماعية.

158- A, Mondadori, Irineraire Tripolis Ghudames, Verona, 1939, P – 38.

ويبدو انه نتيجة لندرة المصادر التاريخية المترجمة إلى اللغات الأوربية، والمتعلقة بهذه المنطقة، لم يتطرق إلى دور نالوت في إطار العلم والتعليم.

شكل 3 مبنى محكمة نالوت القديمة كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية

شكل 4 (الصمعة) الخاصة بالمسجد الأعلى بنالوت الدالة على مكان المسجد

ويعزى موندادوري كذلك، وجود القرى المجاورة لنالوت القديمة إلى تفرعها عن القرية نالوت الأم. ويقول ان هذا التمدد ربما





كان طلبا لايجاد مصادر جديدة للمياه.[159] ويخلص إلى القول بان هذا التوسع الذي شهدته منطقة نالوت، تم عبر حقب زمنية تقدر بأربعة قرون.[160]

ولا يذكر موتيلنسكي (Motylinski) شيئا عن جغرافية نالوت .ولكنه يشير إلى موقعها الجبلي ،الذي يشرف في الجهة الشرقية على اخاديد وعيون للماء ،استعملت فقط لسقي الأغنام. أما العين التي تدعى) عين تغليس (فقد استعملت لحاجات الناس. ويوجد الوادي الذي تملأه أشجار الزيتون والنخيل ،لمسافة عشرة أميال ،إلى الجهة الغربية من قرية نالوت القديمة[161].

ويضيف ليفسكي (Lewicki.) تحديد الموقع ،ان نالوت تعد من اكبر التجمعات في الجبل الغربي ،وتعتبر محطة للاستراحة بين طرابلس ومدينة صبره .ويشير إلى أهمية موقعها ،الذي يربط بين مدينة غدامس ومدن الشمال بالساحل الليبي .كما انه يتعرض لتفسير كلمة، (Taglis) فينفي إنها كلمة بربرية لاتينية افريقية .ويجزم بأنها اشتقاق من الكلمة اللاتينية .(Acclacia) وهي شاهد على وجود مسيحي قديم بالمنطقة .ويرجع ليفسكي إنشاء قرية نالوت القديمة إلى القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي .ويمضي في حديثه مستنطقا التاريخ فيقول) :عندما كان العباس بن أيوب يحكم جبل نفوسة، بموافقة الرستميين ،كانت نالوت مركزا للتعليم الديني .والقليل من تاريخ هذه القرية معروف .ولكن ما نعرفه أكثر هو ما يتعلق بالقرن

159– المصدر السابق، ص 40.

160 – المصدر السابق ، ص 40

161– A– De calassanti Motylinki, le Djebel Nefousa, paris. P– 107.

الرابع الهجري – العاشر مسيحي ،حيث انقسم الجبل إلى مناطق مستقلة ،وكانت نالوت في هذه الفترة تدار بواسطة رجل يتفرد بحكم المنطقة بالطرف الغربي من الجبل[162].

ولا يتعرض الشماخي في (سيره) إلى هذا النسق من الوصف، عندما يتعرض لذكر نالوت (لآلات) من آن إلى آخر، ولكنه يشير إليها كمدينة أنجبت الكثير من العلماء. وهذا ما يدل على أهمية مركزها العلمي الديني في القرون الإسلامية الأولى.[163]

ويبدو مستغربا ان الكاتب على معمر، الذي اهتم بتاريخ الأباضية في الشمال الإفريقي، لم يسهب في الحديث عن مدينة نالوت. وكل ما يذكره متعلق بالوادي المليء بأشجار الزيتون. ويقول ان لهذه المدينة تاريخ إسلامي طويل. ولكنه لا يفصل هذه العبارة. وبالإضافة إلى اشارته إلى مصادر المياه بنالوت، يميز ماء عين تغليس بعذوبة طعمه.[164]

ويجدر بنا ان نعرج ثانية على ما كتبه موتيلنسكي، باعتباره وصفا أدق لقرية نالوت القديمة. فلقد أشار إلى ان منازل نالوت تبلغ حوالي 1600 منزل، ويحيط هذه المنازل المتراصة مبنى قصر التخزين.[165] ويحتوي على 300 حجرة، يحفظ بها الأهالي ما يحتاجونه لاهلهم ودوابهم. وفي الأمسيات ينعقد ما يشبه السوق الصغير في

I, Lewicki, Etudes Ibadites Africanes, partiel, Tasmya –162
suyuh Habal Nafusa wa Qurahum, Warszovu, 1955, pp. 125.–6.

163– الشماخي، السير، ص 197–298– 313–399.

164– علي معمر، موكب، الجزء الثالث، ص 171.

165– كلمة القصر في العربية تعني المنزل الكبير الفخم، أما استعمالها الدارج في الجبل فيقصد بها قصر التخزين، أو القرية بكاملها.





هذا القصر. وثمة من يبيع بضاعته مباشرة للناس، وثمة من يعطيها إلى بائع المزاد (الدلال) ليبيعها. ويوجد في موقع منخفض غير بعيد من القصر، المسجد المستخدم من قبل القاطنين بالمنطقة العليا من الجبل. كما يوجد مسجد آخر، احدث بناء من الأول، خلف طريق العزابة على مستوى أكثر انخفاضا من المسجد الأول. كما يؤكد موتيلنسكي على ان هذا القصر يعد الأكبر في سائر مناطق الجبل.[166]

ويعيد باسيي (Basset.) ذكر نفس المعلومات .ولكنه يضيف ):ثمة أربعة مساجد بنالوت القديمة .احدها هو المستعمل من قبل السكان القاطنين باعلى الجبل .والآخر هو المسجد الجديد ،الذي يقع مسجد العزابة ،والرابع هو مسجد سيدي خليفة)[167].

## قصر التخزين

يحتل قصر التخزين موقعا في وسط بلدة نالوت القديمة. وهو مستطيل الشكل. ويبدو هذا القصر للناظر مشابها لبناء لحصن، إلا انه يختلف عنه بوجود فتحات صغيرة تتوزع على الجدار الخارجي، لتزويد الحجرات بالضوء والتهوية (أنظر، شكل 5) ولم يحظ هذا القصر بتفصيلات كثيرة من قبل الكتاب، الذين تعرضوا إلى ذكره. فيقول – موندادوري مثلا – ان القصر يبدو على هيئة قلعة ويتكون من 300 حجرة. وانه لا وجود لسلم داخل القصر، بل قطع صغيرة من الخشب مغروسة في الجدران. ويبلغ عرض كل حجرة وارتفاعها يبلغ متر واحد. وان محتويات هذه الغرف تتمثل في الشعير والقمح

166– موتيلنسكي، نفس المصدر، ص 107. أنظر أيضا J, Despois, Le Djebel Nefousa, paris/ Tunis, 1935, pp. 234–6.

R. Rossi, les Sanctuaires du Djebel Nefousa, in journal –167 Asiatique. X III, P. 37.

والزيت. وهي كافية لأسرة واحدة لمدة عام كامل.

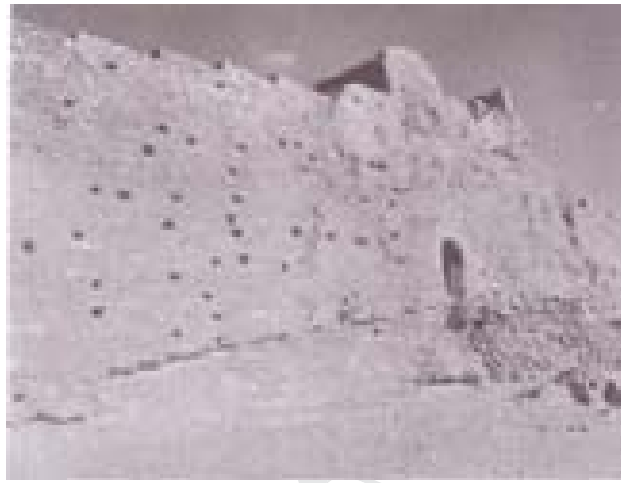

شكل 5 الجانب الشرقي لقصر التخزين حيث المدخل الوحيد للقصر

ويسترسل موندادوري بالقول : (ان ثمة رجل يقوم بالحراسة في هذا القصر ووجوده كعدمه، لان أحدا لا يفكر في سرقة جاره. وعلى الرغم من ضيق المكان، فان اسواقا كانت تعقد بفناء هذا القصر. ولقد نشأت هذه الظاهرة منذ استسلم البربر على مضض للقوى المتغلبة. ولكن نالوت لم تعد اليوم قرية بربرية، بينما ارتبط قصرها المحصن بكثير من الأساطير).[168] ويرجع موندادوري بناء القصر إلى الحقبة البزنطية.[169]

168– موندادوري، نفس المصدر، ص 41–3.

169– المصدر الســـابق، ص 43– وقارن، Islamic Art and Architecture in Libya, London, 1976, P–42.





ان قصر التخزين بنالوت لا زال بحالة جيدة، ويقع مدخله الوحيد في الجهة الشمالية الشرقية. ويبلغ عرضه حوالي 10.1 م، وارتفاعه 10.2 م تقريبا، أما المدخل ذاته فيتكون من شكل شبه مستطيل، ويتمثل في ردهة يبلغ طولها حوالي 43.3 م، ويكتنفها من الجانبين سدة حجرية ملتصقة بالجدار. ويظهر في وسط هذا القصر بناء آخر، حيث ترتفع جدرانه إلى مستوى أعلى من جدران القصر. ويحيط هذا البناء ممر يبلغ عرضه حوالي 1.70م. وهذا المبنى كما هو بقية القصر مشكل من حجرات التخزين، التي تمثل خمسة طوابق في جهة من القصر، وفي الجهة الأخرى تتكون من ستة طوابق (أنظر شكل 6).

شكل 6 جزء من الجانب الغربي لقصر التخزين

وإن ما يلفت النظر غياب الدرج الذي يوصل إلى الطوابق العليا من القصر، فلقد استعيض عنه بوضع قطع صغيرة من جذوع

الأشجار في الجدران وكانت هذه القطع، ولا زالت، وسيلة الصعود إلى الحجرات. والطريقة الوحيدة للحصول على الحاجيات أو وضعها بالحجرات تعتمد على تسلق المرء لهذه القطع الخشبية حتى الحجرة المبتغاة، حيث يضع المتسلق قطعة من الخشب المستطيل فوق قطعتي الجذعين المثبتتين بأسفل مدخل الحجرة، ثم يستعمل الحبل لرفع أو انزال ما يبتغيه.

وتتميز حجرات قصر التخزين بشكلها المستطيل. ويبلغ عرض معظمها حوالي 1.75م بينما يبلغ ارتفاعها 1.65م تقريبا. ويوجد داخل اغلب الحجرات الجرار الكبيرة المستعملة لحفظ زيت الزيتون. وبما ان بعض هذه الجرار الكبيرة الحجم موجودة في حجرات يبلغ عرض مدخلها 85 سم، وارتفاعها 1.10م فالأرجح إنها وضعت بهذه الحجرات قبل تسوية المدخل. هذا ان لم تكن فتحات الحجرات قد ضيقت في فترة ما وكل الحجرات مغطاة بأقبية برميلية، وأبوابها جميعا مصنوعة من جذوع الأشجار. أما ما نراه من الأبواب الخشبية المصقولة فهي حديثة العهد (أنظر شكل 7–8). وتوجد في جميع الحجرات تقريبا فتحة صغيرة في الجدار المقابل لفتحة المدخل. ومهمتها توفير التهوية للحجرة، وتزويدها بقليل من الضوء. وهي ما تجعل الناظر إليها من خارج القصر، يفكر في استعمالها للمراقبة. ويجعله أيضا يشبه هذا القصر بالحصن.

ولقد استعمل في بناء القصر المواد المحلية المكونة من الطين والجبس وجذوع الأشجار. ولا يختلف هذا القصر في عناصره المعمارية الأساسية عن بقية قصور التخزين بجبل نفوسة. ويجدر بنا ان نوضح ان ما بأيدينا من مصادر تاريخية لا تسعفنا بتحديد تاريخ معين لبناء هذا القصر. وبغياب الأدلة التاريخية والأثرية تظل التواريخ





المقترحة مشرعة على كل الاحتمالات.

شكل 7 الجانب الغربي لقصر التخزين بنالوت من الداخل

شكل 8 جزء من الممر الذي يحيط بالمبنى الداخلي لقصر التخزين بنالوت

ويبدو ان منطقة نالوت حظيت بنوع من الأهمية في العصر الروماني نتيجة لموقعها الجغرافي.[170] وهذا لا يدعونا بالضرورة إلى قبول نظرية موندادوري، حول إرجاع تاريخ هذا القصر إلى الحقبة الرومانية أو البزنطية. ذلك ان رأيه لا يستند إلى دليل تاريخي أو اثري. ولكن من المؤكد ان قصر التخزين هذا كان قائما قبل العهد العثماني.[171] وإرجاعه إلى القرون الإسلامية الأولى ربما سيدعمه ما سيتوفر من معلومات في هذا البحث. والذهاب إلى ابعد من ذلك يعتمد على شواهد لا يتوفر في الوقت الحالي.

## المسجد الأعلى

يعرف هذا المسجد عند سكان نالوت باسم (المسجد الفوقي). ويقع على بعد 15 متر تقريبا، إلى الجهة الشرقية من القصر. ومع ان الإشارة إليه قد وردت في كتابات المهتمين بهذه المنطقة، إلا ان هذه الإشارات قد جاءت بشكل مقتضب جدا.

ويميل تخطيط المسجد الأعلى (العلوي) إلى الشكل المربع. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 7.90م، بينما يبلغ طول الجدار الجنوبي الغربي 8.80م تقريبا. ويلاحظ ان الجدار الغربي للمسجد يفتقر إلى جودة البناء مقارنة بالجدران الأخرى. ويبلغ عرض مدخل المسجد، الموجود في الجدار الشمالي الغربي حوالي 80 سم، وارتفاعه 1.90م تقريبا، (أنظر شكل 10.9). أما سمك الجدران فيقدر بحوالي 70سم. (أنظر شكل 11).

170- R. Goodchild, Roman roodsim LIBYA and their mile stones, libya, 1968. p 158.

171- الطاهر الزاوي، معجم، ص 271.

شكل 9 المسجد الأعلى بنالوت الذي يشرف في الجانب الشمالي الغربي على بعض المنازل القديمة

شكل 10 مدخل المسجد الأعلى الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي

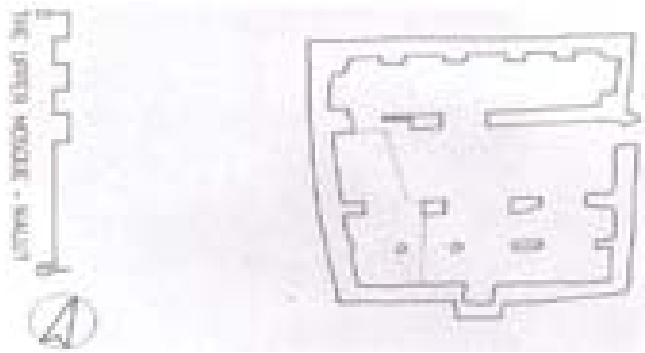

شكل 11 المقطع الأفقي للمسجد الأعلى

**ويحتوي المسجد الحالي على قاعة للصلاة ذات أربعة أروقة. وهي مغطاة بأقبية برميلية طولية. ويبدو ان الرواق الأخير، في الجهة الشمالية الشرقية، كان خاصا بالنساء، بدليل وجود جدار يفصله عن الأروقة الأخرى.**

**كما يشاهد بقية اثر لمدخل في الجدار الشمالي الغربي. ويظهر انه كان في فترة ما خاصا بدخول وخروج النساء. وبعد تفحص لهذه الجهة، تبين من بقايا آثار على هذا الجدار ما يرجع وجود رواق خامس متصدع. ولا يستبعد ان أحجاره قد نقلت أو استعملت في ترميم المسجد. أما محراب المسجد فهو من البساطة بمكان. ويخلو من الزخرفة والكتابة. وهذا النمط من المحاريب شائع في مساجد الجبل القديمة (أنظر شكل، 12) كما ان السدة الحجرية، التي تحتل كل الركن الجنوبي الغربي في المسجد، تعتبر عنصرا متميزا من عمارة هذا المسجد (أنظر شكل، 13) وهي تمتد من جدار القبلة حتى الرواق الثالث لقاعة الصلاة. ويبلغ معدل ارتفاعها حوالي 35 سم، وربما**





**تكون قد استعملت لتعليم القران، أو لوضع ألواح الكتابة. وهذا ما تفرضه ضرورة الصلاة بهذه القاعة.**

شكل 12 داخل المسجد الأعلى حيث يظهر المحراب في الجهة الجنوبية الشرقية

شكل 13 داخل المسجد الأعلى كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية

ولقد تم العثور على جذع شجرة في الجانب الجنوبي الغربي من المسجد، وهي بوضعها المائل عن الأرض، وانتهاء طرفها العلوي عند فتحة صغيرة بالجدار، يجعلنا في حيرة من وظيفة هذا الجذع، ويغلب الظن على إنها استعملت بدل الدرج الذي يؤدي إلى سطح المسجد. هذا إذا اعتبرنا ان الفتحة اكبر من وضعها الحالي، الذي كان نتيجة لأعمال الترميم (أنظر شكل، 14).

شكل 14 الفتحة الموجودة في الجدار الغربي التي كانت تقود إلى سطح المسجد

وتوجد أيضا قبة صغيرة على سطح المسجد. وفوق هذه القبة تتراءى بعض الأحجار المنتصبة على هيئة الأعمدة الصغيرة (أنظر شكل 9) ويعرف هذا العنصر المعماري في الجبل باسم (الصمعة)، ومع ان هذا الاسم في اللغة العربية يعني المنارة أو المئذنة، فيبدو ان الصمعة في جبل نفوسة وظفت لتحدد مكان المسجد والأبنية المهمة.

وهذا المسجد البسيط لا زال بحالة جيدة. ويرجع هذا الأمر





إلى استمرار استعماله من قبل الأهالي الذين يترددون يوميا على الموقع، بما في ذلك قصر التخزين. والمسجد بكامله يخلو من الزخرفة والكتابات. أما ما نراه من كتابة في السقف، فهي لا تمت إلى المسجد القديم بصلة، وهي نتيجة للترميمات التي أجريت عليه حديثا. ولقد بني المسجد كما هي أبنية نالوت القديمة من الأحجار غير المستوية والطين. ويبدو المسجد اليوم بطلائه الأبيض متميزا بين الأطلال، التي لم تعرف الطلاء في يوم من الأيام (أنظر شكل، 15).

شكل 15 جزء من الواجهة المطلية للمسجد الأعلى حيث يبدو المدخل البسيط في الجدار الشمالي الغربي

ويذكرنا هذا المسجد بعناصره المعمارية البسيطة ومخططه المتواضع، بالمساجد الأولى في الإسلام.[172] ولكن هذا التماثل لا يسعفنا في تحديد تاريخ بناء المسجد. وعلى العموم فالشماخي، يقدم لنا

172– K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture, G.B. 1958 P. 37.

ملمحا في هذا الشأن، بإشارته إلى جذع الشجرة الموجود بلالات.[173] وإذا أخذنا في الاعتبار ان هذا الجذع لم ينقل إلى المسجد من مكان آخر، فبإمكاننا القول، ان هذا المسجد كان قائما في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر مسيحي. ويمكننا القول أيضا اعتمادا على المعلومات التاريخية، ان بناءه الأصلي يعود إلى القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي – ولكن الجزم بذلك ينقصه الشاهد التاريخي، فضلا عن الأثري.

## كاباو:

تقع قرية كاباو القديمة هي الأخرى على قمة جبل يطل على وادي اكراين. وتبعد حوالي 65 كم. عن نالوت باتجاه الشرق. ولقد تصدعت المباني القديمة لهذه القرية، ولكن بعضا منها خضع لأعمال الترميم. وأصبح صالحا للاستعمال. ويتربع قصر التخزين في وسط القرية، مهيمنا على المنظر العام (أنظر شكل 17).

ولا يتوفر لدينا إلا القليل من المعلومات عن قرية كاباو القديمة. وهي أيضا لا تتعلق إلا بالوصف العابر لهذه القرية. فعلى سبيل المثال يذكر موندادوري ان بكاباو قصر للتخزين، حيث يحفظ الأهالي، في حجراته العديدة بمدخراتهم من المواد الغذائية. ويضيف قائلا: ان هذا القصر يقدم لنا فكرة مبدئية عن القصر الموجود بنالوت.[174]

ويتعرض ليفسكي إلى ذكر قرية كاباو. ويصنفها ضمن قائمة المواقع الرومانية القديمة. ويعتمد على الرحالة الفرنسي دونير ريان (H. Daneryrien) في قوله ،ان ثمة مبنى روماني بقرية كاباو.

173– الشماخي، السير، ص 545.

174– موندادوري، نفس المصر، ص 64.





وعلى العموم ،فليفسكي يشكك في وجود مبنى قائم من الفترة الرومانية[175].

شكل 16 مدينة كاباو القديمة حيث يظهر قصر التخزين القديم

شكل 17 الجانب الشرقي من قصر التخزين بكاباو

ويشير مونيلتسكي هو الآخر إلى كاباو فيقول: (ان قصر كاباو، ويعني بذلك قرية كاباو القديمة، تعد من اكبر القرى في منطقة الحرابة، وهي تتكون من خمسمائة منزل ومسجدين، احدهما محفور في

175– ليفسكي، نفس المصدر، ص 64.

باطن الأرض). ويضيف إلى هذا القول: (ان قرية كاباو القديمة تطل على واد تملأه أشجار التين والزيتون).[176]

وان قصر كاباو يشبه كثيرا قصر التخزين بقرية نالوت وإلا ان الأخير يختلف عن قصر التخزين في كاباو بوجود مبنى في وسط الفناء، كما ان القصر بقرية كاباو في حالة أفضل من الموجود بنالوت. وذلك بفعل الاستعمال والترميمات. يضاف إلى ذلك ان قصر كاباو أفضل تصنيفا. وفيما عدا ذلك، فقصر نالوت اكبر حجما ويبدو ان قصر كاباو أفضل تحصينا. وان أهله أكثر اعتناء بترميمه.

**تنومايت :**

تقع قرية تنومايت القديمة، إلى الغرب من كاباو بحوالي 32 كم، ولقد تعارف الناس في تلك المنطقة على الإشارة إليها باسم (الخربة) (أنظر شكل، 18) أما موتيلنسكي، الذي يشير إليها بهذا الاسم فيقول: يوجد بقصر الخربة، الذي يقع إلى الغرب من تيركت،[177] اثنتي عشر أسرة أباضية فقط. وأبنيتها تتراءى على هضبة، يحدها من الجنوب جرف يتزود منه السكان بحاجتهم من الماء. وزراعتهم التين والزيتون.[178]

و لا يوجد اليوم مبنى واحد قائم بتنومايت. ولا يرى بهذا الموقع إلا بقايا الأطلال المتصدعة، ومسجدها المحفور في باطن الأرض. كما يشاهد المرء على بعد حوالي 700 متر إلى الغرب من المسجد،

176– موتيلتسكي، نفس المصدر، ص 106..

177– تيركـــت قرية قيمة مهجورة، تغطي معظـــم انقاضها الرمال اليوم وتبعد حوالي 7 كم، إلى الغرب من قرية تنومايت.

178– موتيلتيسكي ، نفس المصدر، ص 106.





كومة كبيرة من الأحجار، يرجح إنها بقايا قصر التخزين بالقرية.

شكل 18 بقايا لآثار قرية تنومايت القديمة

**مسجد تنومايت:**

إن هذا المسجد، الذي يشغل مكانا وسطا بين آثار وأطلال تنومايت، يسمى أيضا بمسجد سيدي أمحمد.[179] وما يتميز به من دقة التخطيط وجمال الزخرفة، يجعله احد المساجد المتميزة، بمنطقة جبل نفوسة، ولقد أشار علي معمر إلى هذا المسجد على انه احد المساجد المهمة بمنطقة الجبل. وكان رأيه مبنيا على ما شاهده من الكتابة الأثرية والزخرفة الرائعة، على كل من المحراب وسقف المسجد.[180] والكتابة ذات الأهمية هي التي على مدخل المسجد.[181]

179– لا توجد معلومات تاريخية ليؤســـس عليها ما يتعلق بهذا المســـجد. ولا يعرف ســـكان المنطقة شيئا عن سيدي امحمد سوى انه كان احد العلماء ، وكان له صلة بالتعليم والصلاة في هذا المسجد.

180– علي معمر، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 177.

181– أنظر صفحة ، 43.

ويميل مخطط هذا المسجد إلى شكل شبه مستطيل. (أنظر شكل، 19) وتوجد به حجرة تأخذ نفس الشكل، وتقع ملاصقة للجدران الشمالي الغربي. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 7.20م، والجدار الشمالي الشرقي حوالي 6.30م، أما المدخل الموجود بالجدار الشمالي الغربي فيقدر عرضه بحوالي 80 سم، وارتفاعه 1.10م تقريبا.

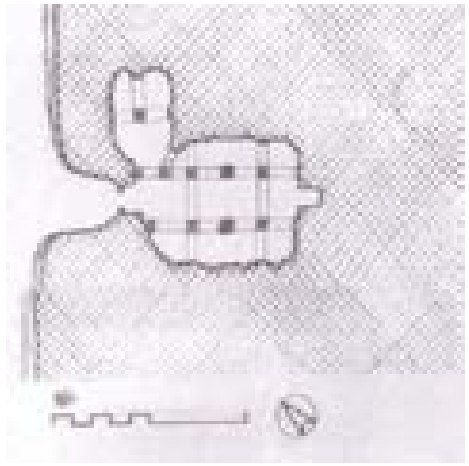

شكل 19 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد تنومايت القديمة

ولقد حفر هذا المسجد في باطن تلة صغيرة، وسقفه عبارة عن قبو واحد، يغطي الأروقة الأربعة بقاعة الصلاة. ويستند السقف على تسعة أعمدة. (أنظر شكل 19، 20، 21) وأهم ما يلفت النظر في هذا المبنى عناصره المعمارية المتناسقة، حيث نرى بقاعة الصلاة أربعة صفوف من الأعمدة. وفي كل صف عمودان يشبه احدهما الآخر. كما ان الجدار الشمالي الشرقي يتطابق مع الجدار الجنوبي الغربي





والتطابق سمة بارزة في تصميم هذا المسجد. وعلى سبيل المثال، فكل حنية صغيرة من الحائط يوجد لها مثيل في الحائط المقابل (أنظر شكل 24). وينطبق هذا القول أيضا على وضعية الوحدات الزخرفية، وتفاصيل عناصرها النباتية والهندسية. ويضاف إلى ذلك الكتابة الأثرية، التي يبدو إنها قد أضافت جمالا إلى روعة الزخرفة أكثر من إشارتها إلى ما يرمز إلى معنى يفيد إنها مقصودة لذاتها.

شكل 20 مسجد تنومايت من الداخل

ويتكون محراب المسجد من تجويف بسيط في الحائط، على هيئة شبه مستطيل. ويعلوه عقد نصف دائري، وتكتنفه حنيتان مجوفتان على الجدار واحدة من كل جانب. والظاهر أنهما كانتا مستعملتان – كما هي بقية الحنيات المجوفة لوضع قناديل الزيت، الخاصة بتوفير الإضاءة داخل المسجد ( أنظر شكل 20، 22) ويبلغ عمق المحراب حوالي 1.20م، ارتفاعه 1.20م، كما يبلغ طول الحجرة القريبة من

**المدخل حوالي 5 م، وعرضها حوالي 2.8م. وأما مدخلها، الذي يقدر عرضه بحوالي 80 سم، فيتكون من عقد نصف دائري يستند على عمودين صغيرين. ويشاهد عمود آخر وسط الحجرة لدعم السقف. كما يلاحظ على يمين الداخل فتحة في الجدار تطل على قاعة الصلاة. هذا بالإضافة إلى وجود حنيتان مجوفتان في الجدار المقابل للمدخل (أنظر شكل 25) ومن المستبعد ان تكون هذه الحجرة قد خصصت للتعليم أو لصلاة النساء. والراجح إنها كانت خاصة بالمخطوطات والأشياء التابعة للمسجد. ولا يتوافق سقف الحجرة مع سقف المسجد، إذ لا تظهر عليه كتابات أو زخارف. ولا جدال حول عدم نسبة بناء هذه الحجرة إلى المسجد الأصلي، والأرجح وفقا لما يظهر من آثار الترميم إنها قد أضيفت إلى المسجد في فترة لاحقة.**

**شكل 21 بعض الزخارف التي تزين سقف مسجد تنومايت**

**شكل 22 داخل مسجد تنومايت حيث يبدو المحراب في الجدار الجنوبي الشرقي**

**شكل 23** الجانب الشمالي الشرقي بداخل **مسجد تنومايت**

شكل 24 الحجرة الصغيرة الواقعة في الركن الشمالي الشرقي بمسجد تنومايت

شكل 25 مدخل الحجرة الصغيرة بمسجد تنومايت





**ويتميز سقف المسجد، وكذلك العقود بقاعة الصلاة بزخارفها الجصية. وتتكون هذه الزخارف من أشكال هندسية وعناصر نباتية متنوعة (أنظر شكل 26، 27) أما التعريقات النباتية فهي الغالبة في العناصر الزخرفية. كما تظهر أحيانا على شكل حبيبات متتابعة. ويبدو كذلك ان شكل النجمة شائع في موضوع الزخرفة، التي تغطي كامل السقف. واللافت للنظر أشكال الحلي، التي نراها لأول مرة في زخرفة المساجد (أنظر شكل 28، 29).**

شكل 26 الركن الجنوبي الغربي بقاعة الصلاة بمسجد تنومايت حيث تبدو التجويفات الجدارية التي كانت مستعملة لحفظ قناديل الزيت

**وإضافة إلى ذلك، نرى أشكالا متكررة للنجمة السداسية والثمانية. (أنظر شكل 30) كما نشاهد ظهور الاقواس المتتابعة ذات الشكل نصف الدائري ولا يفوتنا التعليق على وجود السيقان المتعرجة، التي استعيرت من الفن الساساني. وشكلت فيما بعد بداية تطور الزخرفة التي عرفت في أوج تطورها بفن الارابسك (أنظر شكل**

31) **ولا تخلو الزخرفة أيضا من حضور الورقة النخيلية، التي يغلب ظهورها في زخرفة الاقواس، أكثر مما تظهر في المواضيع الزخرفية، التي تملأ سقف المسجد،** (أنظر شكل 32) **ويتخلل الزخرفة النباتية عدد قليل من الزهرات ذات الأربعة فصوص** (أنظر شكل 33). **وعلى العموم فمجمل الزخرفة عبارة عن وحدات زخرفية تتكرر في المسجد بكامله.**

شكل 27 بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت

**ويوجد على مدخل المسجد من الخارج حجر على شكل نصف دائري، يبلغ طول قاعدته حوالي 95 سم، وارتفاعه 50 سم، تقريبا** (أنظر شكل 34) **ويحمل هذا الحجر سبعة اسطر من الكتابة العربية تقرأ على النحو التالي:**

1. «**إنما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر.**

شكل 28 بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت

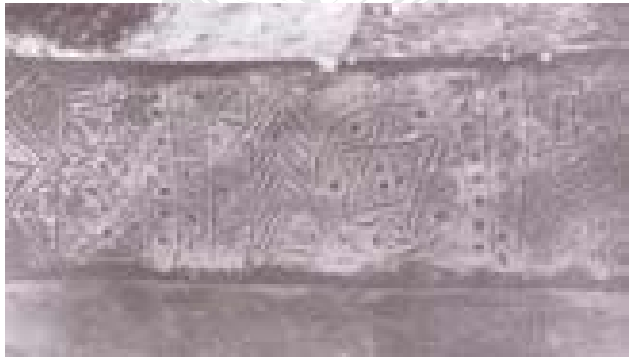

شكل 29 بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت

2. **أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون.**

3. وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل.

4. لي من لدنك وليا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً.

5. بنيت في شهر الله رمضان في سنة أربعة وخمسين وأربع.

6. ماية وبناها من أراد ثوابه في الدنيا والآخرة.

7. كتبه عبد المالك بن يعقوب النفوسي.»

السطر الأول، الآية الكريمة رقم 18 من سورة التوبة، والسطر الثاني، الآيتان 1، 2 من سورة المؤمنين. والسطران الثالث والرابع، الآية رقم 80 من سورة الإسراء.

شكل 30 بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت

وتعد هذه الكتابة – إلى حد الآن – أقدم كتابة مؤرخة عثر عليها بجبل نفوسة. وهي بالتالي تضيف إلى المسجد تنومايت أهمية كبيرة وفنحن الآن نملك مثلا قائما لمسجد محفور في باطن الأرض





بجبل نفوسة، ويعود تاريخه إلى سنة 454هـ – 1062م. ولذا سيكون تصميم هذا المسجد بالإضافة إلى نمط الزخرفة ومواضيعها مقياسا لدراسة المباني الأثرية بهذه المنطقة. وأما فيما يتعلق وأسلوب الكتابة، وكذلك مناقشة مواضيع الزخرفة، فسنأتي عليه، مع اضطراد الكتابة في هذا البحث.

شكل 31 بعض الزخارف بسقف مسجد تنومايت

**شكل 32 الجانب الجنوبي الغربي داخل مسجد تنومايت**

**شكل 33 زخارف بمسجد تنومايت**

**شكل 34 الكتابة الموجودة على مدخل مسجد تنومايت**

**شكل 35** بقايا آثار قصر سيدي حامد

**ويوجد إلى الشمال الشرقي من تنومايت، بحوالي 8 كم، قرية صغيرة أخرى تدعى (قصر سيدي حامد)[182] وهي تقع على جبل**

**182- يسكن اليوم بقصر (قرية) سيدي امحمد مجموعة من العرب.**

يطل على سهل الجفارة، وأهم ما يلفت الانتباه في هذه القرية قصر التخزين المتميز، الذي تحيط به الدور المتصدعة. ويحده من الجنوب خندق، يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة تبلغ حوالي 40 مترا. ويبلغ متوسط عمق الخندق حوالي ثمانية أمتار، بعرض ثلاثة أمتار. (أنظر شكل 36، 37) ولا يستطيع الزائر الوصول إلى القرية أو إلى قصر التخزين إلا عن طريق هذا الخندق. ويتحتم عليه النزول إليه، ثم التسلق أو الصعود إلى الجهة الأخرى. وما تبقى من آثار أمام مدخل قصر التخزين، يشير إلى وجود قنطرة في الماضي، كانت تستخدم كمعبر للوصول إلى قصر التخزين، وتربطه في ذات الوقت بالقرية القديمة على الضفة الأخرى من الخندق. ولم نر هذه الظاهرة في منطقة الجبل، إلا بقصر آخر، يعرف بقصر فرسيط. وينسب المكان إلى قبيلة بني زمور. ويبدو الفاصل هنا عبارة عن أخدود طبيعي عميق.

شكل 36 جزء من الخندق حول قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

شكل 37 جزء من الخندق حول قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

شكل 38 الفناء الداخلي لقصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

ويبدو ان الخندق في القصر الأول لم يكن سوى جرف طبيعي. ولقد تمكن الناس من تحويره بعض الشيء ليكون وسيلة دفاعية لتحصين القرية ومستودع مئونتهم. ويتطابق قصر التخزين في هذه القرية مع القصر الموجود بكاباو، ولكن حجرات الأول تعد أجود تصميما من مثيلاتها بقصر كاباو (أنظر شكل 38، 39) ونتيجة لهجرة الناس لهذه القرية، وعدم الحاجة إلى قصر التخزين هذا، تصدعت اغلب المباني بهذا الموقع.. ولم يبق من القصر غير طابقين.

شكل 39 أحدى حجرات قصر التخزين المعروف بقصر سيدي حامد

## أبناين:

تقع قرية أبناين القديمة على سفح جبل يطل على وادي اكراين، وتبعد حوالي 12 كم، إلى الغرب من كاباو. وأبناين اليوم عبارة عن أطلال يقف في أنقاضها مسجدان (أنظر شكل 40، 41) وأحد المسجدين يحظى بتقدير واحترام بالغين من قبل أهالي نفوسة. ويبدو ان حالته الجيدة، واستمرار العناية بترميمه ترجع إلى هذا





الأمر. ومن المعروف ان هذه القرية قد نالت شهرة في القرون الرابع الهجري – العاشر مسيحي، بعد ان اتخذها حاكم الجبل أبو هارون مقرا لإقامته.

شكل 40 المسجد القديم بأبناين

شكل 41 الجانب الغربي لمسجد أبناين حيث المدخل الخاص بالنساء في الجهة الجنوبية الشرقية

ويقرر ليفسكي اعتمادا على أعمال الباروني والشماخي، ان هذه القرية لها أهمية خاصة. ذلك لأنها مرتبطة بأبي موسى بن هارون، الذي بنى بها مسجدا في القرن الرابع الهجري – العاشر مسيحي. وهي لا زالت قرية عامرة عندما زارها الفرسطي.[183] ويجزم ليفسكي بان المسجد القائم بأبناين هو مسجد أبي هارون، كما انه يضيف، بان أبناين تتكون من كلمتين ،كلمة عربية وتعني (ابن) ولاسم هذه القرية علاقة بـــ (Tabuinati) أو (Thabunati) وهي مكان ذكر في بعض الكتب انه بين مدينة لبدة وثلاثي .(Thalati) ولكن ليفسكي يقترح ان هذا المكان يقع بجهة ما في المنطقة الشرقية من الجبل. ويسترسل قائلا :ان اسم تبوناتي (Thebunati) أسم ليبي أنثوي. وهو نفس الاسم الذي أطلق على قرية أبناين في صيغته الذكورية إبان العصور الوسطى[184].

ويصف علي معمر وادي اكراين، بأنه واد يمتد من عين الماء التي تستقي منها قرية كاباو، إلى ابناين. وهذه القرية هي وطن أبي هارون وابنه أبي الربيع كما إنها موطن لكثير من الشخصيات البارزة بجبل نفوسة. وهي محاطة ببعض القرى ذات الصلة بابناين.[185] وهذا مما يعني ان أبناين القديمة لم تكن فقط هذه القرية الصغيرة، وهو ما يتفق واتخاذها مركزا للحكم.

وأبناين اليوم عبارة عن قرية مهجورة. ولا يسع المرء عند مشاهدته لبقايا أطلالها، إلا ان يرجع بأنها كانت على قدر من الاتساع، وما يتبع ذلك من كثرة السكان (أنظر شكل 42) ويلاحظ

183– ليفسكي، نفس المصدر، ص 73–4.
184– المصدر السابق ، ص 74.
185– المصدر السابق، ص 74.





بقايا لسور بالجهة الغربية من القرية. ولا يستبعد ان يكون هذا السور قد أحاط بالقرية كلها في وقت ما. ذلك ان موقعها يختلف عن تلك القرى المقامة على سفوح الجبال، مما يوفر لها تحصينا طبيعيا. (أنظر شكل 43) ويبلغ متوسط سمك بقية هذا السور حوالي متر واحد. وثمة مؤشرات تدعونا إلى القول بان هذا السور كان يمتد باتجاه الوادي. ذلك ان أجزاء من بقاياه لا زالت منظورة وممتدة حتى حرم المسجد. ونرى على الطرف الآخر من القرية، في الجهة الشمالية، مسجد آخر. وتوجد أيضا بقايا أطلال لقرية قديمة في الجهة الشمالية الشرقية، حيث يقف في وسط الانقاض مسجد بسيط بحالة جيدة.

شكل 42 منظر عام لقرية أبناين القديمة كما تبدو من خلال النظر إليها من مدينة كاباو التي تقع إلى الشرق من إبناين

## مسجد أبناين:

يشير الشماخي إلى هذا المسجد، ويطلق عليه مسجد أبي

هارون،[186] ولكن لا يحدد مكانه،[187] ولا يهتم الشماخي أصلا – في سيره – بالجوانب المعمارية والفنية، قدر اهتمامه بالرجال والجوانب العلمية. وكذلك بالوصفات التاريخية، التي لا يستعين فيها بغير المصادر الأباضية.

شكل 43 جزء من بقايا السور القديم الذي من المحتمل أنه كان يحيط بأبنابن القديمة

شكل 44 مسجد أبنابن كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية

186– أنظر أعلاه، ص 44.

187– الشماخي، السير ، ص 536.





ويقع مسجد أبنابن على سفح منحدر صغير وسط أطلال القرية القديمة، ويطل على وادي اكراين في جهته الجنوبية الغربي. وله شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ جدار القبلة فيه حوالي 10.5م، بينما يبلغ الجدار الشمالي الغربي حوالي 7.25م. ويتكون المسجد من أربعة أروقة، مغطاة بأقبية برميلية. ولهذا المسجد مدخلان، احدهما وهو الرئيسي ويقع في الجدار الشمالي الغربي، ويبلغ ارتفاعه 1.63م، وعرضه 85 سم. والثاني ويقع قبالة المدخل الأول، ويبلغ عرضه حوالي 70 سم، وارتفاعه 1.75سم تقريبا، (أنظر شكل 45). والراجح ان المدخل الأصغر كان مخصصا لاستعمال النساء في فترة ما، إذ ان هذا المدخل يقود إلى احد قسمي المسجد، الذي تشكل بفعل وجود الجدار الفاصل بقاعة الصلاة. وبالإضافة إلى هذين المدخلين لا يتوفر شيء من الضوء والتهوية، إلا عن طريق أربع فتحات صغيرة متقابلة. ويوجد درج بداخل المسجد، في الكن الشمالي الشرقي يقود إلى سطح، (أنظر شكل 46)، وعلى الرغم من إغلاق الكوة بأعلى الدرج، فهذا دليل آخر على استعمال السطح لإقامة الأذان، (أنظر شكل 47)، وكنا قد اشرنا إلى ان المئذنة لم تكن من مكونات المسجد الأباضي القديم .

و يتكون محراب المسجد من تجويف في جدار القبلة، يعلوه عقد شبه نصف دائري. ويبلغ عمقه حوالي 1.35م، وارتفاعه 2.27م. تقريبا و، وعرضه 82 سم وهذا المحراب الملبس، على واجهته بأحجار جيدة القطع، بمعية الكتابة، يعتبر مثلا متفردا في كل أنحاء جبل نفوسة، (أنظر شكل 48).

و تنحصر الكتابة والزخرفة بهذا المسجد على الأحجار الثمانية، التي تكتنف جانبي المحراب، حيث تظهر أربعة منها على

جانب، مرتبة فوق بعضها بشكل راسي. وسنتبع في وصفها هذا الترتيب والتسلسل.

شكل 45 المدخل الخاص بالنساء مع الفتحتين الصغيرتين في مسجد أبناين

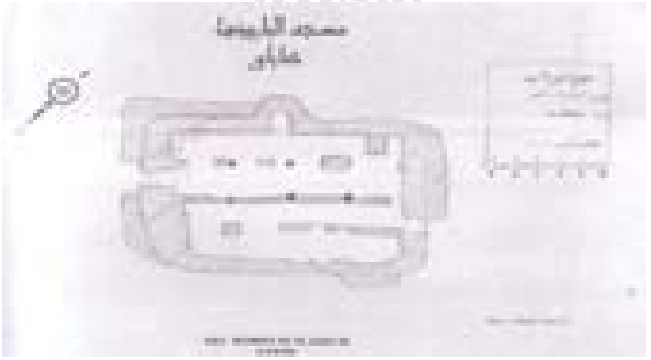

شكل 46 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبناين

1- الحجر الأول: بالنظر إلى المحراب وعلى اليمين، نرى وحدة زخرفية تتشكل من ثلاثة دوائر متداخلة. وتحتوي على نجمة سداسية مكونة من مثلثين متقابلين ومتداخلين، والدائرة الخارجية





تضم أقراصا صغيرة، وبداخل كل منها حبيبة، وفي الدائرة الداخلية الصغرى، وكذلك في المساحات بين أطراف النجمة، نرى عناصر زخرفية نباتية تشبه صدف المحار.

شكل 47 الدرج الذي كان يقود إلى سطح مسجد أبناين

2- الحجر الثاني: يتكون التصميم هنا من أربعة دوائر تحيط ببعضها البعض، وتزينها الأزهار ذات الثمانية فصوص. وتصحبها تعريقات نباتية تشبه الشوك. وتحتوي الدائرتان الخارجيتان على كتابة كوفية مورقة. وتقرأ على النحو التالي:

شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو. (قرآن كريم، سورة 3، الآية 18).

3- الحجر الثالث: تتكون الزخرفة، مرة أخرى، من أربعة دوائر، تحيط كل منها بالأخرى. وتظهر في الوسط زهرة ذات ثمانية فصوص، ولقد تعرضت الزخرفة داخل الدائرتين الداخلتين للتلف.

**أما الدائرة الخارجية فتحتوي على ورقة نباتية ذات أربعة تفريعات، تتكرر في فراغ محيط الدائرة خمس مرات.**

**شكل** 48 محراب مسجد أبناين مكتنفا من الجهتين بالزخارف

**شكل** 49 زخارف تكتنف محراب مسجد أبناين

4- **الحجر الرابع: تشبه الزخرفة هنا في الأغلب الأعم ما رأيناه على الحجر الأول ويتمثل الفرق الوحيد في الدائرة الخارجية، التي تملأها الأقراص الصغيرة، والواضح ان الفنان لم يكمل نحت محيط الدائرة. كما يلاحظ ظهور قرص صغير في كل ركن من أركان هذا**

**الحجر. والنجمة التي تتوسط الوحدة الزخرفية على هذا الحجر، تتكون من اثنتي عشر فصا، (أنظر شكل 52).**

**شكل 50** زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين

**وبالنظر إلى المحراب، وإلى اليسار، توجد أيضا أربعة أحجار، ملبسة على المحراب بشكل راسي. وسنتبع في وصفها ذات النسق المستخدم في وصف الأحجار السابقة وتسلسلها.**

**شكل 51** زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين

**الحجر الأول: تتماثل الزخرفة هنا مع ما رأيناه على الحجر الأول في الجهة الأخرى من المحراب، والفرق الوحيد ان النجمة هنا تتكون من ثمانية فصوص.**

شكل 52 زخارف على محراب مسجد أبناين

**الحجر الثاني: يتشكل التصميم هنا من دائرتين، تحيط إحداهما بالأخرى. ويظهر شكل يشبه الصليب في وسط الداخلية منهما. ولقد أدى هذا العنصر الهندسي إلى تقسيم الدائرة إلى أربع أجزاء، حيث تبدو الزخرفة في كل جزء متطابقة مع الجزء المقابل. فنرى في**





**جزئين ظهور الورقة النخيلية، بينما تزين الجزئين الآخرين عناصر زخرفية نباتية، ويتميز احدهما عن الآخر بوجود عنصر هندسي عن شكل معين (أنظر شكل، 54). أما في الدائرية الخارجية فتظهر كتابة متميزة بالخط الكوفي البسيط. وتقرأ على النحو التالي:**

شكل 53 زخارف على محراب مسجد أبناين

**(نعمة سابغة، بركة كاملة، بركة من الله لمن امن بأمان الله، وليه) وفي هذه العبارة إشارة إلى ان من أمر ببناء المسجد رجل تميز بالعلم. وهذا ما يرجع نسبته إلى أبي هارون.**

**شكل** 54 زخارف وكتابة على محراب مسجد أبناين

**الحجر الثالث: تتشكل الوحدة الزخرفية هنا من خمس دوائر تحيط كل منها بالأخرى. ويظهر في الوسط زهرة ذات ثمانية فصوص.**





**ويظهر في معيتها العنصر النباتي الشوكي. وفي هذه الوحدة نرى شكلا جديدا في التصميم، إذ يظهر شكل هندسي على هيئة معين متصلا بالدوائر المحتوية على الوحدة الزخرفية. ونرى تتابع الأقراص الصغيرة داخل محيط الدائرة الخارجية. وفي وسط كل قرص تظهر حبيبة (أنظر شكل، 55).**

**شكل** 55 زخارف على محراب مسجد أبناين

**الحجر الرابع: تتكون الوحدة الزخرفية هنا من ثلاثة دوائر. وهي تتبع نفس النسق الذي رأيناه في الأحجار السابقة. ويشغل وسط هذه الوحدة الزخرفية نجمة سداسية. ويبدو إنها قد تشكلت بفعل المثلثين المقلوبين، اللذين يظهران على شكل معين. والزخرفة في مجملها متطابقة مع ما رأيناه على الحجر الأول، في الجهة الأخرى من المحراب (أنظر شكل 56).**

**والحقيقة أننا على الرغم بان أبا موسى التملوشايتي، حاكم جبل نفوسة،[188] قد اتخذ ابناين مقرا لإقامته، في القرن الرابع الهجري – العاشر مسيحي. كما أننا على علم أيضا، بأنه كان احد العلماء المتميزين بالجبل. وطبقا للمعلومات التاريخية فهو الرجل الذي بني مسجدا بقرية ابناين.[189] وبالإضافة إلى ذلك، فالمصادر التاريخية تدعم هذه المقولة. وتجاوزا لما سوف يطرح في موضوع الزخرفة، فأسلوب الكتابة الكوفية والمستوى الراقي المتمثل في الزخرفة، يرجحان نسبة هذا المسجد إلى فترة أبي هارون، وهذا المسجد أيضا، كما هو مسجد تنومايت، يظل مثلا جيدا لدراسة المساجد القديمة بالجبل.**

**ولقد وردت إشارات، في الصفحات السابقة إلى بعض المظاهر المعمارية والفنية. ولقد تعمدنا مجانبة الخوض فيها، لأننا بحاجة إلى أمثلة أخرى تساعدنا على تكوين فكرة بشأن وجودها في جبل نفوسة. وفيما يلي مختصر لأهم هذه المظاهر.**

**لقد اتضح لنا ان أكثر المساجد والتي أشير إليها فيما سبق، قد بنيت على مستوى اقل من مستوى سطح الأرض المقامة عليها،**

**188– تملوشـــايت احدى قرى الجبل القديمة، وتبعد حوالي 30 كم، إلى الشرق من كاباو.**

**189– الشماخي، السير، ص 341.**





**كما يلاحظ ان مسجد تنومايت محفور بكامله في باطن التلة الصغيرة. ويتضح أيضا شيوع تغطية هذه الأبنية بالأقبية البرميلية. والسؤال يتمحور حول تفسير هذه الظاهرة.**

شكل 56 زخارف على مالجهة اليسرى عند مواجهة حراب مسجد أبناين

**ومن المعروف ان صلاة الجمعة تتضمن ركنا أساسيا، إلا وهو**

الخطبة، وهذا الركن يحتاج إلى وجود المنبر لتنفيذه. ولقد رأينا غياب هذا المظهر في المساجد الأنفة الذكر، وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالي:

كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة في المساجد القديمة بجبل نفوسة؟.

ولقد تبين لنا أيضا وجود فتحة بأعلى الجدار في مسجد نالوت، وكذلك الحال بالنسبة لمسجد تنومايت. ويلاحظ انه في الأول قد تم سد جزء كبير من الفتحة، أما في الثاني فلقد تم إغلاق الفتحة بالكامل، وبقي الدرج الذي لا تعرف له وظيفة. فهل لهذه الفتحات المستغنى عنها في مساجد الجبل، وكذلك الدرج، علاقة بالنداء للصلاة (الأذان) في وقت ما؟.

ولقد ظهرت المئذنة في العمارة الإسلامية في وقت مبكر، وبالتحديد في القرن الأول الهجري – السابع مسيحي. ولقد رأينا في مساجد الجبل غياب هذا العنصر المعماري، فلماذا تفتقر مساجد الجبل إلى هذا المظهر المحبب، مع الأخذ في الاعتبار عدم ضرورة وجود المئذنة في السنوات الأولى لظهور الإسلام؟ وكذلك ما هو التعريف الحقيقي لكلمة (الصمعة) في جبل نفوسة، وما هي الوظيفة الحقيقية للصمعة؟.

وإن وجود المحراب في أي مسجد هو في حقيقة الأمر تحديد الاتجاه نحو الكعبة المشرفة بمكة، ولقد حرص المعماريون والفنانون المسلمون على الاهتمام والتركيز على هذا العنصر المعماري. ونحن قد رأينا محاريب المساجد في جبل نفوسة متصفة بالبساطة والخلو من الزخرفة والكتابة. هذا إذا استثنينا محراب مسجد ابناين، فهل يمكن





لنا ان نعتبر هذه الظاهرة من خصوصيات المسجد الأباضي بالجبل؟

وثمة أسئلة أخرى يطرحها الحديث عن الكتابة في مسجدي أبناين وتنومايت وغيرهما. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل السادس، حيث يتم مناقشة الكتابات الأثرية، التي عثر عليها بجبل نفوسة. أما ما يتعلق بالزخرفة وأساليبها، فسنتعرض له مع تقدم البحث.

وعلى الرغم من القصد الذي تبناه هذا المبحث، والمتمثل في عدم التوسع في دراسة ومناقشة قصور التخزين، إلا ان التعرض لذكرها والإشارة إليها، ربما يساعدنا في رسم الصورة الكاملة للمدينة، أو القرية الأباضية بالجبل، إبان القرون الإسلامية الأولى. ومن البديهي ان تتشكل بعض المحاور ذات الأهمية من خلال متابعتنا لدراسة المزيد من المباني الأثرية بهذه المنطقة.

# الفصل الثالث

## فرسطه – تملوشايت – تندميره

## فرسطه ــ تملوشايت ــ تندميره

عندما يمعن المرء النظر في القرى القديمة المتناثرة بجبل نفوسة، يميل إلى الاعتقاد بان أعداد غفيرة من الناس قد استوطنت هذه الأنحاء عبر تاريخها الطويل. وعلى الرغم من الدمار والخراب والهجرة التي شهدتها هذه القرى القديمة، فهي لا زالت تحتفظ بقدر من الأهمية. ومن الجدير القول بان هناك تماثلا واضحا بين أغلب هذه القرى، ولكن بعضا منها يتميز بمواصفات خاصة. فمقرات الحكام والمباني المخصصة للتعليم والأسواق، في بعض هذه القرى، تزودنا بمعلومات تساهم في إلقاء المزيد من الضوء على الجوانب التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لهذه المنطقة.

### قرية فرسطه:

تبدو آثار فرسطه القديمة على بعد 8 كم إلى الشمال الغربي من قرية كاباو. ويظهر إنها مكونة من قريتين. والأقدم منهما لم يتبق بها إلا بقايا المسجد، الذي يعتقد بأنه كان كنسية في أول الأمر.[190] ويوجد إلى الشرق من هذا الموقع، وعلى بعد حوالي 2 كم، قرية فرسطه الكبيرة، التي تحتل مركز الاهتمام. وهي تقع على سفح جبل يطل على سهل الجفارة في الجهة الشمالية، بينما يمتد إلى وادي طمزين في الأسفل، من الناحية الجنوبية الشرقية. وعل الرغم من هجرة السكان لهذه القرية، إلا ان بعض الأهالي لا زال يستغل أبنيتها من آن لآخر.[191]

190– ديسبو، نفس المصدر، ص 265.

191– لازال الاهالي الذين يقطنون بقرب الموقع يأتون من آن لآخر، لاستعمال

ويصف موتيلنسكي فرسطه كالتالي: «يستطيع المرء ان يرى على جبل صغير الآثار القيمة لقرية فرسطه، ويتوسط المسجد بقايا الآثار القديمة، ويوجد قصر التخزين باتجاه الجنوب من هذه الأطلال. ويقع بين هذه القرية و(طمزين) واد كبير مليء بأشجار النخيل، ويحتوي الوادي على منخفض به عين ماء، وهي العين التي يتزود منها الأهالي بحاجتهم من الماء. ويوجد أيضا بئر ماء أمام القرية. وينتمي السكان جميعهم إلى المذهب الأباضي. وتضم قرية فرسطه قصرا للتخزين، حيث يحتفظ الأهالي بالقمح والشعير والزيت والصوف، ويتولى حراسة هذا القصر رجل من أهالي المنطقة نفسها».[192]

ويعيد (باسي) نفس المعلومات التي ذكرها موتيلنسكي ولكنه يضيف، بان المسجد، الذي يقع في وسط القرية، ربما كان في سابق عهده كنيسة مسيحية.[193] كما انه يشير إلى العلاقة التجارية التي ربطت جبل نفوسة بالسودان (النيجر، نيجيريا، تشاد، مالي)، في القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي – والحقيقة ان باسي يؤسس لهذه المعلومة على القصة التي أوردها الشماخي عن العالم المعروف أبي يحيى، ورحلته إلى بلاد السودان.[194] وإذا ما رجعنا إلى الدراسات المتعلقة بتجارة القوافل، رأينا ما تشكله منطقة الجبل من أهمية في هذه التجارة. ولكن لا يوجد حتى الآن، ما يؤكد على ان أهالي نفوسة قد امتهنوا التجارة، بقدر ما توجد من إشارات تؤيد مصاحبتهم للقوافل بقصد نشر العلم والمذهب الأباضي.[195]

معصرة الزيتون. ولازال قصر التخزين بحالة جيدة.

192– موتيلنسكي، نفس المصدر، ص 104–5.

193– يقص باسي بعبارته المسجد القائم بفرسطة القديمة.

194– باسي، نفس المصدر، ص 444.

195– الشماخي، السير، ص 312.





ويصف ليفسكي فرسطه على النحو التالي: (فرسطه ــ حقيقة ــ قرية لها أهمية كبرى. إنها تقع ضمن منطقة الحرابة، في الجزء الغربي من جبل نفوسة، وليس بعيد عن كاباو. والواقع ان وصف بقايا أطلالها جاء عن طريق ديسبوا (Despois). وتعد فرسطه من القرى القديمة بالجبل .وهي موجودة قبل الفتح العربي بوقت طويل .ومن المتعارف عليه ان ثمة كنيسة مسيحية بهذه القرية .وكانت قد حولت إلى مسجد بعد اعتناق الأهالي للدين الإسلامي .ولذا فكلمة فرسطه ذاتها دليل على قدم هذا الموقع الذي يعود إلى العهد الروماني).

ويضيف، (ومن الممكن ان نتبين ان كلمة فرسطه كلمة لاتينية افريقية .وهي ترتبط بكلمة فورسار(Forsar) ). وتربط أيضا بالكاتالونية (Catalonian) وبالكلمة البرتغالية فولكار،(Folcar) والكلمة الأسبانية فورزار ،(Forzar) والكلمة الإيطالية اللاتينية فورسير[196]. (Forcerr)

ويسترسل ليفسكي فيقول: (ان أقدم المصادر العربية التي تحدثت عن فرسطه، هو كتاب أبي سعيد الفرسطائي. ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن الثالث الهجري – التاسع المسيحي).

ولا زالت مباني فرسطه القديمة بحالة جيدة. وتدلل دورها القائمة والمتلاصقة ببعضها ان هجرة سكانها قد تمت قبل فترة ليست بالطويلة (أنظر شكل 57). ومن الممكن ان يلحظ المرء بسهولة التماثل بينها وبين قرية نالوت. كما ان تخطيطها الأصلي يذكرنا بمدن المزاب في جنوب الجزائر.[197] ويتوسط قصر التخزين أطلال هذه القرية الكبيرة. وهو يشبه إلى حد كبير القصر الموجود بقرية

196– ليفسكي، نفس المصدر، ص 71–2.

197– M. Roche, le M'ZAB, PARIS, 1970, PP . 29–30.

نالوت القديمة. ويمتاز قصر فرسطه بوجود برج به (أنظر شكل 58). وهذا البرج المتصدع بعض الشيء يقوم دليلا على استعمال القصر لأغراض دفاعية. ووفقا للمصادر التاريخية ففرسطه كانت قائمة إبان القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي.[198] وإذا سلمنا بوجود القصر في المخطط الأصلي للقرية، وهو الارجح، فلدينا الآن مثل يمكننا من القول بان قصور التخزين كانت قائمة في قرى الجبل في هذا التاريخ.

شكل 57 قرية فرسطه القديمة كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربية

وتشبه بيوت فرسطه إلى حد كبير، تلك التي رأيناها بنالوت. ونتيجة لاتصال بعضها بالآخر تشكل جدران البيوت التي تقع على حافة القرية، في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، ما يشبه السور (أنظر شكل 59). أما شوارع القرية وأزقتها المتعرجة، التي لا تفارقها

198– والحقيقة ان هذه الظاهرة لا تقتصر على هذا المكان، فنحن نراها في المدن الواقعة على الساحل الشمالي، أنظر، فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة، 1970، المجلد الأول، ص 643–48. وللاطلاع على أول إشارة إلى فرسطه أنظر ليفسكي، نفس المصدر، ص 72.





الظلال، فهي ظاهرة تتميز بها أغلب المدن والقرى الصحراية. وأفضل الامثلة لهذه الظاهرة في ليبيا مدينة غدامس القديمة الواقعة في الجنوب الغربي من الجبل (أنظر شكل 60) .

شكل 58 قرية فرسطه القديمة ويتوسطها قصر التخزين

شكل 59 قرية فرسطه القديمة وتبدو منازلها المتلاصقة أخذت هذه اللقطة من الجهة الجنوبية

**شكل** 60 شارع من شوارع مدينة غدامس القديمة

## مسجد أبي يحيى:

**يقع هذا المسجد في وسط سفح الجبل، الذي تقوم عليه القرية. ولا زال المسجد يحاط بالتقدير والزيارة من قبل الأهالي في المنطقة. ويميل مخطط المسجد إلى شكل المربع (أنظر شكل 61). وتتكون قاعة الصلاة من أربعة أروقة مغطاة بأقبية برميلية. ويبدو جليا ان ثمة رواق آخر باتجاه الشمال الشرقي اعتمادا على بقايا الأساسات البادية للعيان.**





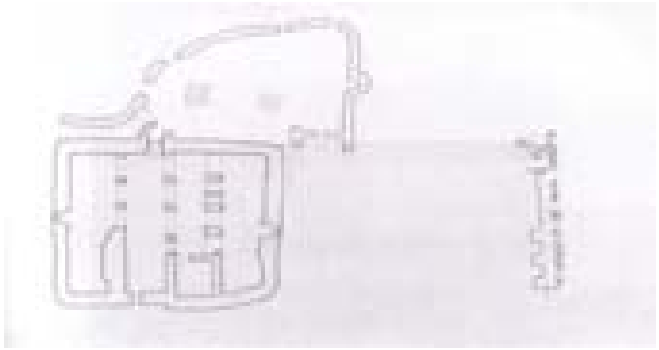

**شكل** 61 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبي يحيى بفرسطه القديمة

**شكل** 62 الفناء الخارجي لمسجد أبي يحيى بفرسطه والمحراب

**ويبلغ طول جدار القبلة حوالي** 11.75 **م، بينما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي حوالي** 12.80 **م، والجدار الجنوبي الغربي حوالي** 12.30 **م. ويقدر اتجاه المحراب بحوالي** 160 **درجة، بينما يبلغ عمقه** 90 **سم تقريبا (أنظر شكل** 63**). كما يوجد تجويف آخر في الجدران الشمالي الشرقي، على خط مستقيم مع محراب المسجد.**

**وبما انه لا يؤدي أي وظيفة بالمسجد الآن، فالأرجح انه كان مدخلا. ولقد أغلق أثناء إحدى عمليات الترميم التي جرت بهذا المسجد. وربما كان المدخل خاصا بالنساء (أنظر شكل 64)، ومن المؤكد ان الأعمدة التي يستند عليها سقف المسجد قد جلبت من مبنى روماني أقدم عهدا. وليس مستبعدا ان تكون من بقايا الكنسية التي أشار إليها بعض الباحثين. وهذا ما يحملنا على القول بان الحفريات الأثرية في هذا الموقع ستلقي بالضوء على كثير من التساؤلات، وربما تؤكد لنا ان المسجد قد بنى على أنقاض الكنيسة ذاتها.**

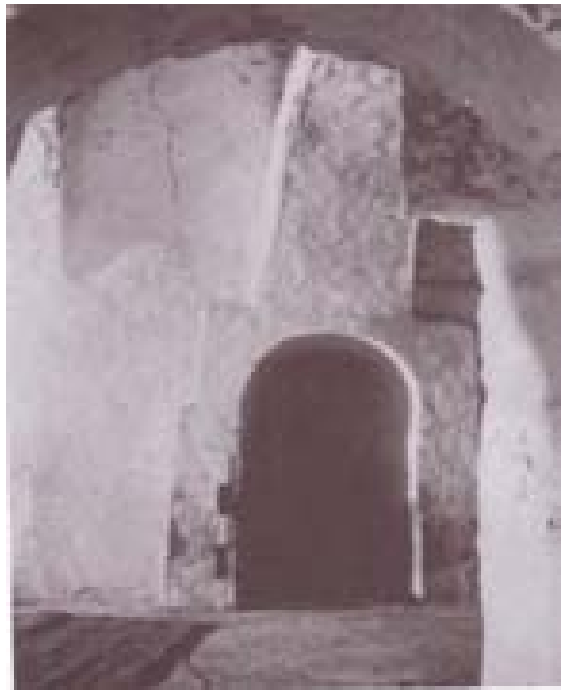

**شكل** 63 محراب مسجد أبي يحيى بفرسطه القديمة

**شكل** 64 الرواق الشمالي الغربي بمسجد أبي يحيى بفرسطه

**ويوجد بفناء المسجد حجرة ملاصقة للجدار الجنوبي الغربي وتبلغ مساحتها حوالي** 7.20 **متر مربع. وهي تذكرنا بالحجرة التي وجدت بمسجد تنومايت. وبالإضافة إلى العثور على كمية كبيرة من أوراق المخطوطات، فان المصادر التاريخية تؤكد على دور هذا المسجد في مجال التعليم،[199] وهذا ما يجعلنا نميل إلى القول بان هذه الحجرة قد استعملت لحفظ المخطوطات (أنظر شكل** 65**). ويعتقد ان بعضا من هذه المخطوطات القيمة، التي كان يشتهر بها هذا المسجد، ولا**

**199– على معمر، نفس المصدر، ص 82.**

**تزال بحوزة مجموعة من الناس. وكما هي العادة – جهلا – لا زال الناس يتكتمون عليها.**

**شكل** 65 داخل مسجد أبي يحيى، وإلى اليمين تبدو الحجرة الصغيرة التي كان يحتفظ فيها بالمخطوطات

**ويوجد مدخلان لقاعة الصلاة. احدهما في الجدار الجنوبي الغربي، ويبلغ عرضه حوالي 55 سم، وارتفاعه حوالي 95 سم. أما المدخل الآخر فيقع بالجدار الشمالي الشرقي. ويبلغ عرضه 80 سم، وارتفاعه 15.1 م، وللمدخل الأخير أربع درجات تقود إلى قاعة**





**الصلاة (أنظر شكل** 67، 68، 69).

**شكل** 67 المدخل الجنوبي الغربي لمسجد أبي يحيى بفرسطه

**شكل** 68 فناء مسجد أبي يحيى الفرسطائي

**و يميل شكل الفناء إلى ما يشبه المثلث غير المتساوي الأضلاع، ويحده من الجهة الشمالية ثلاث حجرات محفورة في باطن الجبل.**

ويبدو ان هذه الحجرات، حديثة العهد، أنشئت لإيواء الزوار. وثمة صهريجان للماء محفوران بهذا الفناء (أنظر شكل 70)، أما الدرج الموجود بالفناء، تقريبا من قاعة الصلاة، فهو يقود إلى سطح المسجد، وكذلك إلى خارج المسجد (أنظر شكل 70). ويغلب الظن على ان الأصل في هذا الدرج يعود إلى استعماله للوصول إلى السطح لإقامة الأذان، نظرا لوجود الكثير من الدور على مستوى أعلى من المسجد.

شكل 69 الجدار الجنوبي الغربي بداخل مسجد أبي يحيى

ولقد اشرنا سابقا إلى ان المئذنة أو الصومعة قد غلبت عن عمارة المساجد الأباضية السالفة الذكر، وفي مسجد نالوت رأينا ذلك العنصر المعماري، الذي يطلق عليه (الصمعة). كما اشرنا إلى ان (الصمعة) في الجبل لم تستخدم لأداء وظيفة غير وظيفة تحديد مكان المسجد. والصومعة في العربية تطلق على المئذنة. وتحريفها إلى كلمة





(الصمعة) شائع في بلدان الشمال الإفريقي. والصومعة تعني أيضا دير الرهبان، الذي عادة ما يكون في الأماكن العالية والمنقطعة.

شكل 70 فناء مسجد أبي يحيى حيث تظهر الحجرة الخاصة بالزوار

ولا تفوتنا الإشارة إلى أننا نشهد تلازما بين (الصمعة) والمسجد الأباضي في جبل نفوسة. ويجب أن نستبعد هذا عن علاقته بالأذان. فالأذان كما يبدو من الامثلة العديدة، كان يقام في الأغلب الأعم من فوق سطح المسجد. والدرج الذي شاهدناه في هذه الامثلة يؤكد وجاهة هذا الرأي. وهذه الظاهرة نجدها منتشرة في المساجد القديمة بطرابلس، وغيرها من مناطق الشمال الإفريقي. وتظهر بجامع الناقة مترافقة مع وجود المئذنة، ويعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجري.[200] ويقود الدرج في جامع الناقة مباشرة إلى المئذنة ذات الشكل المربع. وثمة درج آخر يقود إلى السطح.

وإذا عدنا إلى السنوات الأولى للإسلام وجدنا ان إقامة الأذان كانت تتم من على سطح مجاور لمسجد المدينة. وان أول أذان

200– التيجاني، رحلة، ص 145، الزاوي، معجم، ص 94.

أقيم بمكة كان من على سطح الكعبة. ومن المعروف ان المسلمين لم يستخدموا المئذنة إلا بعد الفتح الإسلامي للشام.[201] وكانت أول المآذن التي عرفت في الإسلام هي الأبراج المربعة بالجامع الأموي بدمشق. وهذا النمط من المآذن انتشر فيما بعد، في بلدان الشمال الإفريقي والأندلس.[202] ولكن الحال يختلف في جبل نفوسة، حيث غابت المئذنة عن معمار المسجد الأباضي، وهذا الغياب ربما يعزى إلى أمرين. الأول ان الأباضيين بجبل نفوسة عرفوا بتمسكهم الشديد بتعاليم الدين الإسلامي. وكذلك ثبت أنهم لم يكونوا على وفاق مع الأمويين، ويبدو أنهم كانوا ينظرون إلى المئذنة على إنها أموية. والثاني ان معظم مساجد الجبل قد احتلت أعلى الأمكنة في المدن والقرى. ولذا لم تكن ثمة ضرورة لبناء المآذن. والحقيقة ان هذا الأمر لا علاقة له بالدين بقدر ماله علاقة بظروف وضعية المسجد من جهة. ومن جهة ثانية نراه قد ارتبط بإعزاز أماكن العبادة الإسلامية. واستجابة لروح التنافس، التي أملاها على المسلمين منذ البداية ما وجدوه من احتفاء بدور العبادة في الأديان الأخرى.

ولقد رأينا ان المظهر الشائع في جبل نفوسة هو الدرج الذي يقود إلى سطح المسجد. ويذكر شاخت (J.Schacht) إن هذه الظاهرة قد وجدت بجامع الفسطاط بمصر ،كذلك في المنازل بسوريا، قبل الإسلام .وإنها ظاهرة منتشرة بالمساجد الأباضية ،ومن ضمن ذلك مساجد جربة والجنوب التونسي ،ويختم شاخت مقالته بالإشارة إلى نيجيريا .فيقول ان وجود هذه الظاهرة ببعض مساجدها كانت

201– أنظـــر كريزوال، نفس المصدر، المجلد 1، ص 11 وقارن، فريد شـــافعي، نفس المصدر، مجلد 1، 637–640.

202– كرزويل، نفس المصدر، ص 38–9، وقارن فريد شـــافعي، نفس المصدر، ص 635–6–7.





نتيجة للتوصل مع مدن المزاب بالجنوب الجزائري[203].

شكل 71 المدخل الرئيسي لمسجد أبي يحيى، الذي يقع في الجدار الشمالي الشرقي

ونحن إذ نميل إلى الاتفاق مع شاخت فيما يتعلق ووجود هذه الظاهرة بنيجيريا، وجب ان نبين وجودها في أنحاء متفرقة من ليبيا. أما وجودها في جبل نفوسة فيقدم دليلا آخر على دعم نظرية شاخت. وكما اشرنا سابقا فقد وجدت هذه الظاهرة المعمارية بمسجدي ابناين

203– أنظـــر، 1, institute de recherches (Tomxi) Alger, 1954,,19 pp. 14–5,

وأبي يحيى بفرسطة. وبناء على الأدلة التاريخية، يمكننا إرجاع تاريخهما إلى المنتصف الأول من القرن الرابع الهجري – العاشر مسيحي. ومن المعروف ان أول مدينة بنيت في منطقة المزاب، يعود تاريخها إلى المنتصف الأول للقرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي. ولذلك فان المسجدين بجبل نفوسة هما أقدم عهدا من مدن المزاب، ووفقا للادلة التاريخية أيضا نستطيع القول بان هذه الظاهرة قد انتقلت إلى الغرب عن طريق جبل نفوسة. وثمة احتمال يقضي بأنها انتقلت أيضا إلى الجنوب. ومما يدل على ذلك إشارة المصادر التاريخية إلى العلاقة التجارية بين نفوسة وبلاد السودان، إبان القرن الثالث الهجري التاسع مسيحي. وهي معلومة شائعة الانتشار.[204]

والحقيقة أننا لا نملك حتى الآن دليلا اثريا نعتمده لنؤرخ بالتحديد لمسجد أبي يحيى بفرسطه. ولكننا بالاعتماد على المعلومات التاريخية، نستطيع الوصول إلى تاريخ تقريبي. والنص التاريخي يذكر بان رجلين باسم أبي يحيى ينسبان إلى فرسطه، أحدهما هو أبو ذر صدوق، الذي قتل في معركة مانو 288هـ، 896م.[205] والآخر هو ابن القاسم الذي كان معاصرا لأبي ذر. ويبدو ان الأخير هو الأقرب للارتباط بهذا المسجد. ذلك لأنه قد وصف بتبخره في العلم .و كان ذا صيت رفيع بين علماء نفوسة. ولقد كان لفترة ما مستشارا لحكام الجبل أبي زكريا.[206] ووفقا لهذا النص يمكننا القول بان هذا المسجد كان قائما في المنتصف الأول من القرن الرابع الهجري – العاشر

204– روسي، نفس المصدر، ص 29، عبد الرحمن الجيلاني، تاريخ الجزيرة العام، بيروت، 1965، الجزء الأول، ص 237، أنظر أيضا، شـــاخت نفس المصدر، ص 21–2، والشماخي، السير، ص 312–437.

205– الشماخي، السير، ص 268–9.

206– المصدر السابق، 310–1–320 ،2.





مسيحي، والاحتمال أيضا قائم بعودة بناء المسجد إلى تاريخ أقدم عهدا.

ويبدو ان قرية فرسطه كانت مزدهرة إبان عهد أبي يحيى. ويبدو كذلك ان هذا الازدهار قد استمر لفترة طويلة من الزمن. فالمعلومات تؤكد على ان قرية فرسطه كانت إبان القرن الثامن الهجري – الرابع عشر مسيحي، تضج بالنشاط والحركة، وربما يعود إلى هذا الأمر استقرار عالم الجبل الكبير، أبو طاهر الجيطالي، بهذه القرية، وقيامه بالتدريس فيها.[207] واعتمادا على ما يرونه سكان المنطقة. فقرية فرسطه لم تزل عامرة بالناس إبان القرن الرابع عشر الهجري – القرن العشرون مسيحي. ولم يهجرها السكان إلا في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين.

ولقد تم العثور على بعض اللقيات من القطع الفخارية بفرسطه. وجد اغلبها حول مسجد أبي يحيى. ولا جدال حول نسبة هذه القطع الفخارية إلى فرسطه. ذلك ان آثارا لفرن قديم للفخار لازال ظاهرا لعيان. ولا يبعد عن المسجد إلا أمتار قليلة (أنظر شكل 72).

وهذا مما يزيد من أهمية قرية فرسطة. فالاحتمال إنها كانت أحد المراكز لتصنيع الفخار بجبل نفوسة.

ولا يفوتنا ان نشير إلى ان القطع الفخارية التي وجدت بفرسطة تتميز بطابعها الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك، فهي لا تكفي لان تكون موضوعا للمناقشة. ولكن إذا قدر ان تكون حفريات، في يوم من الأيام، بهذا الموقع، فلا يستبعد ان تزودنا بما يسلط مزيدا من

207– المصدر السابق، ص 558. مونيلنسكي، نقس المصر، ص 104.

الضوء على هذا الجانب من الفن الإسلامي بجبل نفوسة.

شكل 72 بقية آثار لفرن صناعة الفخار على بعد أمتار من مسجد أبي يحيى

## تملوشايت:

تقع قرية تملوشايت على بعد عشرين كم تقريبا، إلى الشرق من كاباو، ومبانيها تنتصب على قمة جبل يطل في الغرب على واد صغير، ويمتد هذا الوادي، باتجاه الشمال، ليتصل بسهل الجفارة. وبالإمكان ان يرى المرء قريتي طمزين[208]، وفرسطة على الضفة المقابلة للوادي.

ولم يكتب إلا القليل عن قرية تملوشايت. وكتب الأقل عن مسجدها، الذي يعرف بمسجد أبي نصر. ليفسكي، مثلا، يصف

208– تخزين احدى القرى القديمة بجبل نفوسة، وتبعد حوالي 10 كم، عن فرسطه.





تملوشايت على إنها قرية تبعد عن كاباو بحوالي 12 كم، وطبقا لما نقله عن ديسبوا، والذي اعتمد بدوره على رواية محلية، يرجع بناء مسجد تملوشايت العتيق إلى القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. ولذا يضيف ليفسكي: (إذا كان هذا صحيحا، فالقرية كانت عامرة في القرن الثاني، الثالث الهجري – الثامن، التاسع مسيحي).[209] أما المصادر التاريخية فتؤكد على وجودها في القرن الرابع الهجري – العاشر مسيحي.

ويذكر باسي بان المسجد بتملوشايت يعرف باسم بوزارزارت، (Buzarart) وان شهرة تملوشايت تعود إلى العلماء الذين ينتسبون إليها .ويذكر ان من هؤلاء النفر ،أبو هارون التملوشايتي ،تلميذ محمد بن خصيب .ويشير باسي إشارة عابرة إلى مسجد أبي نصر[210].

ويرى المرء على بعد حوالي 1 كم. إلى الشرق من قرية تملوشايت بقايا لمسجد قديم وسط الركام لدور متصدعة. وبقايا هذه الأطلال تشير إلى مدى اتساع رقعة هذه القرية. وسيرا إلى الشرق من هذا الموقع. وعلى مسافة قريبة، يوجد مسجد أبي نصر المتوحد، حيث لا يرى شيئا حوله (أنظر شكل 73).

وتدل بقايا الآثار حول مسجد أبي نصر على اتساعه، مقارنة بمساجد الجبل القديمة. وتبلغ مساحته حوالي 144 متر مربع (أنظر شكل 74)، ولم يعد في الوقت الحالي قائما من هذا المسجد إلا رواق القبلة، المغطى بقبو برميلي. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 12.20م. ويخلو المحراب، الذي يبرز خارج جدار القبلة، من الكتابة والزخرفة، ويبلغ عمقه حوالي 1.50م تقريبا (أنظر شكل 73، 74). ويقع

209– ليفسكي، نفس المصدر، ص 59–60، الشماخي، السير، ص 301.
210– باسي، نفس المصدر، ص 451–2.

**مدخل الرواق المتبقي في الجانب الشمالي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي** 62 **سم، وارتفاعه حوالي** 90 **سم. ويبدو ان هذا المدخل قد احدث عندما أغلقت الأقواس المتبقية من المسجد القديم. ويوجد عمود ملقى، على بعد مترين، خلف الجدار باتجاه الشمالي الغربي. ويرجح انه كان من ضمن الأعمدة، التي استخدمت في باقي الأروقة.**

**شكل** 73 مسجد أبي نصر بتملوشايت القديمة، ويظهر المحراب البارز عن الجدار باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية

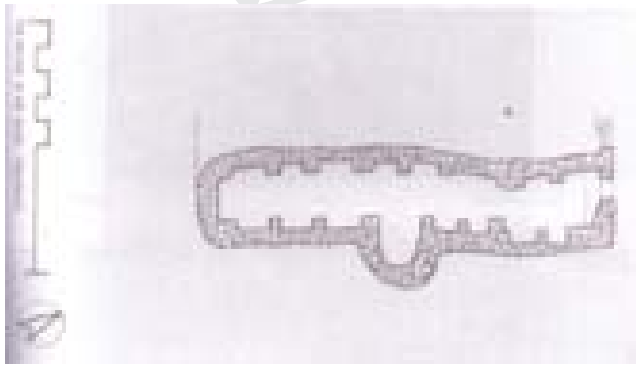

**شكل** 74 المخطط الأفقي الأرضي لمسجد أبي نصر بتملوشايت القديمة

**شكل** 74أ محراب مسجد أبي نصر بتملوشايت القديمة

**ولقد بني المسجد من الأحجار غير المستوية والطين. وإلى جانب المسجد، في الركن الشمالي الشرقي يوجد صهريج للماء، محفور في الأرض (أنظر شكل** 77**)، وهذا الصهريج ،كما هو الحال بالنسبة للصهاريج الموجودة بالجبل، يميل إلى الشكل الدائري. وينسب المسجد إلى أبي نصر فتح بن نوح الملوشاي. وهو أحد علماء جبل نفوسة المعروفين في القرن السبع الهجري – الثالث عشر مسيحي،**[211]

**211– الشماخي، السير، ص 348.**

**وهذا المسجد، حقيقة، لا يمثل قيمة فنية أو معمارية، بقدر ما يمثل نسبته إلى أبي نصر من أهمية. فهو الذي صاغ للأباضيين أعمالا فريدة.[212] ومن جهة أخرى، فهو مثال لمسجد أباضي يعود تاريخه إلى القرن السابع الهجري – الثالث عشر مسيحي. وهذا مما يدل على ان الأباضيين، حتى هذا الوقت، لا يعيرون اهتماما للشكل، بقدر ما يهتمون بالمضمون، ولعله بعد كل هذا يقدم لنا مثلا لمسجد بدون محراب، إذ ان المحراب الحالي مستحدث في ترميم لاحق لبناء المسجد. وهذه الظاهرة ستتعرض لها بتفصيل عند التطرق إلى مناقشة الجانب المعماري لأكبر مساجد جبل نفوسة، الموجود بقرية شروس القديمة.**

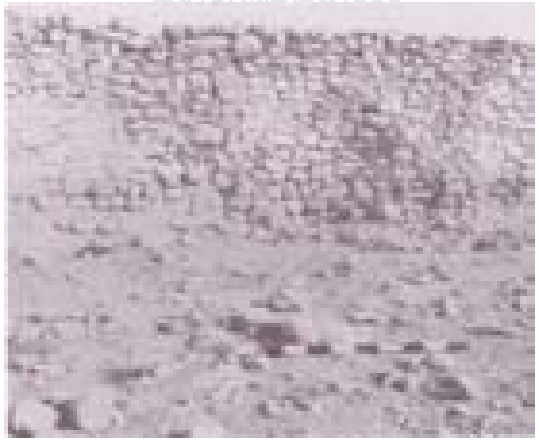

**شكل** 75 الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبي نصر، وهو ترميم لاحق

**212– المصدر السابق، ص 549، أنظر أيضا، مونيلنسكي، نفس المصدر ص 103.**

**شكل** 76 مسجد أبي نصر كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية بتملوشايت

**شكل** 77 بقايا آثار لمسجد أبي نصر، وهي تمتد باتجاه الشمال الغربي من الرواق القائم الآن

**تندميره:**

**تقع قرية تندميره على بعد حوالي 7كم، في الاتجاه الشرقي من قرية تملوشايت. وتربض مبانيها على مرتفع ينحدر نحو الشرق ليتصل بوادي شروس. وتنتشر أطلال هذه القرية على رقعة واسعة من الأرض. والمرء لا يملك إلا التحسر عند رؤية الحالة المزرية التي عليها بقايا هذه الأطلال. ذلك ان هذه القرية قد لعبت دورا في تاريخ جبل نفوسة. وكانت مقرا لأحد أشهر حكام الجبل. وبطبيعة الحال فسكان هذه القرية قد هجروها منذ زمن طويل. ويبدو ان مبانيها قد تصدعت ماعدا المسجد المعروف بمسجد أبي منصور إلياس. ويعيش أهل تندميرة اليوم في منازل حديثة لا تبعد كثيرا عن هذا المسجد. ولكن أهم ما يشغل اهتمامهم عند النظر إلى قريتهم القديمة، هو مسجد أبي منصور، الذي عانى وكسب في ذات الوقت من أعمال الترميم.**

**ويتعرض موتيلنسكي إلى ذكر قرية تندميرة. ويصفها على النحو التالي: (يوجد الكثير من أشجار الزيتون إلى الغرب من قصر تندميرة. ويمتلك أهالي القصر عددا هائلا من أشجار النخيل، وأمام هذه القرية يوجد صهريج للماء. وإلى الأسفل من هذا الصهريج يمتد الوادي المليء بأشجار النخيل والزيتون. ويفصل هذا الوادي قرية تندميرة عن قرية طمزين).[213]**

**وأما ليفسكي فيقول: (ان تندميرة تعتبر مسقط رأس أبي منصور إلياس، الذي حكم جبل نفوسة في العهد الرستمي، إبان النصف الأخير من القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي). كما**

**213– موتيلنسكي، نفس المصدر، ص 103–4.**





**انه يضيف بان مسجد أبي منصور إلياس لا زال قائما، ويحظى بالتقدير والزيارة من قبل الأباضيين القاطنين بالجبل.[214]**

**ولا يتبع الشماخي هذا النسق في وصف القرى الأباضية بالجبل. فهو يتعرض للقرى عندما يضطره السياق التاريخي للإشارة إليها. ولذا تتوزع أخباره عنها في كتابه التاريخي (السير). فهو مثلا، يشير إلى تندميرة على إنها إحدى أهم ثلاثة قرى بجبل نفوسة. كما انه من مدح هذه القرى، بسبب بعض رجالاتها الذين ساهموا بشكل ايجابي في تاريخ المنطقة.[215]**

**والحقيقة ليس ثمة شيء يجذب المرء إلى آثار تندميرة عدا مسجدها المعروف، بمسجد أبي منصور إلياس (أنظر شكل 78)، وهو يقع على تلة صغيرة تشرف في الجهة الشرقية على وادي شروس، محاطا بأكوام من الأنقاض.**

**شكل 78** مسجد أبي منصور إلياس بتندميرة القديمة كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية

**214– ليفسكي، نفس المصدر، ص 59–60.**

**215– الشماخي، السير، ص 301، 307، 315–6.**

لقد سبقت الإشارة بتوسع إلى أبي منصور إلياس، الذي حكم جبل نفوسة، في القرن الثالث الهجري–التاسع مسيحي. وكان ذلك في عهد الأماميين الرستميين، اليقظان وأبي حاتم.[216] ونحن على علم بأنّ إمامة اليقظان قد دامت لمدة أربعين عاما (241 – 281هـ). ولكن الذي لا نعلمه هي السنة التي عين فيها أبو منصور حاكما للجبل. وعلى أية حال، فبإمكاننا تحديد تاريخ تقريبي لبناء مسجد أبي منصور. وهذا التحديد سيعتمد على حدثين كبيرين، فالأول يتعلق بهزيمة العباس بن طولوب على يد أبي منصور إلياس في سنة 267هـ – 881م. والحدث التاريخي الآخر هو معركة مانو، التي هزم فيها الاغالبة أهالي نفوسة، بقيادة العباس بن أفلح، خليفة أبي منصور إلياس، في عام (283هـ – 296م).[217]

ووفقا لهذه الحقائق التاريخية يصبح بإمكاننا القول، ان مسجد أبي منصور قد أسس في الفترة ما بين 267هـ، و282هـ. ويترتب على هذه النتيجة معرفتنا لأقدم مسجد قائم بمنطقة جبل نفوسة، على الرغم من تصدع جزء من بنائه الأصلي.

ولازال رواق القبلة بحالة جيدة. أما بقية المسجد فيمكن تتبع أسسه الأصلية بسهولة، نتيجة لبقايا أطلاله المتصدعة الظاهرة للعيان. ومخطط المسجد الأصلي يقترب من الشكل المربع. ويبلغ طول جدار القبلة فيه حوالي 19.30م. أما الجدار المقابل لحائط القبلة فيبلغ حوالي 19.10م. ويقدر طول الجدار الشمالي الشرقي بحوالي 18.10م. كما يبلغ سمك الجدار حوالي متر واحد. ومثل ما هو في مسجد أبي نصر، فثمة عمود ملقى خلف الرواق الثاني (أنظر شكل 79).

216– الشماخي، السير ، ص 301، 307، 315–6.

217– المصدر السابق، ص 224.

شكل 79 جزء من الجدار الغربي لمسجد أبي منصور بتندميرة القديمة

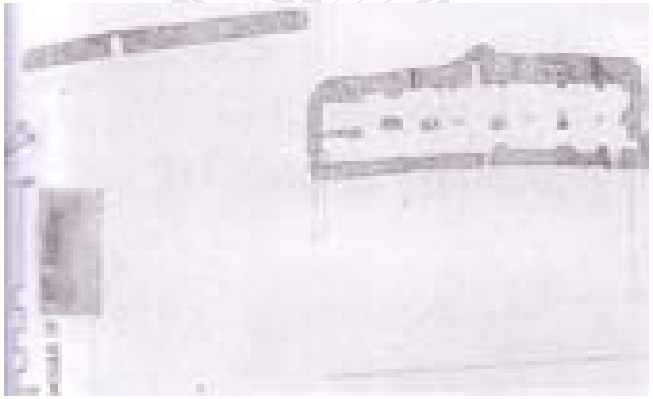

شكل 80 المقطع الأفقي لمسجد أبي منصور بتندميرة

وعند تتبع أساسات المسجد الأصلي، تبين انه كان يتكون من خمسة، وربما من ستة أروقة، اعتمادا على عرض المسافة في الرواقين القائمين حاليا. وللمسجد بوضعه الراهن مدخلان، احدهما في الجدار الشمالي الشرقي، ويبلغ عرضه 72 سم، ويقدر ارتفاعه بحوالي متر واحد. والآخر يقع في الجدار الشمالي الغربي. ويظهر انه قد استحدث خلال ترميم أجرى على المسجد. ولقد شمل الترميم أيضا سد الأقواس في الرواق الثاني. (أنظر شكل 81–82).

**شكل** 81 المدخل الرئيسي لمسجد أبي منصور إلياس، الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية

ونرى على سطح المسجد، وفوق المحراب مباشرة، العنصر المعماري الذي يطلق عليه (الصمعة). وهي تتكون هنا من قاعدة صغيرة مربعة. ويبلغ طول كل ضلع فيها حوالي 90 سم. وبعلو هذه القاعدة بناء اسطواني الشكل. ويقدر ارتفاعه بحوالي 90 سم. ومن البديهي ان يذكرنا هذا العنصر المعماري بما رأيناه في مسجد نالوت،





إلا انه في مسجد أبي منصور أكثر اتقانا. وكذلك أكثر دلالة على تحديد موقع المسجد (أنظر شكل 83، 84، 85، 86) وأما الفتحة التي نراها في هذه (الصمعة) فهي تعتبر عن فكرة لطيفة تتعلق بالتهوية وإدخال قدر ضئيل من الضوء إلى داخل قاعة الصلاة.

**شكل** 82 الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبي منصور حيث يظهر المدخل الآخر

**شكل 83** الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أبي منصور، حيث تبدو آثار الترميم واضحة

**شكل 84** الصمعة بمسجد أبي منصور إلياس بتندميرة القديمة

**شكل 85** الصمعة بمسجد أبي منصور إلياس بتندميرة القديمة

**ونشاهد أيضا خلف أساسات المسجد الأصلي، في الجهة الشمالية الغربية، بقايا الآثار تشير إلى وجود فناء ملتصق بقاعة الصلاة. ويلاحظ ان جزء من جدار القبلة في هذا الفناء لازال ظاهرا للعيان. ويبلغ طوله حوالي 17.3م، بينما يبلغ حوالي 1.30م ونرى بهذا الجدار محرابا ذا عمق يبلغ حوالي 1.20م. ووجود هذا الفناء في**





**مسجد أبي منصور يذكرنا بالفناء الموجود بمسجد أبي يحيى في فرسطه. ويطلق على هذه الأفنية في منطقة جبل نفوسة (مصلى)[218] والأصل في هذه التسمية في الغالب مرتبطة بالصلاة على الموتى بهذه الأمكنة. ويوجد خلف الفناء بمسجد أبي منصور، كما هو الحال في مسجد أبي يحيى بفرسطه، حجرات متصدعة. واعتمادا على رواية الأهالي، فهي تعود إلى وقت متأخر جدا. ولقد بنيت أصلا بغرض إيواء الزوار. (أنظر شكل 87).**

**شكل 86** الصمعة بمسجد أبي منصور إلياس بتندميرة القديمة

**والنظر إلى المسجد بتندميرة من الخارج، يوحي بأنه بناء بسيط. ولكن النظر من الداخل للرواقين القائمين يحتفظان بأهمية كبيرة من الناحية المعمارية والفنية. ولذا يتوجب علينا الخوض في بعض التفاصيل.**

**218– المصلى مكان يستعمل للصلاة وقت الحاجة. وغالبا ما يبدو بسيط البناء. وكان أول مصلى عرف في الإسلام ذلك الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة أنظر ، كرزويل، نفس المصدر، المجلد الثاني، ص 598–9.**

شكل 87 حجرات الزوار لمسجد أبي منصور، التي تقع إلى الشمال الشرقي من المسجد

**ويبدو واضحا ان ترميمات عدة قد أجريت على هذا المسجد ووثقت واحدة منها بكتابة على الحجر. فعند مواجهة المحراب يرى على جدار القبلة، إلى الجهة اليسرى، وعلى ارتفاع قدره حوالي 1.40م. كتابة محفورة على حجر. وهي تتكون من تسعة أسطر. وتقرأ على النحو التالي:**

**«بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على نبينا محمد وآل(ه) وصحبه وسلم تسليما. أسس هذا المسجد في شهر الله المبارك المحرم عام خمس وسبعين سنة بعد ثمن مائة في القرن التاسع وكتب سعيد بن مصباح ابن إبراهيم رحمه الله برحمته». (أنظر شكل 88).**

**ونرى هنا ان الكتابة تشير إلى تأسيس المسجد في عام 875 هـ، ويظهر ان الكاتب قد قسم مساحة الحجر إلى خمسة أقسام أفقية، وصولا إلى كتابة سطرين في كل قسم منها. وكما يظهر فانه لم ينجح في كتابة السطر الثاني في القسم الثاني. ذلك لأنه كتب السطر الأول بميل نحو الجهة اليسرى. ولذا لم تكن المساحة المتبقية كافية**





**للكتابة. كما يبدو ان السطر السادس قد أضيف إلى الكتابة الأصلية في فترة لاحقة. ذلك لان الكتابة هنا لا تتلاءم ولا تنسجم مع بقية الكتابة.**

شكل 88 الكتابة الأثرية، التي تبدو على اليمين عند مواجهة المحراب

**ولا يجب ان نغفل عن كلمة (أسس) في السطر الأول، حيث إنها تعطي انطباعا وفهما بان هذا المسجد قد بني في التاريخ المذكور بالكتابة. وكان الصحيح ان تكتب كلمة جدد أو رمم أو أصلح، وما إلى ذلك. فبناء المسجد وتأسيسه قد وثقته المصادر التاريخية، كما**

اشرنا آنفا.

ولا يفوتنا أيضا ان نذكر ان كلمة (ابن) التي جاءت في السطر الثاني وجب ان تكتب بدون ألف، وفقا للقاعدة اللغوية. ولكن المرء يجد العذر للكاتب، الذي من المؤكد انه كان من المتحمسين للمحافظة على هذا المسجد والعمل الذي تقوده العاطفة عادة ما يختلف عن العمل الذي يتحكم به التخصص. وهذا ما يراه المرء في اغلب المساجد، التي خضعت إلى الترميمات بمنطقة جبل نفوسة.

وعلى الرغم من وجود هذه الملاحظات حول هذه الكتابة بمسجد أبي منصور، فهي تعد ذات قيمة أثرية وتاريخية، وسنتطرق إلى أسلوب الخط بهذه الكتابة وغيرها في الفصل المخصص لهذا الغرض.

وبالنظر ثانية إلى المحراب، وإلى يسار هذه الكتابة، توجد فتحة صغيرة بجدار القبلة. وهي على شكل نافذة مغلقة ذات تجويف. ويحيط بهذا التجويف إطار مزخرف. ولقد تم تنفيذه على قطعة واحدة من الحجر ذي القطع الجيد. وهذا الحجر تم نحته على هيئة ثلاثة أقواس متلاصقة، وتستند هذه الأقواس على عمودين. احدهما مفقود الآن، وتبلغ قاعدة هذا الحجر حوالي 28 سم طولا، وحوالي 33 سم ارتفاعا. (أنظر شكل 89، 90). وهذه الزخرفة تذكرنا بما رأيناه في مسجد أبناين. وهذا العنصر الزخرفي شائع في العمارة الفاطمية. كما انه عنصر محبب للفنان المسلم، الذي استخدمه في زخرفة بعض العمائر الأندلسية، والراجح ان أول ظهور له في الفن الإسلامي كان بالجامع الأموي بدمشق، كما يلاحظ وجوده على واجهة القاعة الكبرى بقصر الاخيضر.





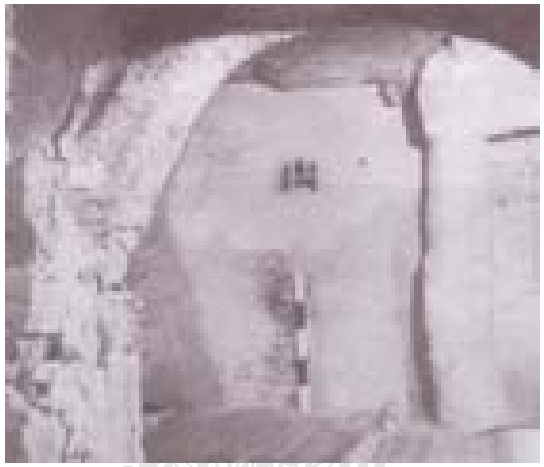

**شكل 89** لقطة لمسجد أبي منصور بداخل قاعة الصلاة

**شكل 90** تجويف بجدار القبلة إلى اليمين عند مواجهة المحراب

وجب ان نلفت النظر إلى ان المحراب بمسجد أبي منصور إلياس قد تأثر كثيرا بفعل الترميمات التي أجريت بالمسجد. وعلى الرغم من ذلك يظل واحدا من أجمل المحاريب بمساجد ليبيا.[219] (أنظر شكل 91) وهذا المحراب ذو شكل شبه مستطيل ويبلغ عمقه حوالي 1.50م، ومن المعروف ان هذا النوع من المحاريب قد ظهر في العراق وإيران منذ فترة مبكرة في العهود الإسلامية. أننا نراه بقصر الاخيضر، وفي مسجد تاريخ خانة. ويعتقد ان كلاهما قد أسس في القرن الثاني الهجري – الثامن مسيحي، ولقد وجد أيضا في جامع سامراء بمسجد أبي دلف بالعراق.

وكل هذه المحاريب ومحراب الجوسق الخاقاني المماثل، وكذلك المحراب التي عثر عليه حديثا بسامراء، يعود تاريخها إلى المنتصف الأول من القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي.[220] وإضافة إلى هذا وجب ان نشير إلى انه وجد في منطقة المزاب، وكذلك في شمال نيجيريا،[221] والذي لا نعرفه بالتفصيل هو كيفية توظيفه في المساجد بغرب العالم الإسلامي. وعلى أية حال، فان شاخت (Schacht) يزعم ان أهل المزاب لم يكن ليستعيروا هذا النمط من نيجيريا .ولكن

219– لا يوجد حتى الان في المن الإسلامية الاثرية، التي تمت بها الحفريات، مثل اجدابيا، سلطان، وزويلة، محراب يضاهي محراب مسجد أبي منصور وهذه المقولة لا تشمل المساجد التي أنشئت في العهد العثماني في ليبيا، واغلبها في مدينة طربلس. وللاطلاع على روعة التصميم والزخرفة في الاخيرة أنظر، G.Messana, L'Architecture Musulmane Libyenne, Tripoli, Tunisie, 1977 ; pp. 161, 173.

220– كرزويل، نفس المصدر، المجلد الثاني، ص 258، أنظر أيضا، فريد شافعي، نفس المصدر، ص 624–5.

221– شاخت، نفس المصدر، ص 15، 18.





العكس هو الصحيح[222]. ونحن لا نعارض هذا الزعم. ولكن عندما رأينا هذا الشكل من المحاريب بمسجد أبي منصور إلياس، نستطيع ان نحدد الرابط الموضوعي بين جبل نفوسة وبين المزاب وشمال نيجيريا. وبذلك نضيف بعدا جديدا لنظرية شاخت.

شكل 91 محراب مسجد أبي منصور إلياس بقرية تندميره

والحقيقة ان أقدم المدن في منطقة المزاب يعود تاريخها إلى

222– المصدر السابق، ص 19.

القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي.[223] وبهذا يتبين ان مسجد أبي منصور أقدم بكثير من هذا التاريخ. واعتمادا على الأدلة التاريخية والأثرية نستطيع القول بيسر ان المحاريب المماثلة لمحراب مسجد أبي منصور بمنطقة المزاب قد تأثرت بجبل نفوسة. ويؤيد هذا أيضا التواصل بين المنطقتين. وثمة احتمال أيضا بانتقاله إلى الجنوب حتى نيجيريا من الجبل ذاته. وطبقا للمصادر التاريخية، فان أهالي نفوسة كانوا على صلة بتاهرت وورقلة منذ القرن الثاني الهجري – الثامن مسيحي. وكذلك ثمة ما يؤكد صلتهم ببلاد السودان في القرن الثالث والرابع هجري – التاسع والعاشر ميلادي.[224]

ولقد لبس المحراب بمسجد أبي منصور بأحجار جيدة القطع. وهي مزخرفة بالعناصر الهندسية والنباتية، وعلى مستوى عال من الجودة. وهذه الأحجار المنمقة تكتنف المحراب أيضا على جانبيه. ويبلغ مستوى ارتفاعها عن الأرضية حوالي 1.30م، ونراها تتراص فوق بعضها لتصل إلى مستوى العقد والذي يعلو المحراب. وبدلا عن العمودين اللذين يسندان هذا العقد، نجد أحجارا ذات شكل مستطيل تحيط بتجويف المحراب. ولكن للأسف – فان عددا من الأحجار العليا مفقودة.

وتنقسم هذه الأحجار راسيا إلى قسمين، الجزء الخارجي منها، وهو الموجود على جانبي المحراب. وتتكون الزخرفة به من وحدات تملأها الشرطات المتكسرة. وبالنظر إلى المحراب، فالجزء الآخر للأحجار، على اليسار، يظهر عناصر نباتية تشبه الورقة النخيلية، ونرى في المساحة المتبقية عناصر هندسية تتكون من معينات محاطة

223– روشي، نفس المصدر، ص 29، الجيلاني، نفس المصدر، ص 237.
224– الشماخي، السير، ص 154–5، 214، 312.





بأشكال مثلثات، وداخل كل منها تبدو ورقة بثلاث تفريعات. (أنظر شكل 91، 92، 93)، وعلى الرغم من ان قدرا كبيرا من الزخرفة قد مال للتلاشي، نتيجة لعدم العناية والإهمال، فان بعضها لازال بحالة جيدة. واللافت للتفكير ان هذا المستوى الراقي للزخرفة وتنفيذها، قد وجد في جبل نفوسة. ويعود تاريخها إلى القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي، ونضيف أيضا ان الزخرفة، التي تكتنف المحراب، تتكون من وحدتين زخرفيتين مكررة مرات ومرات على جهتي المحراب (أنظر شكل 94).

**شكل 92** محراب مسجد أبي منصور إلياس بقرية تندميره

شكل **93** محراب مسجد أبي منصور إلياس بقرية تندميره

**فالوحدة الأولى تظهر ثلاثة أنواع من الدوائر المختلفة الأحجام، فالصغرى منها تحتوي على زهرة ذات ثمانية فصوص. والوسطى تحصر بداخلها زهرة ذات اثنتي عشر فصا. أما الأكبر منها فتحتوي على ثلاثة أقراص. والقرص الداخلي توجد به زهرة ذات ستة عشر فصا. أما القرصان الخارجيان فتملأهما وحدة زخرفية تتمثل**





**على هيئة تعريقات. وتظهر أيضا الورقة النخيلية متخللة موضوع الزخرفة.**

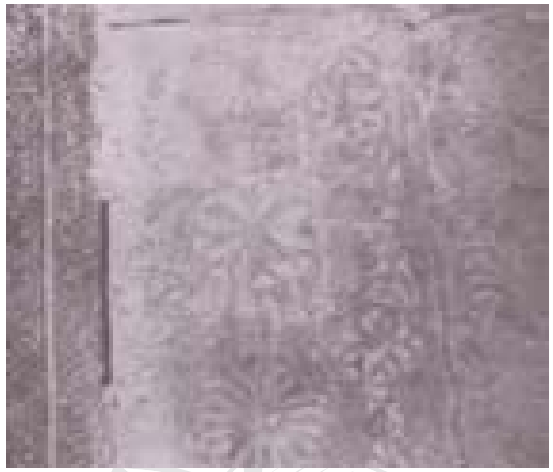

شكل **94** زخارف تكتنف محراب مسجد أبي منصور بتندميره

**وتتكون الوحدة الزخرفية الثانية من دائرة في الوسط، وتظهر بداخلها الزهرة المتفتحة. وهي محاطة بأربع زهرات، لكل منها ثمانية فصوص، وتشغل المساحة بين فصوص الزهرات زخرفة نباتية، تظهر بها أشكالا لورقة الزيتون والورقة النخيلية، ويحيط بهذه الوحدة الزخرفية دائرة كبيرة (أنظر شكل** 94، 95) .

**وعند النظر إلى المحراب، نرى انتهاء الأحجار الملبسة على جدار القبلة، بأحجار أخرى تقترب من الشكل المستطيل. وترتفع حتى بداية تشكل العقد، وتنقسم هذه الأحجار راسيا أيضا إلى جزئين. الأول إلى جهة اليسار، حيث نرى عناصر هندسية للزخرفة على شكل معينات متصلة، وبداخل كل منها زخارف نباتية.**

ويحتوي الجزء الآخر على زخرفة تمثل مربعات متراصة (أنظر شكل 96)، ونرى على الجانب الآخر من المحراب تماثل الزخرفة مع الجانب الأول، إلا ان في الأسفل يظهر شكل لعمود (أنظر شكل 97).

شكل **95** زخارف تكتنف محراب مسجد أبي منصور بتندميره

ويبدو ان التجويف الداخلي للمحراب قد تعرض لترميم كبير، الأمر الذي أذى إلى ضياع بعض الأحجار المزخرفة. كما تعرض البعض الآخر للتغطية والتلف. وتظهر الزخرفة هنا منسقة بشكل راسي. وتتكون من حزم نباتية. وتبدو بالأسفل الدوائر المحتوية على الأزهار المختلفة الفصوص. وهي تتنوع من ثمانية إلى عشرين فصا. وهذه الوحدة الزخرفية رأينا أمثلة لها بالقيروان. وهي التي تقترب منها تاريخا. كما رأيناها في زخارف مدينة سدراته، وهي التي تتأخر عنها تاريخا. ولكن في مسجد أبي منصور تغلب على الزخرفة المنفذة بين هذه الدوائر العناصر الورقية ذات الثلاثة تفريعات (أنظر





شكل 98، 99، 100).

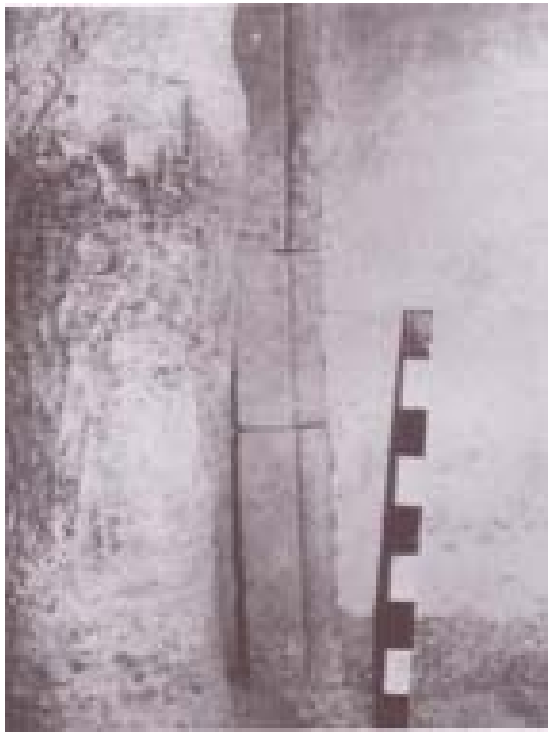

شكل **96** زخارف إلى يمين الناظر إلى محراب مسجد أبي منصور بتندميره

وعلى الرغم من تعرض أحجار تجويف المحراب لتلف كبير، إلا انه لحسن الحظ، لا تزال النقوش على الحجر تبدو متماثلة مع الأحجار الأخرى بداخل المحراب. ولذا سنتعرض إلى وصفها بالتفصيل. فالزخرفة تتكون من أربعة دوائر تحيط كل منها بالأخرى. ويحيطها جميعا عنصر هندسي على شكل مربع (أنظر شكل 101)

**شكل 97** عمود يظهر على اليسار عند مواجهة محراب مسجد أبي منصور

**شكل 98** زخارف داخل تجويف المحراب

**شكل 99** زخارف داخل تجويف المحراب

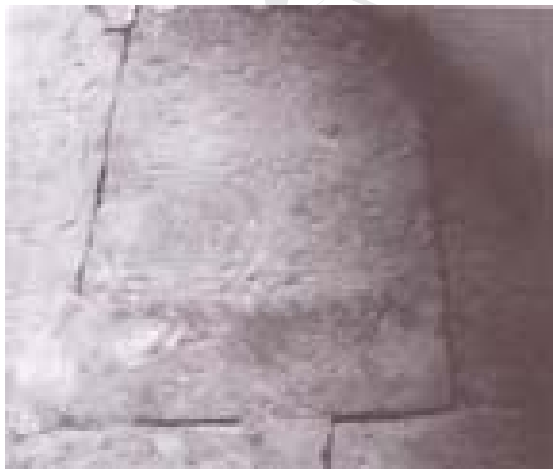

**شكل 100** زخارف داخل تجويف المحراب





**وفيما يلي وصف لها بالتسلسل ابتداء من الدائرة الداخلية:**

**1- تبدو التعريقات النباتية متعرجة في مركز الدائرة، ومقسمة لها إلى ثمانية أجزاء. ويظهر في كل جزء زخرفة تتماثل مع الجزء المقابل له. وفيما يلي وصف لما يحتويه كل جزء، بداية بالإطار الأعلى، واتفاقا مع سير عقارب الساعة:**

**أ – يظهر في هذا الجزء نصفا دائرتين وفي كل منهما شق لزهرة، بينما يظهر في وسط الإطار زهرة كاملة ذات ثمانية فصوص. ويصاحبها ورقة ذات ثلاثة تفريعات بين فصوصها. وفي الفضاء المتبقي عناصر نباتية مزهرة.**

**ب – يظهر في هذا الجزء نصفا الدائرتين خاليا من الزخارف. ويرى حولها زخرفة نباتية تمثل الورقة النخيلية.**

**ج – يملأ نصفا الدائرتين في هذا الجزء عناصر نباتية لورقة ذات ثلاثة تفريعات (أوراق الزيتون). ويزين نهاياتها عناصر وردية.**

**د – تتطابق الزخرفة هنا مع الجزء (ب).**

**2– تتكون الوحدة الزخرفية هنا من إحدى عشر نصف دائرة، ويظهر في كل منها شق لزهرة. ويملأ الفراغ، بين فصوصها، تفريعات نباتية (أنظر شكل 101).**

**3– تخلو هذه الدائرة من الزخارف تماما (أنظر شكل 101).**

**4– تتشابه الوحدة الزخرفية هنا مع رقم (2) ويتمثل الاختلاف الوحيد في صغر الأقراص (أنصاف الدوائر). ويتكون شق الزهرة هنا من أربعة فصوص بدلا من ستة. كما ان عدد أنصاف الدوائر في هذه الوحدة أكثر، إذ تبلغ واحدا وعشرين (أنظر شكل 101).**

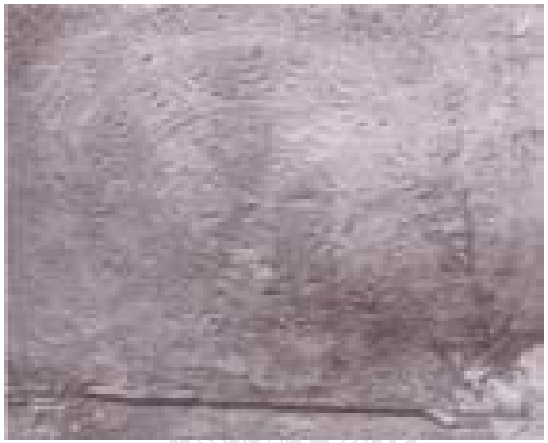

**شكل 101** زخارف داخل تجويف المحراب

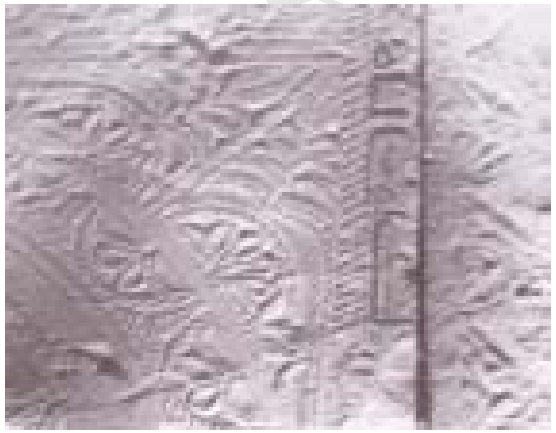

**شكل 102** زخارف داخل تجويف المحراب

**ولقد أنتجت إحاطة هذه الدوائر بالشكل المربع أربعة زوايا،**





**ملأها الفنان بوحدات زخرفية متماثلة. فالركن الأعلى، على اليسار، مقسم إلى فضاءات، نقش في كل منها زخارف متماثلة، هي تتكون في كل فضاء من شق لزهرة. ويصاحبهما زخرفة نباتية مع الورقة ذات الثلاثة تفريعات. وفي الأعلى سطر واحد لكتابة كوفية، تقرأ: عبد. ويبدو ان كلمة (عبد) قد أضيفت إلى الكلمة الأصل (الله) وذلك واضح من اختلاف أسلوب الخط (أنظر شكل 101، 102).**

**شكل 103** زخارف داخل تجويف المحراب

**ويظهر أيضا في أعلى تجويف الجدار، وحدة زخرفية كاملة، قدر لها ان تنجو من التلف، ويتكون موضوعها الزخرفي من أربعة دوائر، تحيط كل منها بالأخرى. وتنقسم الدائرة الداخلية إلى أربعة أجزاء بواسطة خطين متقاطعين، ويظهر شكل لمربع في وسط الدائرة. ولكن احد الأضلاع لم يكتمل نحته. كما نرى نحتا على هيئة قوس في**

كل ركن من أركان المربع. وهذه الأقواس مقسمة راسيا إلى جزئين بواسطة خط عمودي، ونلاحظ ان جزءا من زخرفة لم يتم نحته. كما تبدو الخطوط جميعها على هيئة تعريقات نباتية، إضافية إلى العناصر الوردية بين هذه التعريقات. أما الدائرتان المتبقيتان فلا توجد بهما زخرفة. وتبدو الخارجية منها ذات تعريقات مائلة ومتعرجة، (أنظر شكل 103).

ولا يفوتنا ان نذكر ان حجرين مدببي الرأس قد وجدا مثبتان بجدار القبلة، احدهما مغروس في الجدار فوق عقد المحراب، والآخر إلى الجهة اليسرى منه (أنظر شكل 104). وبما ان أحجارا مماثلة لهما قد وجدت في مسجد شروس، فلذلك سنقوم لا حقا باتخاذ تفسير موضوعي لوضعهما الأصلي ووظيفتهما، عند التعرض للمسجد المذكور.

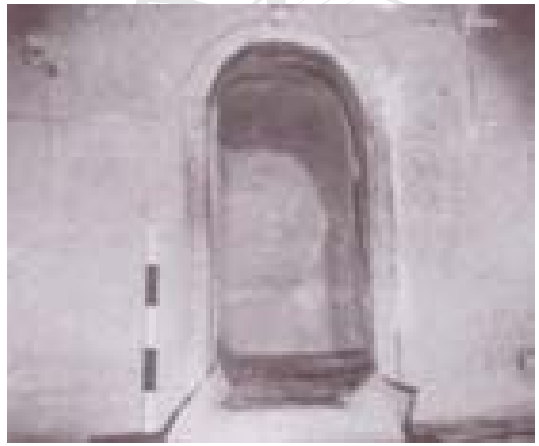

**شكل 104** محراب مسجد أبي منصور بتندميره حيث الحجران المثبتان في جدار القبلة





ومما يدعو إلى التساؤل ان بعض الأحجار المزخرفة قد وجدت متناثرة على الجدران، وفي يقف المسجد، ولا جدال حول عدم انتمائها إلى المواضع الموجودة بها في الوقت الحالي. (أنظر شكل 105، 106). ومن المؤكد ان هذا الوضع كان نتيجة لأعمال الترميم، التي جرت بهذا المسجد. وواحد من هذه الأحجار يقترب من الشكل المستطيل، ويحتوي على وحدة زخرفية، تتكون من أنصاف دوائر. وتصاحبها أنصاف الأزهار متفتحة وتعريقات نباتية. ويبدو ان هذا الحجر قد صمم ليلبس على حافة جدار أو تجويف. وربما يكون من ضمن الأحجار التي استغنى عنها الفنان لعدم جودة زخرفتها (أنظر شكل 107).

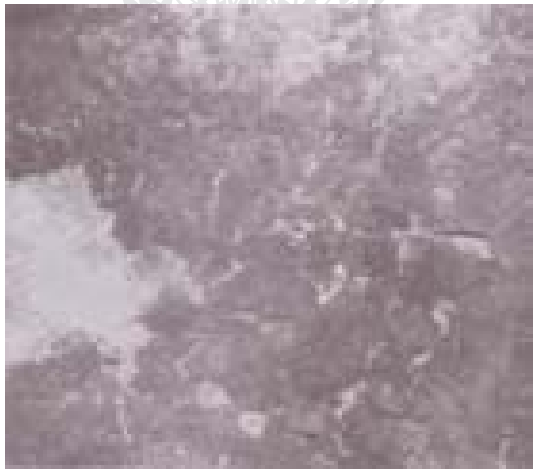

**شكل 105** حجر مزخرف بسقف مسجد أبي منصور نتيجة لأعمال الترميم

**شكل 106** حجر مزخرف يسقف مسجد أبي منصور نتيجة لأعمال الترميم

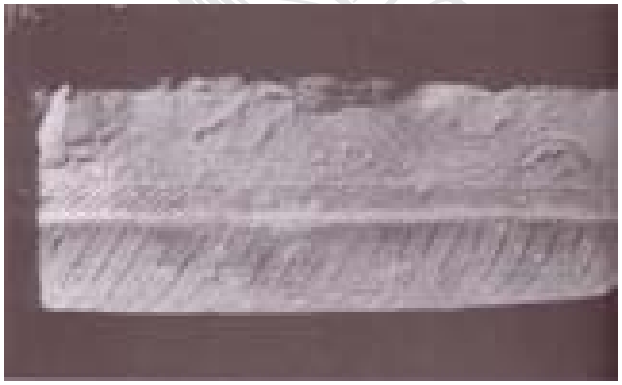

**شكل 107** حجر مزخرف وجد خارج مسجد أبي منصور إلياس بتندميره





**ولقد أحدثت الترميمات التي أجريت بالرواقين القائمين خطأ آخر، فهي على الرغم من بعض محاسنها، تسببت في غمر الأعمدة الأصلية للمسجد وسط الدعامات المستحدثة. ولم يلفت من هذا العمل إلا عمود واحد فقط. وهو موجود بالجهة الشمالية الشرقية من المسجد، ولقد بات شاهدا ودليلا على بقية الأعمدة المختفية داخل الدعامات. ويزين تاج هذا العمود زخارف نباتية (أنظر شكل** 108).

**شكل 108** تاج عمود بمسجد أبي منصور إلياس بتندميره

ولا يغيب عن البال إعلان الأباضيين تمسكهم الشديد بالمحافظة على التقاليد الإسلامية الأولى عبر تاريخهم الطويل. ولم يكن هذا محصورا على الجانب الديني، بل انعكس ذلك على مجال العمارة والفنون، ويدلل على هذا جبل نفوسة وان بقايا الآثار للقرى القديمة لا تظهر ميلا إلى الاعتناء بهذا الجانب على العموم. ولذا يجد المرء نفسه مندهشا، بل مستغربا لوجود مسجد يحتوي على زخارف ذات مستوى عال من الجودة والإتقان، وربما نستوعب هذا الأمر بعض الشيء إذا عدنا إلى الفترة التاريخية، التي شيد فيها مسجد أبي منصور.

فلقد أدى الاتفاق الذي عقد بين الإمام عبد الوهاب والأغالبة، إلى انحسار سيطرتهم عن الأراضي الليبية. ولم يبق بيدهم إلا مدينة اطرابلس والساحل البحري، أما بقية ممتلكات الأغالبة فقد ذهب إلى الدولة الرستمية.

وكان الأمر ان أصبحت المنطقة من جنوب قابس حتى خليج سرت في الشرق، تحت سيطرة حاكم جبل نفوسة، المعين من قبل الإمام الرستمي.[225] وكان أبو منصور هو الذي حكم هذه الأراضي الشاسعة في أواخر القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي، ولقد تمتعت تاهرت عاصمة الرستميين في الفترة بازهى عهودها الفنية والمعمارية، نتيجة لما احاط الدولة من سلام ورخاء.[226] والراجح ان أبا منصور، صاحب هذا المركز المرموق، قد تأثر بما يحدث في الوسط الأباضي من تحولات، فأمر بان يكون مسجده بتندميرة متلائما والمعطيات الجديدة. ولم يكن استجلاب الفنانين في مثل هذا الوضع

225– الشماخي، السير، ص 154–5، 214، 312.

226– دبوز، نفس المصدر، ص 544–5.





بالأمر الصعب. ويحتمل أنهم قد قصدوا حاكم الجبل، لعرض ما لديهم من مواهب في مجالي الفنون والعمارة. وهذه عادة درج عليها الحكام، أي استقدام الفنانين لتشييد العمائر وزخرفتها. ولكن شخصية أبي منصور تجعل هذا الأمر صعب القبول.

ولقد اشرنا إلى ان بعض الزخارف لم يتم نحتها، وان تنفيذ جزء منها لم يكن بالجودة التي عليها أغلب الزخارف بالمسجد. وربما يكون التفسير الموضوعي لهذا الأمر ان الأيدي الفنية قد تعددت بهذا العمل. ولا يستبعد ان يكون من قام بهذا العمل فنانون قدموا من افريقية (تونس)، ويرجح أيضا ان من السكان المحليين من شارك في هذا العمل الفني. ومن الطبيعي ان تتفوق الموهبة والخبرة.

وجب علينا ان نعرج على بعض التفاصيل. وذلك بغرض تصنيف هذه الزخارف. ومن جهة أخرى معرفة الكيفية التي وجدت بها في جبل نفوسة. ولا يسعنا إلا القول بان الفن الإسلامي قد تأثر بالفنون التي سبقته. ويعد الفن الهيلينستي والفارسي من أهمها تأثيرا. ويكفي هنا ان نشير إلى ان زخارف قبة الصخرة بالقدس، قصر المشتى، المسجد الأقصى، ومباني إسلامية أخرى، تظهر بدرجة كبيرة صحة هذه المقولة.[227] كما انه من المعروف ان مميزات الطابع الإسلامي الفني قد وجدت في سامراء بالعراق. ولقد بنيت هذه المدينة في عام 221 هـ – 836م. ومن قبيل الإجماع ان هذا النمط الفني الإسلامي انتشر منها إلى بقاع متعددة.[228] وكان ان كشفت الحفائر في سامراء

227– كرزويل، نفس المصدر، مجلد 1، ص 87–8، أنظر أيضا بيرشام في كتاب كرزويل، نفس المصدر، مجلد 1، ص 227–8، وقارن ، شـــافعي، نفس المصدر، ص 227.

228– كرزويـــل، مختصر للعمارة الإســـلامية، ص 29، 289–90، وانظر فريد

عن قدر كبير من الزخارف الجصية، ولقد تجلى أسلوبها ومواضيعها في جامع ابن طولون بمصر، الذي بني في سنة 263 هجري – 876–71 مسيحي. ومميزات الفن الإسلامي بسامراء تعني أهم مكونات الطابع الفني، الذي أصبح لا تخطئه العين في نسبته للفنان المسلم، بعد ان امتزج بما سبق من الفنون. ومميزات سامراء الفنية نراها أيضا على الأواني الخزفية والتحف الخشبية، التي ترجع إلى المنتصف الثاني من القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي.[229]

وعندما نقارن زخارف سامراء وجامع ابن طولون الموجودة في مسجد أبي منصور بجبل نفوسة، يتبين لنا الصلة الوثيقة بينهما. وانه لمن اليسير ان نلحظ التماثل الكبير في أسلوب وضعية الزخارف النباتية المتوردة. وكذلك الأزهار المفصصة داخل دوائر أو مربعات، وبروز الورقة النخيلية في مواضيع الزخرفة. ويضاف إلى هذا غياب الرسوم الأدمية، وعدم ترك الفراغ في الوحدة الزخرفية، والأخير هو ما يعرف (بالخوف من الفراغ). (أنظر شكل 49، 50، 51، 52، 53).

ربما يكون هذا كافيا لتوضيح التأثر القادم من شرق العالم الإسلامي وعلى الرغم من هذا الاعتقاد، فالمحتمل أن ثمة ما شكل نقطة الوصل لوجود هذا المستوى الراقي من الزخرفة في جبل نفوسة. وربما تكمن حقيقة ذلك في أفريقية (تونس) في العصور الوسطى. ونحن عندما نتمعن في زخارف مسجدي القيروان الزيتونة، وكذلك تلك الموجودة في سدراته بجنوب الجزائر، نستطيع مشاهدة تأثير الفن

شافعي، نفس المصدر، ص 265–6، 399، 401، 417، 419، 421.

229– فريد شافعي ، نفس المصدر، ص 421، 425، 463–4.





الإسلامي في الشرق على جميع هذه الأمثلة.[230] وحال مقارنة زخارف مسجد أبي منصور بالتي عثر عليها في الأماكن والمباني السابقة الذكر، تبدو الصلة أكثر وضوحا، ولكي نبين بشكل أدق حقيقة هذه الصلة، وجب ان نعود إلى المصادر التاريخية. فمسجد القيروان بني في القرن الأول الهجري – السابع مسيحي على يد عقبة بن نافع – ولكنه جدد فيما بعد. والذي يهمنا في هذا المسجد، هي الزخارف، التي وجدت على حائط القبلة والمنبر. ووفقا للمعلومات التاريخية والأدلة الأثرية. فهذه الزخارف يعود تاريخها إلى سنة 248 هـ – 862 مسيحي.[231] (أنظر شكل 54، 55، 56)، كما ان مسجد سوسة، الذي يعتقد انه بني في عام 236 هـ – 580–81م،[232] والزخارف التي وجدت بهذا المسجد، ترتبط بتلك الموجودة في مسجد القيروان (أنظر شكل 57، 58). ومن المعروف ان هذه الزخارف بالمسجدين أقدم عهدا من تلك، التي عثر عليها بمسجد أبي منصور. وبمقارنة هذه الزخارف ببعضها في المواقع الثلاثة، يتضح قدر التماثل في مواضيعها وأساليبها.

ويمكن للمرء ان يلحظ نسق الزخرفة المتمثلة في رسوم الدوائر وكذلك في عنصر الزهرة ذات الثمانية فصوص. وبإمكانه أيضا مشاهدة الورقة ذات الثلاثة تفريعات والورقة النخيلية. هذا بالإضافة

230– مارسي G–Marcais, Notes et documents, v111, Coupole et plafonds de la grand Mosquee de kairouan, paris, 1925, p–26.
أنظر أيضا مارسي، في كتاب كرزويل، مجلد 11، ص 253.

231– أنظر P.Sepag the great Mosque of kairouan, by, R–Ho–ward, paris 1965 pp. 39–40.
فريد شافعي، نفس المصدر، ص 633–4.

232– كرزويل، مختصر للعمارة الإسلامية، ص 272.

إلى غياب الزخرفة المورقة، التي أطلق عليها مصطلح (الارابيسك). كما يبدو التصميم الاسطواني للعناصر النباتية جلى في مسجد أبي منصور والقيروان. وكذلك وجود المربع المحاط بأشكال العقود. والاختلاف يكمن في ان الموجود بجبل نفوسة داخل دائرة بدلا من الشكل المربع.

ويؤكد مارسي (Marcais .) على تأثر زخارف القيروان بطابع الفن الإسلامي في الشرق ،ولكن يضيف بأنها تملك أيضا مسحة افريقية رومانية[233]. وقبل الوصول إلى نتيجة نهائية بهذا الشأن، يتحتم علينا التطرق إلى زخارف سدارته بجنوب الجزائر. ومن المعروف ان الدولة الرستمية قامت عام 160 هـ – 777م. وانهارت في سنة 296 هـ – 909م.

ومن المؤسف ان تاهرت لم تحظى بإجراء حفريات فيها حتى الآن. ولكن لحسن الحظ وصلنا الكتاب التاريخي لابن الصغير. ولقد عاش المؤلف بمدينة تاهرت قبل سقوط الدولة الرستمية. ويذكر ابن الصغير ان تاهرت كانت مدينة مزدهرة، ذات كثافة سكانية عالية. ولقد اعتنق سكانها ديانات متعددة. فإلى جانب المسلمين عاش اليهود والنصارى. وكان من بين المسلمين من ينتمي إلى أصول فارسية. ولكنهم جميعا يتمذهبون بالأباضية. ومعظمهم جاء من افريقية (تونس) ومن جبل نفوسة. وكانت تاهرت مقسمة إلى أحياء تسكنها هذه المجموعات المختلفة.[234]

ويبدو ان أهالي نفوسة قد شكلوا العمود الفقري للدولة

233– مارسي، في كتاب كرزويل، نفس المصدر، ص 253.

234– ابن الصغير المالكي، سيرة الائمة الرستمية، باريس 1907، ص 7،8، 13، 26. أنظر أيضا الجيلاني، نفس المصدر، ص 231، والشماخي، السير ص 158.





الرستمية. ويدلل على ذلك توليهم للمناصب الكبير. فهم قد تولوا مهمة الإشراف على بيت المال[235] وغيره من المواقع الحساسة. وشكل جبل نفوسة ذاته جزءا مهما من المقاطعات الدولة الرستمية.

ولقد كانت تاهرت معروفة بازدهارها وثرائها، في المنتصف الأخير من القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. ويرجع هذا الثراء إلى موقعها المتميز بين البلدان الإفريقية في الجنوب، وبين الدولة الأغلبية في الشمال الإفريقي. هذا بالإضافة إلى الأدارسة والأمويين في الشمال الغربي.[236] ولقد نشأ عن هذا الثراء والاستقرار ميل لدى أهالي تاهرت إلى بناء الدور والأبنية المنمقة.[237] وهي حالة تتشابه مع حالة الأمويين في الشام، إبان فترة أقدم عهدا.

ونحن على ضوء هذه المعلومات التاريخية نستطيع القول بان هذه الدور والأبنية قد حليت بالزخارف والمبتكرات المعمارية. ولابد ان تكون قد تأثرت بطابع الفن الإسلامي السائد في الشرق. ولكن تأثير افريقية لا جدال انه كان قويا على الطابع الفني لمدينة تاهرت، ومما يدعو إلى هذا القول مواضيع الزخرفة وأسلوبها، الذي كشفت عنه حفريات سدراته.

وتقع هذه المدينة على بعد حوالي 800 كم، إلى الجنوب من العاصمة الجزائرية. ولا تبعد عن قرية ورقلة إلا بمقدار 14 كم تقريبا، وتعد مدينة سدراته العاصمة الثانية للأباضية بعد تاهرت.

235– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 27، 31، والشماخي، السير ، ص 221.

236– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 13. دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 544–5.

237– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 12، 26–7، والجيلاني، نفس المصدر ص 231. ودبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 544–6.

ولقد أسست إبان القرن الرابع الهجري– الحادي عشر مسيحي. وهجرت في القرن السابع الهجري – الثالث عشر مسيحي.[238] ولقد ظلت مدفونة تحت الرمال حتى القرن الثاني عشر الهجري – التاسع عشر مسيحي. وأجريت الحفريات في هذه الفترة، ثم تمت أحداث الحفريات بها تحت إشراف بير شام (M. Van Bercham) في سنة1951 م. وكانت هذه الحفريات محصورة حول مبنى واحد عرف بمقر المحكمة. ولقد اظهرت الزخارف الجصية، التي عثر عليها بهذه الحفريات، التشابه بينها وبين ما وجد بجبل نفوسة.[239] ونرى في زخارف سدراته نفس الوحدات الزخرفية المتمثلة في الدوائر. وبالإضافة إلى ذلك نجد الزهرات ذات الثمانية فصوص، ووحدات الشكل المعين الحاصر للعناصر الزخرفية النباتية (أنظر شكل 59، 60، 61، 62، 63، 64).

وعلى الرغم من اكتشاف هذا الدليل الأثري، فنحن لا نميل إلى القول، بان الزخارف في كل من تاهرت وسدراته، كان لها تأثير على جبل نفوسة، بل نعتقد ان العكس هو الصحيح. وإذا أخذنا في الاعتبار التاريخ وحده كمعيار لحل الإشكالية، فلا يسعنا إلا دعم الرأي الأول. ولكن لغياب الدليل الأثري الذي ينسب إلى تاهرت خاصة، فزخارف مسجد أبي منصور إلياس ستظل الأقدام عهدا.

ويمكننا القول الآن ان العناصر الزخرفية بمسجد أبي منصور

238– فان برشـــام، M.V. Berchem, Sedrata, Studies in Islamic art and architecture in honour of prof. Crewell, cairo, 1965, p–8
أنظر أيضا دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 546.

239– التاثير الإسلامي الشـــرقي على سدرانة أوضحه بير شام، أنظر إلى نفس المقال المشار إليه سابقا، ص 27.





التي تتكون نمن الأشكال الاسطوانية للعنصر النباتي، وكذلك الوحدات الهندسية، وهي في الحقيقة ابتكار إسلامي. وان تأثير القيروان، الذي تأثر بطابع الفن الإسلامي في الشرق، ويبدو جليا على زخارف جبل نفوسة. ونحن لا ننفي تاثرها بالصبغة الإفريقية الرومانية، فالتأثيرات المحلية مكانة في كل ارض حل بها الفن الإسلامي. وهذا ما يعبر عنه بالتأثيرات المحلية في إطار الفنون بمختلف أنواعها. فالفنان في كل مكان يوظف بوعي أو بدونه، ما تختزنه ذاكرته التراثية في رموزه الفنية .

ووفقا لهذه المقولة يمكن ان نقرر بان الفنان الذي نفذ الزخارف في مسجد أبناين، كان يحاكي ما وجد بمسجد أبي منصور إلياس، ذلك أننا نرى انه من بين الثمانية دوائر، التي تكتنف المحراب، تحتوي ثلاثة منها على الزهرة ذات الثمانية فصوص. وهذه الوحدة الزخرفية هي الغالبة على الزخارف في مسجد أبي منصور. ولا ننسى تأثير القيروان على أبناين، فأربعة من الدوائر تحتوي على أشكال نجوم. وهذه الوحدة الزخرفية غابت عن زخارف مسجد أبي منصور، ولكنها جلية بالقيروان. أما الدائرة الباقية بمسجد أبناين والتي تحصر بداخلها شكلا على هيئة صليب، بالإضافة إلى وحدتها الزخرفية النباتية، رأيناها ماثلة في مسجد القيروان.

نخلص إلى القول بأن زخارف أبناين دعمت نظرية التأثير القادم من الشمال الإفريقي. وهذا ما يضعف نظرية تأثر جبل نفوسة بمنطقة جنوب الجزائر. كما أننا بمناقشة موضوع الزخرفة في كل من أبناين وتندميرة، يمكننا القول، بان الزخارف التي وجدت بسقف مسجد تنومايت، ما هي إلا محاكاة لما عثر عليه في مسجدي أبي منصور وأبناين، وربما أماكن أخرى في الجبل. وأخيرا فهذه النماذج

**الزخرفية التي عثر عليها بالجبل، تشكل القاعدة العامة التي تبناها الأباضيون فيما يتعلق بمجال الفن المتلازم مع العناصر المعمارية.**

# الفصل الرابع

## شروس – ويغو

# الفصل الرابع

## شروس – ويغو

تقع قرية شروس القديمة – فيما يعرف إداريا – بمنطقة الحرابة. وتبعد عن قرية تندميرة، إلى الجنوب الشرقي، بحوالي 8 كم. ولم يبق اليوم قائما في أطلالها سوى المسجد العتيق. وبما ان قرية شروس كانت تعتبر بمثابة مركز جبل نفوسة، فلقد تعرض لذكرها المؤرخون والجغرافيون. وتحدثوا عنها كما لم يتحدثوا عن غيرها من قرى المنطقة. وعلى رغم ما زودتنا به المصادر من معلومات فهي – في الحقيقة – غير كافية لتكوين صورة مرضية عن هذه القرية المميزة.

فالجغرافي ابن حوقل – مثلا – يقول:

جبل نفوسة جبل عظم. ويبلغ طوله مسيرة ثلاثة أيام. وله منبران باثنتين من المدن. إحداهما مدينة شروس، وتقع في وسط جبل نفوسة. وتحتوي على عيون عذبة، بالإضافة إلى أشجار العنب والتين. ويعيد الشعير المحصول الرئيسي، الذي يتخذ منه السكان طعاما أساسيا.[240]

وأما ياقوت البغدادي، وهو الأوحد، الذي يحاول إيجاد معنى لاسم شروس، فيقول عنها: شروس من الممكن ان تعني عقيم. ويحتمل ان تنطق بحرف الشين في أولها. وهي مدينة عظيمة بجبل نفوسة، باتجاه افريقية (تونس). وتمتد مبانيها على رقعة واسعة. وتمتاز بكثافة في السكان. وهي حاضرة الجبل، وسكانها من الخوارج الأباضيين. ولا

240– ابن حوقل ، نفس المصدر، ص 94–5.

يوجد بها أو بالقرى التي تحيطها، وتبلغ حوالي 300 قرية، جامع. وأهلها لا يتفقون على أمام يقدمونه للصلاة. وان المسافة بينها وبين طرابلس تبلغ مسيرة خمسة أيام.[241]

وينتقل البكري معلوماته بخصوص شروس عن محمد بن يوسف الوراق، ويؤكد على أهمية شروس كمدينة رئيسية بجبل نفوسة. وهو أيضا ينفي وجود أي جامع بها أو بأي قرية من حولها. كما يشير إلى ان عمرو بن العاص كان أول فاتح لمدينة شروس في العهد الإسلامي، حيث كان المسيحيون يستوطنونها. ويذكر ان عمرو قد غادرها اثر تسلمه رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب.[242]

وأما كتاب الاستبصار، الذي يعتبر مجهول المؤلف، فيكرر شيئا من المعلومات السالفة الذكر. ويشير إلى شروس على إنها مدينة قديمة وعظيمة. ويعيد ذكر غياب الجامع، ذلك لان أهلها لا يؤدون صلاة الجمعة. ويرجع هذا إلى تعاليم المذهب الأباضي الذي يعتنقه السكان. ويختم الحديث عنه، بان جبل نفوسة مليء بعديد من الأمم ذات الأفكار والمعتقدات المختلفة. ولكن معظم الأهالي يعتنقون الأباضية.[243]

ولا يتعامل الشماخي مع شروس كموضوع مستقل، بل يشير إليها عندما يتعرض لذكر أحداث تتعلق بهذه القرية. واللافت للنظر ان الشماخي لا يعيد أي من المعلومات التي جاء ذكرها في أي من هذه المصادر السابقة. ومن المستبعد ان نعتقد انه لم يطلع على أي

241– الشيخ ياقوت البغدادي، معجم البلدان، القاهرة، 1906، المجلد الثامن، ص 78.
242– البكري، نفس المصدر، ص 9.
243– م. نجم العبار، ليبيا في كتب التاريخ والرحلات، بنغازي، 1968، 58–9.





من هذه المصادر. ولكنه كأباضي يؤرخ للأباضيين يعتمد كثيرا على التراث الأباضي. ولا يهتم بهذه الشذرات المتفرقة التي لا تشكل مثار اهتمام لنهجه التاريخي، وهو يركز بالدرجة الأولى على سير المشاهير من علماء نفوسة. ولكننا نراه يؤكد على عبارة ان شروس أم لقرى جبل نفوسة.[244]

وإذا تجاوزنا الكتاب السابقين، الذين يكررون نفس المعلومات تقريبا، فالكتاب المحدثون لم يقدموا لنا الكثير عن هذا الموقع الأثري المميز. فباسي (R– Basset) مثلا ،يعيد نفس المعلومات ،التي ذكرها ابن حوقل والبكري والشماخي .ولكنه يضيف بان شروس عبارة عن أطلال ولا يقوم بها إلا المسجد المعروف بأبي معروف[245].

ويصف ليفسكي شروس بمثل ما ذكر في المصادر السابقة. ويعتمد على الشماخي في القول بان شروس كانت مركزا للقوافل.[246] وعلى الرغم من المعلومات المتكررة، يضيف شيئا جديدا، عندما يذكر ان أطلال قرية شروس قد عرفت باسم أبي معروف، الرجل العالم الذي ينتمي إلى القرية ذاتها. ويشير إلى إنها تقع في واد عريض يعرف بوادي شروس. وتدل الآثار المنتشرة على رقعتها الواسعة، على إنها كانت من الأهمية بمكان. ويقف في وسط هذا الموقع المسجد الذي يحتوي على خمسة أروقة. والارتفاع الكبير الذي يتميز به يدل على ماضيه الزاهر.[247] ويسترسل قائلا: ويقع القصر إلى جانب المسجد، بينما يوجد إلى الشرق منه، السوق الملاصق للحي اليهودي.

244– الشماخي، السير، ص 273.
245– باسي، نفس المصدر، ص 455–6.
246– ليفسكي، نفس المصدر، ص 43–4.
247– المصدر السابق، ص 44.

وأما موتيلنسكي (Motylinski) فلا يذكر الشيء الكثير عن قرية شروس .ولكنه يؤكد على أهميتها في جبل نفوسة .واغلب حديثه يدور حول مشائخها العلماء[248]. ويعتمد في ذلك على كتاب (السير) للشماخي.

لقد أسست قرية شروس القديمة على تلة صغيرة. تكتنفها الجبال من الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الجنوبية. وتطل في الجهة الغربية على وادي شروس. (أنظر شكل 109) وليس ثمة من طريق يصل إلى هذا الموقع. ولكن الزائر إلى هذه القرية، عليه السير في طريق ضيق ينحدر إليها من أعالي الجبال. وثمة وسيلة أخرى تتمثل في القدوم إليها عبر الوادي. ولكن هي الأخرى تفتقد الطريق الممهد. وهذا ربما لا يشكل صعوبة على الزائر العادي المعافى. ولكنه يخلق إشكالية عويصة بالنسبة للباحث الذي يحتاج إلى المعدات، بالإضافة إلى مولد للكهرباء، للحاجة إليه في التقاط الصور ورسم المقاطع الهندسية داخل المسجد. وهذا مما يجعل المرء مقدرا لعمل الدواب.

وحقيقة ان هذا الموقع ليجذب الانتباه إذا ما قورن بأغلب مواقع القرى القديمة بجبل نفوسة. فالقرى التي اشرنا إليها سابقا – مثلا – لم يؤسس أي منها على منخفض من الأرض. وإذا عرفنا ان ما جعل تلك القرى تبني في مواقع مرتفعة هو المنعة من العدوان، فشروس قد توفر لها هذا الوضع بموقعها الحالي. ولقد اشرنا سلفا إلى حملات عسكرية لم تستطع الاستيلاء على شروس. وكان عمرو بن العاص بدعا في هذه القاعدة. ولم تزودنا المعلومات التاريخية بمثل واحد يخالف هذه المقولة. ويبدو ان تفسير الأمر غاية في البساطة. فموقع شروس في وسط الجبل يحتم على من يود الاستيلاء عليها التغلب على

248– موتيلنسكي، نفس المصدر، ص 100.





كثير من القرى المحصنة قبل الوصول إليها. ولقائل، انه من السهولة الوصول إليها عبر اختراق وادي شروس، عن طريق سهل الجفارة. وربما يكون هذا صحيحا من الناحية النظرية. ولكن هذا الطريق – في الحقيقة – مع سهولته يحتوي على شرك مميت. فوجود الجيش المهاجم في الوادي يجعله عرضة لكثير من الأخطار المتمثلة في القرى المطلة على الوادي قبل الوصول إلى قرية شروس.[249]

شكل 109 منظر عام لمدينة شروس القديمة

وربما يعود الفضل إلى هذا الموقع في تمتع شروس بالسلام والاستقرار لفترة طويلة من الزمن. ولا تشكل مصادر المياه إشكالية لهذه القرية، إذ ان عين الماء الرئيسية تتموضع بشرق القرية. وإضافة إلى ذلك ثمة عينان للماء في الجهة الغربية للقرية.

249– الشماخي، السير، ص. 243–4، 54، أنظر أيضا، علي معمر. نفس المصدر الجزء الثاني، ص 181.

وتنتشر اليوم بقايا الآثار بقرية شروس على مساحة واسع. ولا تزال أجزاء من مبانيها القديمة ماثلة للعيان. كما يرى إلى الشمال الشرقي من المسجد، الذي يتوسط الموقع، ما ينبئ بوجود مبنى كبير في الماضي. ومع غياب الحفريات في هذه المنطقة، لا يزال الوقت مبكرا كي يزعم المرء انه قصر للتخزين.[250] (أنظر الشكل 110) ويشار إلى شرق هذا المكان بسوق القرية. ويقع الحي اليهودي في الطرف الشمال الشرقي من القرية. ولقد وجدت بهذا المكان بعض شواهد القبور العبرية.[251] ويشاهد على قمة الجبل المطل على القرية من الجهة الشمالية الشرقية مبنى كبير يعرف بمكتبة أهل نفوسة، وفقا للرواية التاريخية (أنظر شكل 111).

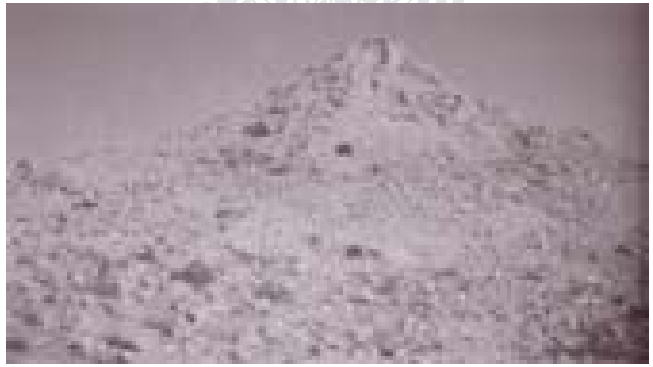

شكل **110** مبنى متصدع بوسط مدينة شروس

وأهم ما يلفت النظر اليوم في شروس هو المسجد القائم بين الأنقاض. وترجع حالته الجيدة، مقارنة ببقية المباني إلى الترميمات التي زاولها الأهالي جيلا بعد جيل. وعلى الرغم من هجرة الناس

250– لينسكي، نفس المصدر، ص . 44.

251– هذه الكتابة سيتم العودة إليها في هذا الفصل.





لهذه القرية منذ فترة طويلة، فزيارة المسجد والاعتناء به لم يتوقفا طوال هذا الزمن.[252] ويشير الأهالي إلى قرية شروس باسم (خربة أبي معروف) أما فيما يتعلق بالمسجد فلا ينسبونه إلى غير هذا الرجل، الذي حكم شروس لفترة ما.[253]

وعلى الرغم من أهمية هذا الموقع ومسجده القديم، فلقد رأينا كيف تجاوز الكتاب السالفي الذكر الحديث عنهما بإسهاب. ولذا سيكون همنا في الصفحات التالية القيام بمحاولة لسد هذه الفجوة. وربما تكون هذه المحاولة إسهاما في إلقاء المزيد من الضوء على أشهر قرية في تاريخ جبل نفوسة.

252– انها لعادة قديمة في هذه المنطقة. فالقرى التي تحيط بشروس ملتزمة بالحفاظ على مسجد قرية شـــروس. وكل قرية مسئولة عن اصلاح جزء معين بالمسجد، والمحافظة عليه. ولا تزال هذه العادة جارية إلى اليوم.

253– لا زال الكثـــير من الناس في منطقـــة الجبل والمزاب يحرصون على زيارة مســـجد شروس. وبالاضافة إلى ذلك فأهل قرية مرقس، التي تبعد حوالي 8 كم. إلى الشـــرق من قرية شروس، لا زالوا يخصصون يوما كاملا في السنة لزيارة هذا الموقع.

**شكل 112** مسجد شروس ومدخله الجنوبي الغربي

**ويقع مسجد شروس على تلة صغيرة، في الجهة الغربية من القرية القديمة. ويطل في الجهة الجنوبية الغربية على وادي شروس (أنظر شكل 112) ويميل مخططه الأرضي إلى شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول جداره الشمالي الشرقي بحوالي 15.30م. ويقدر طول الجدار الجنوبي الشرقي حوالي 12.90م. كما يبلغ طول الجدار الجنوبي الغربي حوالي 15.30م، والجدار الشمالي الغربي 14م تقريبا، بينما يبلغ سمك الجدران متر واحد (أنظر شكل 113).**

**يتراءى هذا المسجد للناظر، من الخارج، كقصر للتخزين، إلا انه مختلف شكلا وأصغر حجما (أنظر شكل 114). وأعمال الترميم، التي أجريت على هذا المعلم بالإمكان ملاحظتها، ليس فيما يخص الجدران وحسب، بل هي أكثر وضوحا في الدعامات الساندة لجدار القبلة (أنظر شكل 115). ويمكن رؤية (الصمعة)، التي تقع على سطح المسجد وفوق المحراب مباشرة، من مسافة بعيدة (أنظر شكل 116) وإنها لتذكرنا بمثيلتها في مسجد تندميرة.**





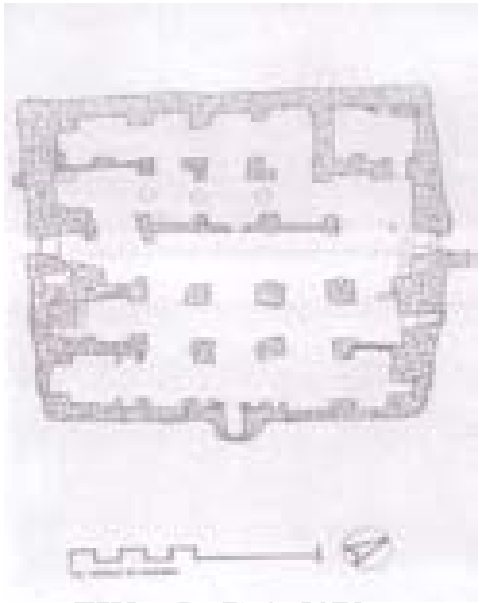

**شكل 113** المقطع الأفقي الأرضي لمسجد شروس

**شكل 114** الجدار الجنوبي الغربي لمسجد شروس

**شكل 115** مسجد شروس، حيث يبدو المحراب بارزاً إلى الخارج عن جدار القبلة

**شكل 116** مسجد شروس، كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية و"الصمعة" فوق السطح

**ولقد بني هذا المسجد من الحجر والطين. يبدو ان يداً لم تلمسه بطلاء أبداً. ولذا يصعب على المرء تمييز المسجد عند الاقتراب من الموقع. وتلعب الصمعة هنا دورا في تحديد مكان المسجد (أنظر شكل 117) وللمسجد مدخلان، أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي، ويبلغ عرضه حوالي 70 سم. وارتفاعه حوالي 1.5م. والمدخل الآخر**





**يقع قبالة الأول، في الجدار الجنوبي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي 70 سم. وارتفاعه حوالي 1.10م. والأخير مغطى بحجر على هيئة عقد نصف دائري. وهو يذكرنا بمدخل مسجد تنومايت. والاختلاف بينهما منحصر في الكتابة، إذ تظهر في تنومايت غائرة في الحجر، بينما هي بارزة عن الحجر في شروس. وتقرأ كالتالي:**

**«لا اله إلا الله وحده لا شريك له**

**محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره**

**(على الدين كله ولو كره المشركون)»**

**شكل 117** مدينة شروس القديمة يتوسطها مسجد أبي معروف القديم

**ويبدو مسجد شروس، بالنظر إلى مظهره الخارجي، اكبر مساحة من المساجد القديمة بجبل نفوسة. ولكن المرء لا يلبث ان تصيبه الدهشة، عند الدخول إليه ومشاهدة ما هو عليه من ضخامة قاعة الصلاة وارتفاع السقف. وهذه الدهشة لا تلبث ان تتبدد عندما**

يعرف المرء ان نصف المسجد تقريبا مدفون في باطن الأرض. وهذه الظاهرة شائعة في مساجد ومباني الجبل، إلا إنها في مسجد شروس تبدو أكثر حضورا وجذبا للانتباه.

وتتكون قاعة الصلاة من خمسة أروقة، مغطاة بأقبية برميلية. ولقد أدت عمليات الإصلاح والترميم إلى اختفاء الأعمدة الأصلية، داخل الدعامات المستحدثة. وتبدو الترميمات أكثر وضوحا في السقف، حيث يعتقد ان هذا الجزء من المسجد كان أكثر الجهات المتضررة. وعلى الرغم من كثرة أعمال الترميم. لازال المسجد لحسن الحظ محتفظا بمعالمه الأصلية.

شكل **118** كتابة أثرية على المدخل الجنوبي الغربي لمسجد شروس

ولعل ما يلفت الانتباه في قاعة الصلاة، ذلك الحاجز الحجري، الذي يمتد من الجدار الجنوبي الغربي باتجاه الحائط المقابل. ولكنه يتوقف





على مسافة تبلغ حوالي 2.14م، قبل الاتصال به.[254] ولقد تسبب هذا الجدار في إغلاق أربعة عقود في الرواق الثالث. ولكنه لا يرتفع ليبلغ قمة العقود والسقف. ويبلغ طول هذا الحاجز حوالي 8.5م. بينما يبلغ سمكه 40 سم تقريباً.

ولقد أدى هذا الحاجز إلى تقسيم المسجد إلى قسمين. احدهما يتكون من ثلاثة أروقة ويخص الرجال. وهو الجزء الذي يوجد به محراب المسجد والآخر، الذي يرجح انه مخصوص بالنساء، يتكون من رواقين. ونلاحظ ان القسم الأول متميز بكتاباته الأثرية وأشكاله الزخرفية ومعالمه المعمارية. ولذا سنتناول بتفصيل دقيق كلا من القسمين. ولكي يكون الأمر أكثر يسرا للاستيعاب، وأسهل لمتابعة الوصف والمناقشة، رأينا ان نرقم الأروقة بالتسلسل، ابتدءا برواق القبلة. وهو الذي يمتد من الجدار الشمالي الغربي إلى الجدار الجنوبي الشرقي، موازيا لحائط القبلة (أنظر شكل 113).

**الرواق الأول:** لقد تسببت الترميمات في هذا الرواق إلى طمس معالم المحراب الأصلي (أنظر شكل 119). ولكن سيظل محراب مسجد تندميرة أمام أعيننا لإعادة رسم صورة لمحراب مسجد شروس. وذلك لما يبدو من تماثل يوحّد المحرابين. ويبلغ عرض المحراب الحالي حوالي 80 سم. ويقدر عمقه بحوالي 1.25م. ويكتنف المحراب عمودان صغيران، كما هو الحال في محراب تندميرة. وبالنظر إلى المحراب، يوجد حجر ذو شكل شبه مستطيل ملتصقا بقيمة العمود (أنظر شكل 120). ويحتوي على سبعة أسطر من الكتابة. هي على النحو التالي:

254– ظاهرة الجدار الفاصل في المسجد نراها في كثير من مساجد الجبل ولقد لاحظنا فيما يتعلق بهذا البحث وجودها في كل من نالوت ، فرسطة، وأبناين.

**شكل 119** محراب مسجد شروس

**سالم إبراهيم التمزيني**

**الصانع هذا الكمور**

**المبارك سليمان بن يو**

**سف العنقر التمزيني**





**سنة ثلاثة و (ا) ربعين**

**وميتان ألف صالح**

**بن عمر الباروني**

**شكل 120** الكتابة الموجودة على جدار القبلة، إلى اليسار، عند مواجهة القبلة

**ويشبه هذا الحجر وكتاباته ما عثر عليه قرب المحراب بمسجد أبي منصور بتندميرة. والأخير مثبت على جدار القبلة مباشرة فوق المحراب. ويتماثل تعليقنا على حجر شروس بما جاء في التعليق حول**

حجر تندميرة.[255] ولذا لا حاجة للتكرار. وما يضاف هنا ان الحجران هما من أحجار المسجد الأصلية. ولقد استعملها المرممون للكتابة. ويلاحظ ان أسلوب الخط في كل منها يختلف عن الخطوط الكوفية في كل من المسجدين. وهذا ما سنتعرض إليه بتفصيل أدق في الفصل المخصص للكتابات الأثرية التي عثر عليها بمنطقة جبل نفوسة.

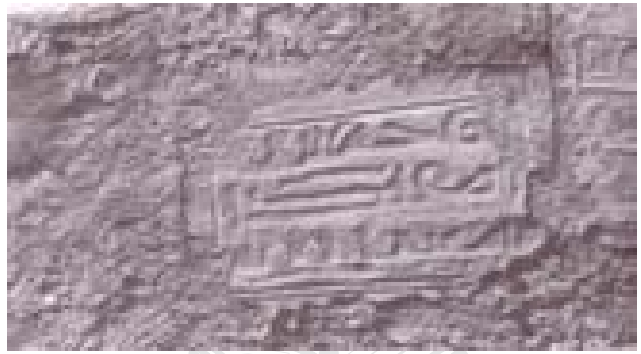

شكل **121** كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس

ويوجد أيضا حجران آخران مثبتان على جدران القبلة. والحجر الذي على يمين الناظر إلى المحراب، تقرأ الكتابة التي عليه على النحو التالي:

«رحم الله

.... عبدا

الله ....»

والحجر الآخر يحتوي على كتابة، تتكون من سبعة أسطر.

255– أنظر أعلاه، الفصل الثالث، ص 61.





وتقرأ:

«رب اجعلني مقيم الصلاة ومن

ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا

اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

وهب لنا من لدنك رحمة».

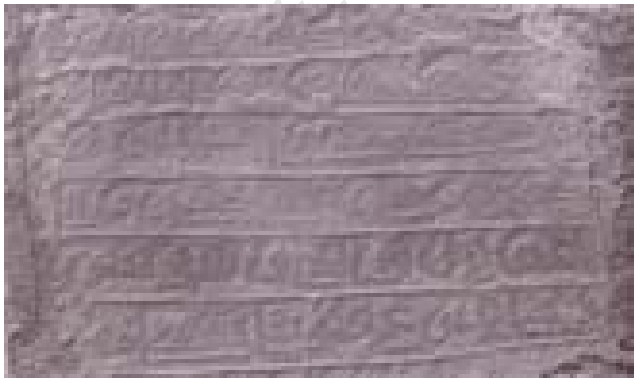

شكل **122** كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس

ومن الواضح ان الحجرين بغير موضعهما الأصلي، إذ ان وضعهما الحالي على جدار القبلة جاء نتيجة لأعمال الترميم، ونتساءل عن اختيار هذا النص القرآني. وهل كان المقصود من كتابته مجرد الكتابة والتقليد لأمثلة أقدم عهدا، أم ان الأمر يرمز إلى قضية وجب التنبيه عليها في المجتمع الشروسي. ونحن نطرح هذا التساؤل مبكرا لما سيقابلنا من نصوص أخرى وجب ان نضعها في إطارها الاجتماعي.

وسنحاول في الصفحات التالية الاجتهاد والوصول إلى تفسير منطقي بشأنها. وذلك وفقا للمعطيات التي تطرحها التركيبة الاجتماعية لقرية شروس القديمة.

ويلاحظ في هذا الرواق – نتيجة للترميمات المتلاحقة – ان بعض الدعامات قد بولغ في حجمها. لدرجة إنها أدّت إلى تضيق مساحة الرواق. ويشمل هذا أحداث دعامات ملاصقة لجدار القبلة (أنظر شكل 123) ويبدو ان هذه الإضافة يقصد بها من ورائها دعم العقود المتقاطعة مع امتداد العقود في كل المسجد.[256] (أنظر شكل 124). وهذه العقود هي الأخرى تبدو مستحدثة على عمارة المسجد الأصلية.

شكل **123** محراب مسجد شروس

256– إن بعض أهالي تندميرة الذين شاركوا في ترميم مسجد شروس، ذكروا لنا ان هذه العقود موجودة بالمسجد طوال حياتهم، التي قاربت 70 عاما.





انه لمن المناسب إلا نتجاوز رواق القبلة قبل إثارة مسالة غياب المنبر في هذا المسجد، الموجود بأهم قرية في جبل نفوسة. فلقد اشرنا إلى عبارة ابن حوقل، التي يفهم منها أن المنبر موجود بمدينتين في جبل نفوسة. ولقد أوضح ان إحداهما هي مدينة شروس.[257]

ولكن البكري وياقوت البغدادي ينفيان وجود المسجد الجامع في كل أنحاء جبل نفوسة.[258] ويفسر كتاب الاستبصار مقولتهما، بان الأباضيين بجبل نفوسة لا يصلون الجمعة. وهذا ما يجعله متفقا معها في عدم وجود المنبر بالجبل.[259]

شكل **123** رواق القبلة بمسجد شروس

ويبدو ان ما قاله البكري قد أسيئ فهمه من قبل الشيخ

257– ابن حوقل، نفس المصدر ، ص 9.
258– أنظر أعلاه، ص . 74.
259– المصدر السابق، ص 74–5.

الطاهر الزاوي. فهو إذ يحصر المسالة في إطار التوفيق الفقهي، غابت عنه وجهة النظر المعمارية. فالزاوي كان يعلم على أية حال برأي الأباضيين حول شروط إقامة صلاة الجمعة. وهي قاعدة يؤسس عليها المذهب الأباضي وجوب إقامة صلاة الجمعة. ويتلخص حكم إقامتها وجود الإمام العادل (أمير المؤمنين). وعلى الرغم من هذا، فهو قد حاول ان يقول لنا ان زيارة البكري قد توافقت مع غياب الإمام. ولذلك كتب البكري ما لاحظه، دون ان يسعى إلى معرفة سبب عدم إقامة صلاة الجمعة. وفي النهاية حاول الشيخ الزاوي شرح عبارة البكري: «ولا يوجد بها جامع بالقول ان المسجد الجامع غير موجود بها،[260] إذ انه ليس من المعقول القول بان المساجد لا توجد بجبل نفوسة".

والحقيقة ان عبارة البكري واضحة جدا. وهو يعني ان صلاة الجمعة لم تقم بشروس. وذلك لا ضرورة لوجود (منبر). والواقع ان مسجد شروس لا يوجد به منبر. ولا وجود لأثر يدل على وجود منبر في الزمن الماضي. والأمر الآخر ان البكري لم بزر قرية شروس،[261] بل كان ينقل حديثه حول شروس عن ابن الوارق.[262] وحتى مع افتراضنا جدلا، ان البكري قد زار شروس، فزيارته لا تتوافق مع غياب الإمام. فالحقيقة ان الإمامة المعترف بها في جبل نفوسة انتهت في أواخر القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. وهذا ما يجعل غياب الإمام في قول الشيخ غير منطقي.[263]

260– الزاوي، معجم، ص 190، 206–7–8.

261– البكري، نفس المصدر، ص 9.

262– معلومات ينقلها البكري، عن محمد الوراق. أنظر البكري، نفس المصدر، ص 292، 263.

263– بـــوس وورث ، نفس المصدر، ص 22–3. وانظـــر أيضا، دبوز، نفس





وإذا حصرنا الأمر في المنبر وعلاقته بالأباضيين، فيجدر بنا ان نشير إلى أماكن أباضية أخرى، خارج جبل نفوسة. فنحن نعلم أن المنبر غاب عن عمارة المسجد الأباضي في جربة. وكذلك لم تكشف الحفريات عن وجود منبر بمنطقة المزاب. وهذا كله غير مستغرب بعد علمنا بالقاعدة الفقهية، التي يتبناها المذهب الأباضي. ولكن المستغرب هو ما ذكره شاخت (J. Schacth) عن أهالي منطقة البيول (Peuls) الذين لا يقيمون صلاة الجمعة ،مع أنهم ليسوا أباضيين[264]. وإذا نحن سلمنا بصحة هذه المعلومة، وجب علينا الاستغراق في التفاصيل لحل هذه الإشكالية. وعلى الرغم من ان الحفريات الأثرية بسدراته لازالت في مراحلها الأولى،[265] فالجزم بعدم اكتشاف منبر بمساجدها لازال مبكرا.[266] والحقيقة ان المعلومات التاريخية تؤيد هذا الجزم. ذلك لان سدراته أسست بعد سقوط الدولة الرستمية.[267] وبكلمات أخرى، فلا ضرورة لوجود المنبر في الفقه الأباضي مع غياب الإمام. ومع ان التراث الأباضي يقول بالإمام المكتوم في فترات الاضطراب والفتن، فلا يوجد في المصادر التاريخية، التي بأيدينا، ما يشير إلى هذا الزعم.

ومن المحتمل العثور على منبر بمدينة تاهرت. ذلك لأنها كانت مقرا للأئمة الأباضيين. وللأسف فالحفريات بهذه المدينة لم تبدأ بعد. رغم أهميتها التاريخية والأثرية. وعلى العموم فالتاريخ يشير تلميحا

المصدر، الجزء الثالث، ص 616–7–8.

264– شاخت، نفس المصدر، ص 15.

265– أنظر أعلاه، ص 110.

266– فان بيرشام، ســـراته، ص 8، 27. أنظر أيضا دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 546.

267– المصدر السابق، ص 546.

إلى وجود منبر بتاهرت. فكتاب ابن الصغير يأتي فيه ذكر المسجد الجامع بتاهرت، أثناء حديثه عن الإمام عبد الرحمن.[268] واعتمادا على الفكر الديني الأباضي، فالإمام هو الشرط الأساسي في إقامة صلاة الجمعة. ولذا يرجح وجود المنبر بمدينة تاهرت.

ولقد ذهب شاخت إلى منتصف الطريق لحل هذا الأشكال. فهو يقول ان غياب المنبر بمنطقة البيول (Peuls) يعود إلى التأثير الأباضي على السكان[269]. ونحن لا نود الاختلاف مع شاخت حول هذه النقطة. ولكننا نتساءل، أي المناطق الأباضية كانت مسئولة عن هذا التأثير؟

ويبدو ان لنا ان الأمر لا يتعلق بالمناطق الأباضية في الجزائر، التي عناها شاخت. فالمنبر لا يظهر بالمساجد الأباضية الأولى في جبل نفوسة. ونحن نرى العودة إلى هذه المنطقة لإكمال الطريق، الذي سار فيه شاخت.

ونحن نعلم ان القوافل التجارية كانت تربط بين الجبل ومدينة تاهرت. وبالإضافة إلى ذلك، فالعلماء من نفوسة كانوا يزورون تاهرت منذ بداية تأسيسها. وبعد سقوط الدولة الرستمية، تركز الفكر الأباضي بجبل نفوسة. وهذا ما يجعلنا نرجح التأثير الذي ذكره شاخت إلى الأباضيين بجبل نفوسة.

**الرواق الثاني:** يلاحظ المرء في هذا الرواق الاختفاء الكامل للأعمدة داخل الدعامات المستحدثة. ونتيجة لهذا الأمر اختلف عرض الرواق من جهة إلى أخرى. وتبدو العقود المضافة هنا على

268– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 12، 14.
269– شاخت، نفس المصدر، ص 16.





شكل العقد المثلث (أنظر شكل 125) ويظهر هذا النوع من العقود في الجبل بكل من نالوت، الجزيرة،[270] وقصر الحاج بسهل الجفارة. وفي نهاية هذا الرواق يوجد درج يقود إلى سطح المسجد (أنظر شكل 126) ووجود هذا الدرج، الذي ينتهي إلى فتحة مسدودة رأيناه في المساجد الأخرى. وربما يكون هذا الموجود بمسجد شروس أقدمها عهدا.

شكل 125 الرواق الثاني باعة الصلاة بمسجد شروس باتجاه الشمال الغربي

ويرى في نهاية هذا الرواق، قبالة الدرج،[271] تجويف عميق في الجدار؛ يبلغ عرضه حوالي 50 سم، وارتفاعه 83 سم تقريبا. وأحد الجانبين لهذا التجويف مغطى بوحدة زخرفية (أنظر شكل 128).

270– يقع قصر الجزيرة على بعد 6 كم، إلى الشمال من قرية شروس. أما قصر الحـــاج فهو قصر للتخزين في قرية صغـــيرة، وتقع على بعد حوالي 151 كم. إلى الجنوب الغربي من مدينة اطرابلس. أنظر، الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا، نفس المصدر، ص 38–9–40.
271– أنظر أعلاه ، ص 54، الجزء الثالث.

**شكل 126** الدرج الذي يقود إلى سطح مسجد شروس، والذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد

**شكل 127** تجويف في الجدار الشمالي الشرقي داخل قاعة الصلاة بمسجد شروس





**وتتكون الزخرفة من ثلاثة أشرطة أفقية. ويبدو الأوسط منها اعرض من الشريطين الآخرين. ويظهر على الشريط الأول تعريق نبات يتكون من غصنين مع أقراص صغيرة. وبكل منهما في آخره حبيبة. وأما على الشريط الأسفل فتظهر الأقراص الصغيرة. وهذا العنصر الزخرفي رأيناه بكثرة في نماذج من الفن الإسلامي المبكر. وهو عنصر مستعار من الفن الساساني. وظهوره في جبل نفوسة. يعيدنا إلى ما ذكرناه، عند مناقشة موضوع الزخرفة في مسجد أبي منصور إلياس بتندميرة. وهذا مما يؤكد القول بتأثير الفن الإسلامي في الشرق على مناطق الغرب الإسلامي. وكذلك بتأثير القيروان وسوسة على جبل نفوسة.**

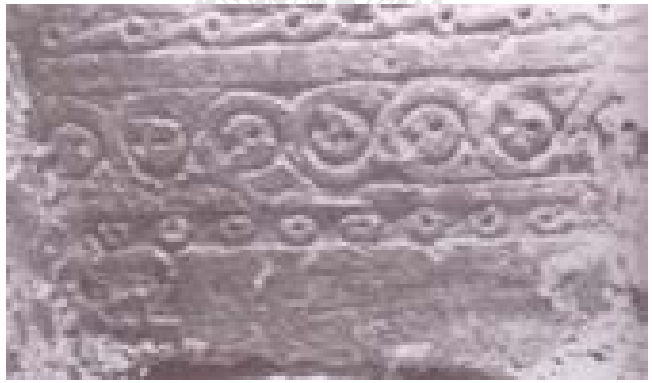

**شكل 128** حجر مزخرف مستعمل في حنية معقودة داخل مسجد شروس

**ونحن لسنا بحاجة إلى القول بان الحجر لا ينتمي بوضعه هذا إلى مكانه الأصلي. ولكننا بحاجة ماسة إلى جمع كل الأحجار بهذا المسجد، والتركيز على دراستها وصولا إلى إرجاعها إلى مواضيعها الأصلية. وهذا الأمر يستلزم دراسة جادة حول مسجد شروس. ويتطلب أيضا**

كثيرا من الوقت والجهد. وعلى العموم فهذا التجويف ذو الإطار المزخرف يحتمل ان يكون في يوم ما نافذة بالمسجد[272] ويستبعد ان يكون من التجويفات التي تستعمل لوضع مصابيح الزيت.

الرواق الثالث: يعتبر هذا الرواق الأهم بين جميع الأروقة. ذلك لأنه يحتوي على كتابات أثرية، زخارف، وعناصر معمارية لافتة. وما يجب التوقف عنده هو العقد الصغير، الموجود بمنتصف الجدار الفاصل بقاعة الصلاة. (أنظر شكل 129) ولا تتمحور أهميته على قيمته الفنية وحسب، بل لما يطرحه من أسئلة تتعلق بموضوعه الأصلي في المسجد. ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع يتعين علينا وصفا تفصيليا أكثر لهذا العقد.

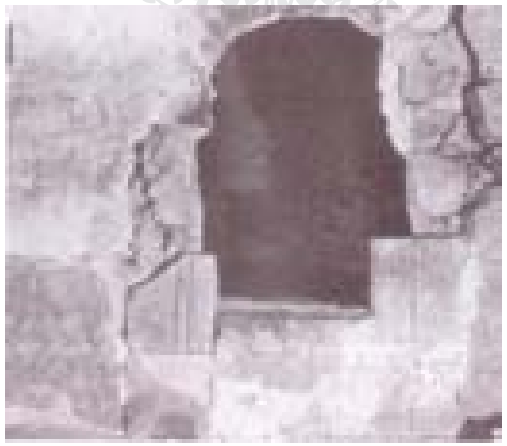

شكل **129** الفتحة الموجودة بالجدار الفاصل داخل مسجد شروس

272– المصدر السابق، ص 68.





ويتكون العقد من أحجار جيدة القطع. ويظهر على الحجر، الذي يشكل مفتاح العقد كتابة كوفية بارزة (أنظر شكل 130) وتحتوي هذه الكتابة على ثلاثة اسطر. وهي تمثل الآية الكريمة (136، من سورة آل عمران. وتقرأ: « (قولوا) آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل (وإسحاق) ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من (ربهم) لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»).

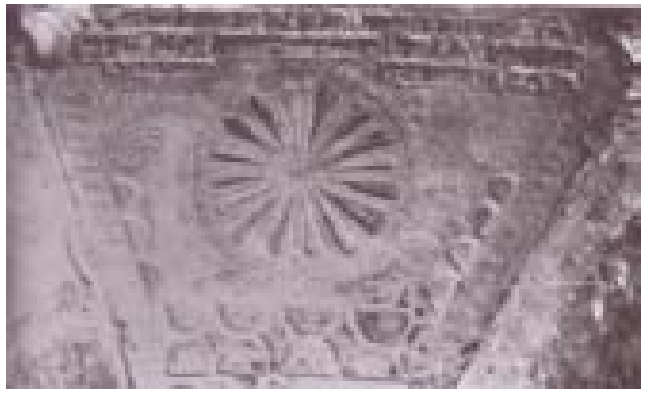

شكل **130** كتابة أثرية وزخارف على العقد الموجود بالجدار الحاجز

ان أسلوب الخط هنا قيمته الفنية ليطرح العديد من التساؤلات. وهذا الأمر يبرز من آن لآخر في بعض مساجد جبل نفوسة. ولعل الأمثلة تتجلى، بالإضافة إلى هذا المسجد في أبناين ومسجد أبي منصور بتندميرة. والحقيقة ان المتجول في منطقة جبل نفوسة اعتمادا على المظهر العام لا يتوقع وجود ما يشكل قيمة في مجال الفن الإسلامي. ولذا رأينا تركيزا على هذا الموضوع تخصيص فصل بكامله يتعلق بهذا الشأن.

وتظهر فوق الكتابة الآنفة الذكر وحدات زخرفية (أنظر شكل 130) ويتكون مركز الوحدة الزخرفية من دائرتين تحيط إحداهما بالأخرى. ويشاهد في الدائرة الداخلية زهرة ذات ستة عشر فصا بينما تركت الأخرى خالية من الزخرفة، إلا من أقراص صغيرة تتوزع داخل محيط الدائرة. ونرى بكل قرص منها حبيبة في الوسط. ويكتنف الزهرة بمركز الوحدة الزخرفية، زهرتان مفصصتان اصغر حجما. ويحيط بكل منهما دائرة مملوءة بعناصر نباتية تشبه صدفة المحار. ويحصر كل هذه الوحدة الزخرفية، ماعدا الجزء العلوي، أشكال هندسية على هيئة العقود. ويتكون إطار هذه الوحدة الزخرفية من شكل معين. وأما الحجر الراسي، الذي يدعم العقد ويتوسطه، فقد زخرف بتعريفات نباتية. (أنظر شكل 129) وهذه الوحدة الزخرفية تتماثلا مع ما عثر عليه في أبناين وتندميرة.

وعند مواجهة هذه الأحجار المزخرفة، نرى على اليمين، حجر مدبب مغروس في الجدار. (أنظر شكل 131) ولقد رأينا مثلين لهذا الحجر بمسجد أبي منصور إلياس.[273] وسنتطرق إليها فيما بعد عند مناقشة وجود اليهود بقرية شروس. وهذه الأحجار الثلاثة تحتوي على زخرفة تمثل عقودا متلاصقة. ويتميز حجر شروس بكتابة لا تبدو ميسرة للقرأة (أنظر شكل 132، 133). والظاهر ان لا علاقة لها بالمسجد. ولكن الذين قاموا بأعمال الترميمات، يبدو ان لديهم الحس بالمحافظة على جميع الأحجار الجيدة القطع والأحجار المزخرفة، دون فهم لوظيفتها الأصلية أو مواضعها الأصلية.

وجدير بالقول ان الأحجار المكونة للعقد الصغير في الجدار

273– أنظر الفصل الثالث، ص 66.





الحاجز بمسجد شروس، تذكرنا بحائط القبلة في مسجد تندميرة.[274] وذلك للتماثل الزخرفي ونوعية الحجر المستخدم. ووجود هذه الأمثلة في شروس، لا يغير شيئا من النتائج التي توصلنا إليها عند مناقشة موضوع الزخرفة في جبل نفوسة، بل يؤكد ويدعم ما ذهبنا إليه من تفسيرات.[275] وهذه المقارنة – لاشك – إنها ستساعدنا، بالإضافة إلى أسلوب الخط في كتابة شروس، على تحديد التاريخ التقريبي لمسجد أبي معروف بشروس.

شكل 131 حجر مزخرف مثبت في الجدار الفاصل بقاعة الصلاة بمسجد شروس

274– أنظر الفصل الثالث أعلاه، ص 64–5.

275– المصر السابق، ص 68–9.

شكل **132** حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس

**وانه لمن الواضح ان الأحجار التي بني بها هذا العقد لا تنسجم والأحجار المستعملة في بناء الجدار الحاجز. ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحا عند النظر إلى هذا الجدار من داخل القسم المخصص للنساء (أنظر شكل 134). ومن البديهي ان يعتقد المرء ان هذا العقد بأحجاره المزخرفة، لا يمت بصلة إلى هذا الجدار. ويدلل على ذلك ان وضعيته بهذا الشكل لا يناسب النظر إلى ما وجوده على جدار القبلة، قياسا على ما وجد بمسجد أبي منصور إلياس وأبناين. ووجود**





**هذا العقد في هذا الموضع من مساوئ الترميمات. والمحافظة عليه ولو بهذا الشكل من محاسنها.**

شكل **133** حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس

**وفي كل الأحوال، فالسؤال الذي طرح في البداية يتعلق بالموضع الأصلي لهذا العقد والأحجار المحيطة به. فوضعيته على الجدار القبلة لا شك إنها أكثر موضوعية. ولكن الأمر لا يزال مكتنفا بالغموض. فالمسجد لم يكن يوما متحفا للمعروضات. ونحن – لحسن الحظ – لدينا مثل آخر بجبل نفوسة يوفر لنا مقياسا. أكثر مصداقية،**

إلا وهو مسجد أبي منصور إلياس في تندميرة.[276] وبمقارنة المسجدين معمارا وزخرفة وكتابة يظهر لنا هذا التماثل الكبير بين المسجدين. ووفقا لهذه الحقيقة، يمكننا القول ان هذا العقد والأحجار المحيطة به، كانت على الأرجح من الأحجار الملبسة على جانبي المحراب وبداخل تجويفه، كما هو الحال في مسجد تندميرة.

شكل **134** قاعة الصلاة بمسجد شروس

ونلاحظ أيضا ان فوق هذا العقد الصغير عقدا آخر أكبر حجما. ولا جدال حول نسبة هذا العقد إلى الترميمات التي أجريت على المسجد. ومن المحتمل ان الجدار الحاجز بكامله، بل أغلب أعمال الترميم الشديدة الوضوح بكل المسجد تعود إلى القرن الرابع عشر الهجري – العشرين مسيحي. وهو ما يتفق مع الكتابة المؤرخة التي وجدت على حائط القبلة. وهي توضح القيام بأعمال الترميم في هذه الفترة.

276– المصدر السابق، ص 64–5.

شكل **135** قاعة الصلاة بمسجد شروس

ولقد تسبب العقد الكبير العلوي في وجود فراغ بينه وبين السقف. ولذا عمل المرمم على سد هذا الفراغ من جهة، ومن جهة توصل بعمله هذا إلى دعم السقف. وبقيت فتحة صغيرة قسمها عمود صغير إلى قسمين.

ويظهر على أربعة من أحجار العقد كتابات. سنقرئها بالتسلسل من اليسار إلى اليمين، بالنظر إلى جدار القبلة.

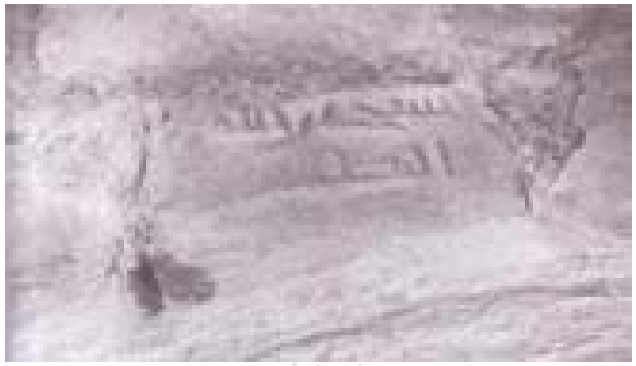

**شكل 136** كتابة أثرية بالرواق الأوسط بمسجد شروس

**شكل 137** كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

**الحجر الأول:**

**«سبحان الله / العظيم».**





**الحجر الثاني:**

**«وقالوا (ا) لحمد/ الله الذي صد/قنا وعده و أو (ر) ثنا / الأرض نتبوأ من الجنة».**

**الحجر الثالث:**

**«(أشهد) أ (ن) لا / إله إلا الله و/ ان محمد (ا) عبد (ه) / ورسوله».**

**الحجر الرابع:**

**«(حسبي الله وهو) / الله وهو السميع / العليم».**

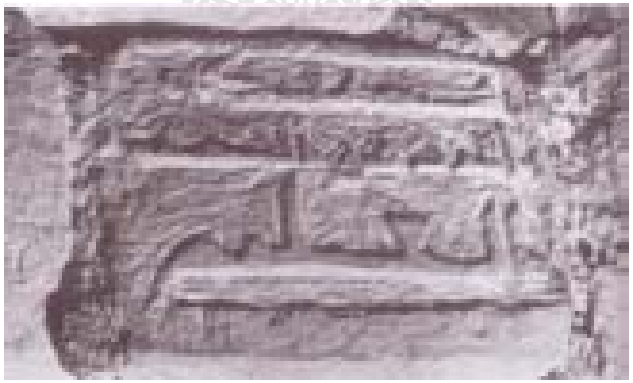

**شكل 138** كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

**هذه الأحجار هي الأخرى ليست بموضعها الأصلي. ويبدو من خلال النظر إلى هذه الأحجار، التي وضعت في هذه الأماكن – كيف ما كان – ان المسجد قد تعرض في فترة ما إلى تصدع كبير.**

**وان الترميمات التي أجريت عليه، لم تكن إلا في وقت متأخر جدا. وهذا ما جعل القائمين بإصلاحه غير قادرين على إعادة هذه الأحجار إلى أماكنها الأصلية. هذا بالإضافة إلى غياب الحس العلمي لترميم المعالم الأثرية.**

**وثمة كتابة أخرى على حجر مثبت قرب منطلق العقد، الذي يقطع الرواق الثالث. (أنظر شكل 139). والكتابة تقرأ كالتالي:**

**«الله (أ) كبر / كبيراً والحمد / لله ربّ العالمين».**

**شكل 139** كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

**الرواق الرابع: إن ما يلاحظه المرء عند دخوله إلى قسم النساء هذه الظلمة، التي تملأه حتى في أيام الصيف الشديدة الإضاءة. وعلى الرغم من سقوط جزء من السقف في هذا القسم في الجهة الشمالية الشرقية، فأعمال الإصلاحات تعد الأكبر في هذا الجزء من المسجد.**

**وأهمية هذا الرواق تعود إلى الكتابات الأثرية. وهي موجودة**





**على عقدين في وسط الرواق. (أنظر شكل 140، 142) وسنتبع في قراءتها نفس النسق الذي استخدم في القراءات السابقة.**

**شكل 140** الرواق الشمالي الغربي بمسجد شروس، حيث أثار الترميم

**الحجر الأول:**

**«قل هو الله / الله الصمد / لم يلد ولم (يولد)».**

**ويلاحظ أن ثمة كلمة ناقصة من النص القرآني في السطر الأول. ونقصان السورة يشير إلى ضياع حجرين على الأقل. لان الراجح إنها قد كتبت كاملة ليتم المعنى. ونحن إذ نذهب إلى هذا الرأي، نتساءل كم من الأحجار المكتوبة والمزخرفة، التي ضاعت في هذا المسجد؟ ونحن إذ لا نستبعد نقلها من الموقع. لنقترح وجود بعض منها في الدعامات المستحدثة، وربما تكون مدفونة في الأكوام والتربة حول المسجد. وهذا ما يشير إلى أهمية وضرورة الحفريات بهذا الموقع.**

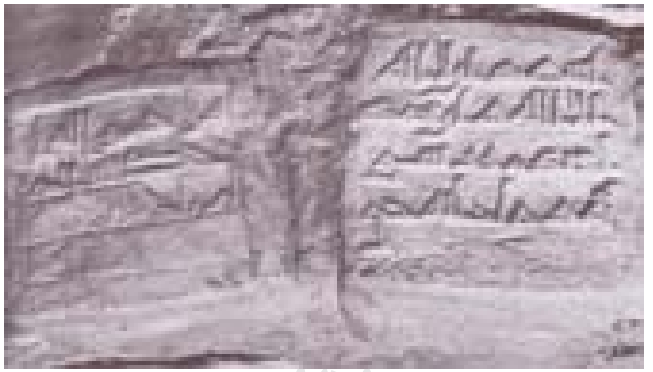

**شكل 141** كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس

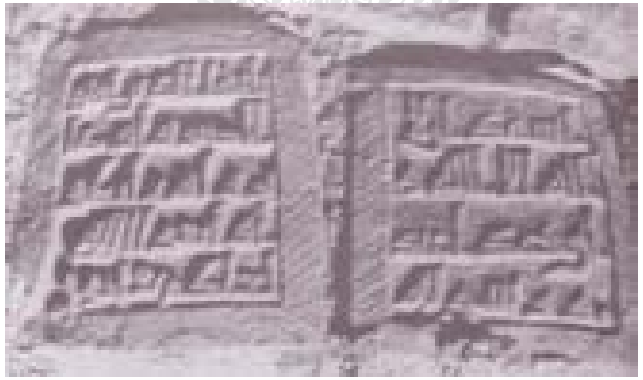

**شكل 142** كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس

**الحجر الثاني:**

**«أشهد أن لا إله / إلا الله و أن محمد / اعبده و رسوله و ما جاء به الحق».**





**هذه شهادة التوحيد. وهي من قواعد الإيمان والإسلام. ولها دلالتها في مجتمع اختلفت فيه الأديان.**

**الحجر الثالث:**

**«يا (أ) يها الذين آمنو / ا أصبروا و صا / بروا و رابطو / ا و اتقوا الله / لعلكم تفلحون».**

**إن التأمل في معنى هذه الآية ربما يدفعنا إلى التساؤل حول وجودها بالمسجد، ومدى ارتباطها بالظروف التاريخية لجبل نفوسة. ولعل هذا التساؤل سيكون مثار جدل عند مناقشتنا لما يتعلق بالكتابات الأثرية التي عثر عليها بجبل نفوسة.**

**شكل 143** كتابة أثرية وجدت بالرواق الأوسط لمسجد شروس بمواجهة جدار القبلة

**الحجر الرابع:**

**«رضينا بالله الذي ليس / كمثله ربا و بالإسلام / الذي لا يقبل غيره دينا».**

وهذه العبارة جزء من حديث شريف. وهي الأخرى إذا تأملنا في معانيها، لابد وان تثير في أذهاننا تساؤلات حول علاقتها بالظروف الاجتماعي. وكذلك في الأسباب التي دعت إلى انتقاء هذا النص وغيره. ولا شك ان المعلومات التاريخية ستلقى بشيء من الضوء على هذا الموضوع.

## الرواق الخامس:

ليس ثمة الكثير ليوصف به هذا الرواق، إلا ان هذا القليل وجب الإشارة إليه، إثراء للمواضيع المطروقة وتوثيقا لما يمكن ان يستفيد منه الباحثون على مختلف الصعد .

فبالإضافة إلى الأحجار التي أسلفنا الحديث عنها، يوجد حجر مزخرف في هذا الرواق، على الجدار الجنوبي الغربي، وعلى ارتفاع حوالي 30 سم. عن مستوى الأرض. وتتكون زخرفته من دائرة، وبوسطها نجمة ثمانية (أنظر شكل 144). ولقد رأينا هذه الوحدة الزخرفية في مسجد ابناين. وغيره من الأماكن في جبل نفوسة.[277]

ولازالت آثار عقد مسدود مرئية للناظر، في الجدار الشمالي الغربي. وتبدو أكثر وضوحا من خارج المسجد (أنظر شكل 145). ومن المرجح ان هذا العقد كان يشكل فتحة المدخل لقسم النساء، أو ربما كان أحد مداخل المسجد، قبل أحداث الجدار الفاصل. وهذه الظاهرة شبيهة بما وجد في مسجد أبي يحي بفرسطه.[278]

وتقع في هذا الرواق، في الركن الشمالي الغربي، حجرة صغيرة ذات شكل مربع. وهي متماثلة مع ما وجد في تنومايت

277– أنظر أعلاه، الفصل الثاني، ص 46.
278– المصدر السابق، ص 54.





وفرسطه.[279] وتوجد كتابة على حجر بالجدار الجنوبي الشرقي لهذه الحجرة. وتقرأ:

شكل 144 حجر مزخرف وجد بالجدار الشمالي الغربي بمسجد شروس

شكل 145 الجدار الشمالي الغربي لمسجد شروس، وهو من آثار أعمال الترميم

(الإسلام ديننا / و محمد نبينا / والقرآن إمامنا / والسنة طريقنا. أنظر شكل 146). وهنا إشارة إلى ركائز الاعتقاد في المذهب الأباضي.

279– المصدر السابق، ص. 41، 54–84.

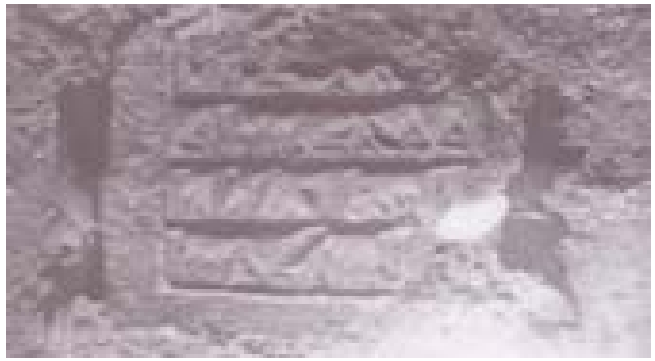

شكل **146** كتابة أثرية وجدت قريباً من مدخل الحجرة الصغيرة بمسجد شروس

**إن مسجد شروس يعد الأغنى بالكتابات الأثرية، التي عثر عليها حتى الآن، بمنطقة جبل نفوسة. ومناقشة أساليب هذه الكتابات ومواضيعها، وكذلك مقارنتها بكتابات عثر عليها في أماكن إسلامية أخرى، سيلقي المزيد من الضوء على الحياة الاجتماعية في شروس، إبان القرون الإسلامية الأولى. هذا بالإضافة إلى توضيح قيمتها الفنية والأثرية، التي ستساعد في تحديد تواريخها.**

**ويبدو أن شروس في القرون الإسلامية الأولى، قد تماثلت في حالة الاستقرار مع مدينة تاهرت، حاضرة الدولة الرستمية. وجدير بالذكر ان طائفة يهودية عاشت في قرية شروس، وربما بعض القرى الأخرى بجبل نفوسة. [280]و كذلك لا يستبعد وجود المسيحيين، على الرغم من اعتناق أغلب السكان للدين الإسلامي. وليس بمستغرب ان القوافل التجارية قد رافقها أناس من مختلف الملل والنحل.[281]**

**280– الشماخي، السير، ص 321.**
**281– المصدر السابق، 273.**





**ويرجح ان الحوارات حول الدين ومتعلقاته، قد شكلت جزءا من الأحاديث المتداولة في ذلك الوقت. وعلى العموم فالكتابات، التي عثر عليها بشروس تؤيد هذا الرأي. فنحن نلاحظ ان الكتابات تتمحور حول إبراز العقيدة الإسلامية، والرسائل الموجهة من خلالها إلى إتباع الديانات الأخرى. وليس ثمة غموض في هذه الكتابات حول حوارها مع أهل الكتاب. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى.**

**ولا يفوتنا أيضا ان نستشف من خلال الكتابات بمسجد شروس ما تعرض إليه أهالي نفوسة من محن، متمثلة في التهديدات والغزو الخارجي.[282] ولذا جاءت بعض النصوص لترفع شعارا للتصدي والصبر والمصابرة. وفوق كل هذا لم ينس الأباضيون ان يوثقوا قواعد مذهبهم بأهم قرى جبل نفوسة، ألا وهي قرية شروس.**

**وإذا تجاوزنا الإشارات التاريخية،[283] فالدليل الأثري يؤكد على وجود طائفة من اليهود بقرية شروس. فلقد عثر على كتابة عبرية بأنقاض شروس. والأمر يتعلق برجل من أهل تندميرة يحتفظ بحجر يحتوي على هذه الكتابة. ولقد ذكر أنه قد عثر عليها في أطلال قرية شروس. ولم نتمكن من رؤية الحجر وتصويره إلا بعد جهد كبير. (أنظر شكل 147). وتتكون الكتابة من ستة أسطر. وتقرأ ترجمتها:**

**«...../ شهـــــ (ر) شباط (في) سنة خمسة آلاف / و أربعة و عشرين سنة من بداية الخليقة / الر (حيم) سيجعل موتها غفرانا لكل ذنوبها / ومكانها مع أولئك الذين يرقدون في حبرون / ومع موسى وهارون آمين إلى الأبد صله».**

**282– الشماخي ، نفس المصدر، ص . 244.**
**283– أنظر أعلاه، ص . 89.**

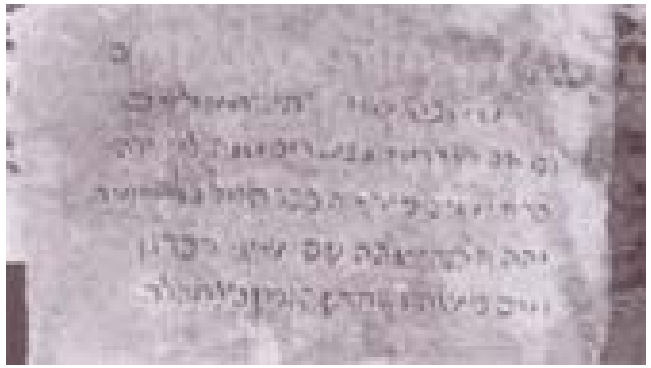

شكل **147** كتابة أثرية عبرية وجدت بقرية تندميره القديمة

**ويبدو ان السطر المفقود في البداية يحتوي على اسم المرأة المتوفية. والتاريخ يشير إلى شباط 5124. وهذا يعني يناير – فبراير 1364 – الثامن الهجري.**

**ولقد تم العثور على شاهدين لقبرين، عليها كتابة عبرية، إبان العمل الحقلي المتعلق بهذا لبحث. ومكان العثور عليهما هو الموقع المعروف بالمقبرة اليهودية.[284] والكتابة على أحدهما قد تأثرت بفعل الزمن، أما الآخر فتقرأ ترجمته على النحو التالي:**

**«هناك تجمع في الجنة حانوته / ابنة الربى موسى العا (فية) وال (حياة) للربيين / ولكل الاسرائليين الذين ماتوا / في اليوم التاسع والعشرين شيفان (في) سنة / خمسة آلاف ومائتين / وخمسة وعشرين سنة / إلى بدء الخليقة ال (حيم) سيجعل موتها غفرانا لكل ذنوبها / ويجعل مكانها مع أولئك الذين يرقدون في / حبرون مع موسى وهارون / و (مع أولئك الذين ي) رقدون ب (كل) س (لام)».**

**284– المصدر السابق، ص 77.**

شكل **148** كتابة أثرية عبرية وجدت بموقع المقبرة اليهودية بشروس

**وتؤكد الروايات المحلية على ان شروس قد تصدع بنيانها وهجرت في القرن السادس الهجري – الثالث عشر الميلادي. وتربط الروايات هذا الحدث بالحرب التي وقعت بين شروس وقرية ويغو. وأشار بعض الكتاب أيضا إلى هذه الرواية.[285] ولكن الدليل الأثري الآن يؤكد على ان شروس كانت عامرة في بداية المنتصف الثاني للقرن التاسع الهجري – الخامس عشر مسيحي. والهجرة التي يشار إليها – وهي حقيقة – تكون قد تمت بعد التاريخ.**

**285– ليفسكي، نفس المصدر، ص 44–5.**

لقد اشرنا إلى ان المسجد وكذلك بقية الموقع قد عرف منسوبا إلى أبي معروف، ووفقا لما ترويه المصادر التاريخية، أن أبا معروف الشروسي، كان حاكما لشروس في القرن الثالث الهجري– التاسع مسيحي.[286] وكان من ضمن أولئك العلماء، الذين يقصدون للاستشارة والفتوى. وهذه المعلومات لا تعني بالضرورة إنشائه للمسجد، بقدر ما تعني اهتمامه به، وربما تطويره إلى الدرجة التي ضاهى فيها مسجد أبي منصور إلياس في تندميره. ومسألة نفي نسبة إنشائه إلى أبي معروف تؤكدها معلومة تاريخية وردت بخصوص المسجد، في القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي[287] وكان ذلك قبل توليه لمنصب الحكم في قرية شروس.

ومن الاحوط الآن ان نؤكد على وجود المسجد في بداية القرن الثالث الهجري. وإذا قدر للحفريات ان تجرى بهذا الموقع، فالأدلة الأثرية ستلقى المزيد من الضوء على هذا الجانب وغيره.

ولقد تم العثور على الكثير من القطع الفخارية والخزفية حول المسجد، وفي أجزاء أخرى من الموقع. وكذلك وجد بالشمال الشرقي من المسجد، ما يتخلف عادة من أفران صناعة الفخار. والموقع يمثل كثيباً من الطين المحترق. وهذا يذكرنا كثيرا بما عثر عليه في قرية فرسطه.[288] وربما كانت شروس هي الأخرى مركزا لتصنيع الفخار في جبل نفوسة. أما القطع الفخارية المجمعة من الموقع – فهي كمثيلتها في فرسطه – لا تشكل موضوعا مستقلا لدراسة علمية موضوعية.

والمقارنة بين مدينة تاهرت الأباضية وشروس تبدي لنا كثيرا

286– الشماخي، ص 263–4.

287– المصدر السابق، ص. 266، 298.

288– أنظر أعلاه، ص 57.





من الأوجه المشتركة. فالنسيج الاجتماعي والموقع الجغرافي أتاحا لكل منهما ان تلعب دورا في تجارة القوافل.[289] وبما انه لا يتوفر لدينا أدلة أثرية بخصوص الازدهار، الذي تمتعت به مدينة تاهرت، فالمعلومات التاريخية كافية في الوقت الحالي، للتدليل على الرفاه الذي عاشته هذه المدينة.[290] ومن المحتمل ان شروس قد تذوقت شيئا من ذلك الازدهار. وهذا ما يدلل عليه المستوى الراقي للزخرفة التي عثر عليها بالمسجد. وكذلك وجود المكتبة العامة لأهالي نفوسة بشروس، وغيرها من المظاهر الحضارية، مثل مدرسة ابن ماطوس.

ولا ننسى ونحن نعقد هذه المقارنة ان نشير إلى ان شروس أقدم عهدا. ولقد عايشت التسامح الديني قبل ان تظهر مدينة تاهرت للوجود. وإشارات الكتاب والمؤرخين القدامى إلى شروس على إنها مدينة عظيمة، يدعمه ما أبرزه هذا الموقع من شواهد على ذلك. والحقيقة ان شروس في تصنيفها الأثري الإسلامي لن تكون أقل قيمة من أجدابيا وسلطان وزويلة، وغيرها من المواقع الإسلامية.[291]

ويغو:

تقع قرية ويغو على بعد 7 كم، في الاتجاه الجنوبي الشرقي، من شروس. وتنتشر مبانيها على مساحة مسطحة، تتخللها بعض المنخفضات، التي ربما تكونت بفعل مياه السيول. وهي اليوم قرية مهجورة. وتقدر مساحة هذا الموقع بحوالي 2 كم مربع (أنظر شكل 149) ولقد تسبب البناء في قرية (مرقس) الحديثة، إلى المزيد من

289– الشماخي، السير، ص 273.

290– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 12، 26–7. أنظر أيضا، الجيلاني، نفس المصدر ص 455–6.

291– Libya Antiqua, vol. VIII, Rome, 1971, pp. 106, 113–4.

الدمار لقرية ويغو الأثرية. فلقد نقل أهالي مرقس من هذا الموقع الكثير من الأحجار لبناء دورهم السكنية. ويخشى ان يكون بعض منها ذا قيمة فنية وأثرية، وعلى الرغم من هذا الاعتداء على قرية ويغو الأثرية، لازالت مبانيها شاهدة على التقدم المعماري، الذي وصلت إليه ويغو. ولا يوجد في قرى الجبل ما يضاهي المستوى المعماري لهذه القرية.

شكل **149** الموقع الأثري لقرية ويغو القديمة

ويبدو ان ندرة المعلومات التي وصلتنا عن ويغو، تعود إلى قربها من حاضرة جبل نفوسة، قرية شروس.[292] وكل ما كتب عن ويغو في العصر الحديث يعد أقل من القليل. فباسي – مثلا – ( R. Basset) يذكر ان ويغو مدينة بنواحي نالوت ،وتعرف بأولاد بن محمود .وهذه معلومة خاطئة .ويضيف بأنها تحتوي على150 بيتا. وسكانها خليط من العرب والبربر.[293] وهذا خطأ آخر.

292– كما رأينا فان قرية ويغو وما حول شـــروس من القرى لم تذكر بالاســـم، باعتبارهـــا توابع للحاضرة الأباضية. على الرغم مـــن أهمية بعض تلك القرى. وتحولها في فترات ما إلى مقرات لحكم الجبل بكامله.

293– باسي، نفس المصدر، ص 458.





ولقد تنبه ليفسكي (Lewicki) للخلط ،الذي وقع فيه باسي ،والذي أصلح بواسطة دي بوا (De Pois) كما ان ليفسكي اعتمد في حديثه عن ويغو ،على بعض المراجع الأباضية ،التي تهتم بموضوع الرجال والتاريخ .ونقل عنها ما يتعلق بالحرب التي دارت بين قريتي شروس وويغو ،لمدة سبع سنوات .وكانت نهايتها تدمير قرية شروس في القرن الخامس الهجري[294]. وهذا القول بتدمير شروس وهجرة سكانها، يشوبه شيء من الغموض بعد العثور على شواهد القبور العبرية. وبغض النظر عن هذا، فليس من المعقول ان تدمر قرية أباضية قرية أخرى، خاصة عندما تكون القرية المدمرة هي شروس، بما تعنيه للأباضيين.[295]

لقد جاء ذكر قرية ويغو لأول مرة في المصادر التاريخية، نسبة إلى رجل عاش في القرن الثاني الهجري. ويدعى عبد الله الويغوي.[296] وكان من أبرز الشخصيات العلمية في وقته. ومن العجيب ان هذا الرجل كان معروفا أكثر من قريته وبيوتها الرائعة. ولم يبق من المسجد، الذي نسب إليه إلا رواق واحد. ويقع هذا المسجد في الركن الجنوبي من القرية.[297] ولقد لحقت أعمال الترميم الكبيرة بهذا الرواق اليتيم. (أنظر شكل 150). وعلى الرغم من ذلك أمكن رفع مخططه الأصلي بالكامل. وتبين ان مخطط المسجد يميل إلى الشكل المستطيل. ويبلغ

294– ليفسكي، نفس المصدر، ص 458.

295– علي يحي معمر، موكب، الجزء الثاني، ص 181.

296– الشماخي، السير ، ص 170.

297– يوجد مســـجد آخر مشيد في باطن الأرض. ولا يبعد إلا أمتار قليلة عن مســـجد أبي مهدي. ويطلق الســـكان في هذه المنطقة على هذا المبنى مسجد أبي غزالة. وربما يكون المسجد المشار إليه باسم مسجد اجلمان، أو اجلامن. (أنظر ليفسكي، نفس المصدر، ص 47).

**طول جدار القبلة حوالي** 11.60**م. والجدار، الذي يشكل الجهة الشمالية الشرقية يبلغ طوله حوالي** 14.10**م. ويبلغ سمك الجدران** 80 **سم تقريبا. كما تبين انه كان للمسجد مدخلان، أحدهما يقع في الجدار الشمالي الشرقي، والآخر في وسط الجدار المقابل. وثمة احتمال بوجود مدخل ثالث في الجدار الشمالي الغربي.**

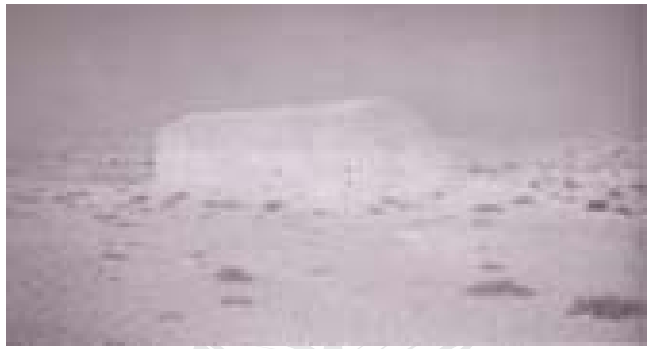

**شكل 150** مسجد أبي مهدي بويغو كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية

**شكل 151 الرواق الوحيد القائم** بمسجد أبي مهدي الويغوي





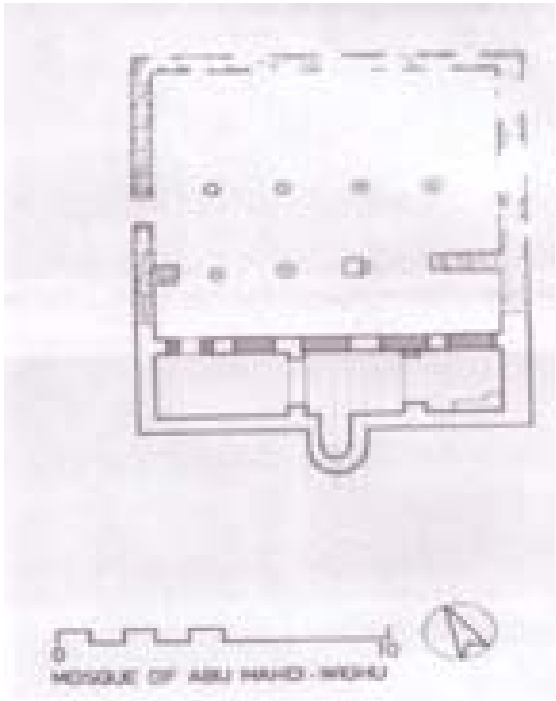


شكل **152** المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبي مهدي بقرية ويغو

**ورواق القبلة، المرمم حديثا، مغطى بقبو برميلي. ولا توجد بهذا الرواق ما يستحق الذكر سوى المحراب، الذي يبلغ عمقه حوالي** 1.60**م.** (**أنظر شكل** 153، 154). **وأما محرابه المعقود بداخل الرواق، يتميز ما يبرز منه خارج الجدار بشكل اسطواني، يشبه شكل القبة، التي تتدرج في انحنائها كلما اقتربت من الأرض. وهذا النوع من المحاريب منتشرة في الشمال الإفريقي.**

**شكل 153** لقطة داخلية للراوق المتبقي من مسجد أبي مهدي بويغو

**شكل 154** المحراب البسيط بمسجد أبي مهدي بويغو





**ويلاحظ ان جزءا من الأقواس التي كانت بقاعة الصلاة لازالت منظورة في رواق القبلة، إذ ان أعمال الترميم لا تغطيها بالكامل.** (أنظر شكل 155). **ولقد أمكن بعد تتبع بقايا الآثار للمسجد من وجود رواقين آخرين خلف رواق القبلة** (أنظر شكل 156). **ومن المحتمل ان المسجد كان يتكون من خمسة أروقة، بما في ذلك ما هو مخصص لصلاة النساء.**

**شكل 155** مسجد أبي مهدي وبقايا امتداد جدران المسجد المتصدع بويغو

**ومن الراجح ان دور ويغو في تجارة القوافل ليس بأقل أهمية من دور شروس وتندميرة. ومما يدلل على ذلك موقعها الجغرافي، ومستوى بيوتها الراقي، والذي يشير إلى ثراء هذه القرية في وقت من الأوقات. وأما ما يبدو عليه مسجدها من افتقار للقيم الفنية، فهذا عائد إلى تصدع المسجد الأصلي بالكامل.**

**ومما يدعو للحيرة ان الأحجار الأصلية للمسجد لا ترى بالموقع. وطالما أننا قد اشرنا إلى ما فعله أهالي قرية مرقس بهذه القرية**

الأثرية، فيحتمل ان هذه الأحجار كانت من ضمن المنقولات. وإذا كان هذا الاحتمال صحيحا وفلا يستبعد ان بعضا من الأحجار قد احتوت على زخارف أو كتابات. وهذا الفعل كثيرا ما يحدث في الأماكن، التي تفتقر إلى الحس الثقافي للمحافظة على التراث.

شكل 156 مسجد أبي مهدي كما يبدو من الجهة الجنوبية الغربية

ونحن على علم بان أبا مهدي الويغوي، الذي ينسب إليه المسجد، توفي خارج أسوار اطرابلس، عندما كان الإمام عبد الوهاب الرستمي يحاصر المدينة في سنة (190هـ – 805، 6 مسيحي).[298] ووفقا لهذه المعلومة تظل ويغو الأقدم ذكرا بين المساجد في جبل

298– الشماخي، السير، ص 18–9. أنظر أيضا ، دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 510–1.





نفوسة.[299] وأهميته تتعلق بمخططه الأصلي، إذ ان هذا المخطط الأرضي قد اتخذ نموذجا لتخطيط المساجد بالجبل لعدة قرون.[300] ولا يفوتنا ان نذكر ان جميع مخططات المساجد التي تطرقنا إليها فيما سبق تتماثل مع ما وجدناه في قرية ويغو. ولذا أضحى من المتيسر معرفة هذه الجزئية من مكونات المسجد الأباضي في جبل نفوسة وفي القرون الإسلامية الأولى.

ومن الممكن الآن حصر بعض المواصفات، التي ميزت المسجد الأباضي، في الجزء الغربي من جبل نفوسة، إبان القرون الأولى للإسلام. فبالإضافة إلى الشكل شبه المستطيل، تميزت المساجد بوجود ثلاثة مداخل. وقد خصص إحداها لاستعمال النساء. ونلاحظ ان المسجد الأباضي يفتقر بشكل عام إلى استعمال الزخارف والكتابات. وما رأيناه في بعض الأمثلة يعد خروجا عن القاعدة، التي تركز على البساطة في ميدان العمارة.

وفي هذا الإطار لا نغفل عن ذكر الجدار الفاصل في المساجد، الذي يصنف هو الآخر كعلامة مميزة للمسجد الأباضي. وهذه الظاهرة لم نشاهدها في المساجد الإسلامية الأولى، على الرغم من صلاة النساء في المساجد. كما ان غياب المنبر في مساجد الجبل ظاهرة مميزة، كما أوضحنا عند مناقشة هذه المسالة. وأما ما يتعلق بالمئذنة فلم يحسبها الأباضيون من ضروريات المسجد. والعنصر المعماري الذي يسمى (الصمعة) استخدم في المسجد الأباضي لتحديد مكان المسجد. ويبدو

299– الشماخي، السير ، ص18–9. وانظر ايضا ، دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 500.

300– لا يفوتنا ان نلحظ ان كل المساجد، التي اتينا عليها تشترك في شكل مخططها الارضي.

إنها لم تكن محصورة على هذا الأمر. وأخيرا فبناء المساجد وغيرها على المستوى أقل من مستوى الأرض، أو في باطنها، فهذا عائد إلى الوقاية من الحرارة التي تتميز بها المنطقة في أشهر الصيف، ومن البرودة في أشهر الشتاء. وأما تغطية المباني بالأقبية البرميلية، فهذا مما يجنب الأسقف التأثر بمياه الأمطار، وتكدس الأتربة فوق الأسطح. ولا يغيب عنا ملاحظة المساحة الصغيرة للمساجد ،مع اعتبار الكثافة السكانية العالية.[301]

وما يواجهنا هنا هو تحديد تاريخ لتبني أهالي نفوسة لهذا النموذج من المساجد. وربما نتساءل حول عدم تطوره لفترة طويلة من الزمن حتى في مناطق إسلامية أخرى. ونحن لا نستطيع القول بعدم وجود من يتفوق في مجال العمارة في جبل نفوسة. لان الأبنية ذات المستوى الراقي والدور الجميلة بقرية ويغو تفند هذا الزعم.

ويبدو ان علينا لإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع، النظر إلى شرق العالم الإسلامي، وبالتحديد إلى العراق. وذلك لان التأثر الأقوى لا يظهر بوضوح في جبل نفوسة. ومن الممكن مناقشة هذا الأمر في مسارين. الأول منها يتعلق بالمسجد الأباضي، الذي استعاد مميزاته الأساسية، من المساجد الإسلامية الأولى في العراق، مساجد مثل الكوفة والبصرة. ولابد ان نلاحظ أولا ان وجود الخندق حول المسجد في العراق عائد إلى الضرورات الحربية واختلاف الموقع الجغرافي. وأما غياب الأفنية في مساجد الجبل فعائد إلى الظروف المناخية. والمسار الثاني ما يتعلق بتعاليم الأباضية نفسها. فالنظرة المحافظة للفكر الأباضي الديني، جعلت من الأبنية، خاصة المساجد، التمسك بطابع البساطة. ومن الجدير ان نذكر هنا ان

301– الشماخي، السير، ص 310.





المساجد الإسلامية اقتصر همها على إقامة العبادة، في أماكن لا تشغل المصلي عن الصلاة. ولهذا لم يأخذ أهالي نفوسة أفكارهم الدينية، من شرق العالم الإسلامي وحسب، بل تأثروا أيضا بهذه المنطقة في مجال الفنون والعمارة.

## منازل ويغو:

عندما يقف المرء بين أطلال قرية ويغو، يتساءل لما لم يجذب هذا الموقع أنظار المعنيين والمهتمين بالتراث؟ كما يعتريه نوع من التحسر لما يرى من إهمال للعناية به، والمحافظة عليه من العبث!. ولابد له وان يشعر منذ الوهلة الأولى ان هذه القرية قد عاشت في وقت ما فترة مزدهرة. ذلك ان مظاهر الفن المعماري الراقي في هذا الموقع يجعله الأروع في أنحاء جبل نفوسة .

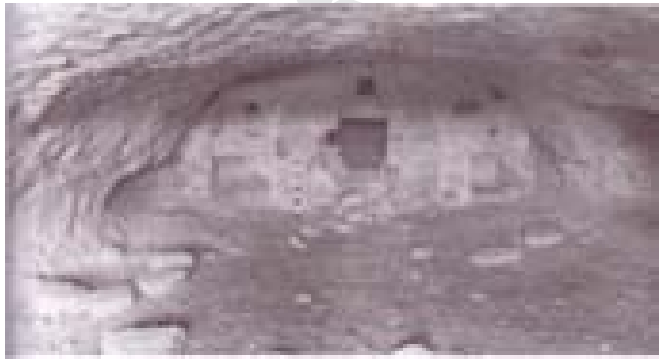

شكل 157 منزل تحت الأرض بقرية ويغو

والوقع ان أطلال الدور بهذه القرية تختلف عن كل ما رأيناه في قرى جبل نفوسة. فهي تتناثر فوق هضبتين، يفصلهما منخفض صغير، يبلغ عرضه حوالي 800م. ويوجد أمام هذه الدور بيوت

أخرى محفورة في باطن الأرض. وتتساوى تقريبا أغلب هذه الدور في المساحة والتخطيط. ولا تختلف عن بعضها إلا في تفاصيل دقيقة. ولذا سنحصر التركيز على منزل واحد منها. وسنأتي على ذكر المنازل الأخرى، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.

شكل **158** ممنازل بقرية ويغو الأثرية

## منزل المحراب:

لا يعرف هذا المنزل بهذا الاسم. ولكننا أطلقنا عليه هذه الصفة، لكونه المنزل الوحيد، الذي احتوى على محراب بداخله. ويقع هذا البيت في الجهة الشمالية الغربية للقرية. (أنظر شكل 158) وهو ذو تخطيط شبه مستطيل. ويبلغ طول جداره الجنوبي الشرقي حوالي 9.90م، والجنوبلي الغربي 5.40م تقريبا. وتقدر مساحة البيت، بما في ذلك الفناء الذي بداخله، بحوالي 52، 23 متر مربع (أنظر شكل 159) (أنظر شكل 160) للمقارنة.





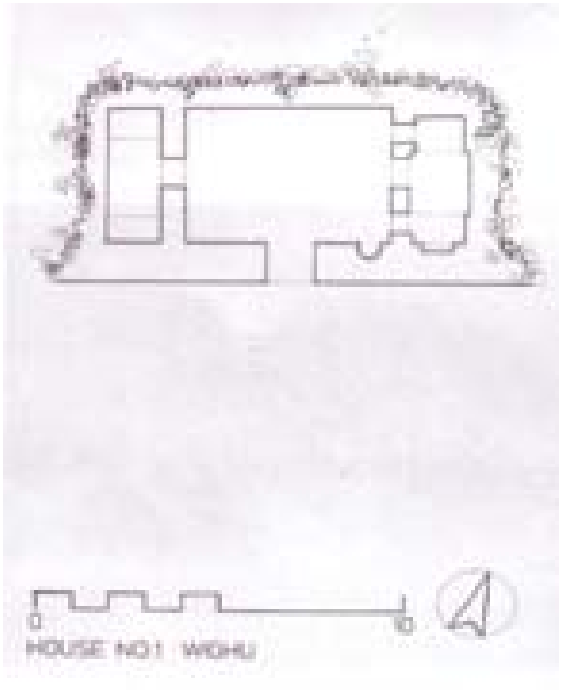


شكل **159** المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة

ويكتنف هذا الفناء حجرات من الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية. ويتماثل هذا المنزل بطابقين في الأعم الأغلب مع سائر المنازل بالموقع. وجميعها مغطى بأقبية برميلية (أنظر شكل 161). ويتميز بعض منها بأكثر من طابقين (أنظر شكل 162). ويذكرنا مشهد هذه المنازل، نظراً إليها من مسافة، بقصير عمره وحمام الصرخ بالشام.[302] وتبدو هذه البيوت، مع غياب الفتحات

302– أنظر كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، القاهرة، 1964،

**بجدرانها الخارجية، كمبان صغيرة محصنة. ولا يشذ عن هذا الوضع إلا منزل واحد. ولهذا المنزل نافذتان في الواجهة. ولكن هذه الفتحات تبدو غير أصلية (أنظر شكل** 163).

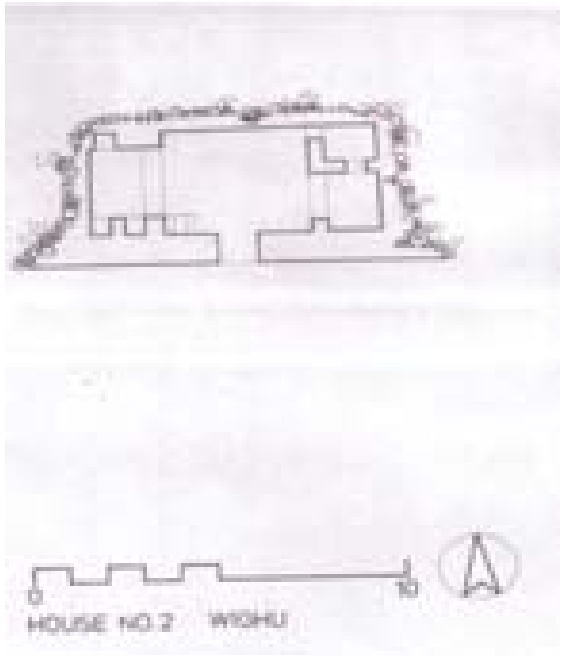


**شكل 160** المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة

**ويوجد بمنزل المحراب مدخل واحد يتوسط جداره الجنوبي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي** 1.30**م، وارتفاعه** 2.40**م. ويبلغ سمك جدرانه حوالي** 1.26**م (أنظر شكل** 162). **ويبدو ان هذا المدخل كان يكتنفه عمودان، كما هو الحال في منزل آخر، بالشمال الغربي**

**أنظر الأشكال، 16، 17، 20.**





**للقرية (أنظر شكل** 165).

**شكل 161** فناء منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية

**شكل 162** بقايا آثار منزل بقرية ويغو الأثرية

شكل **163** منزل قديم بقرية ويغو، في الجنوب الغربي للقرية

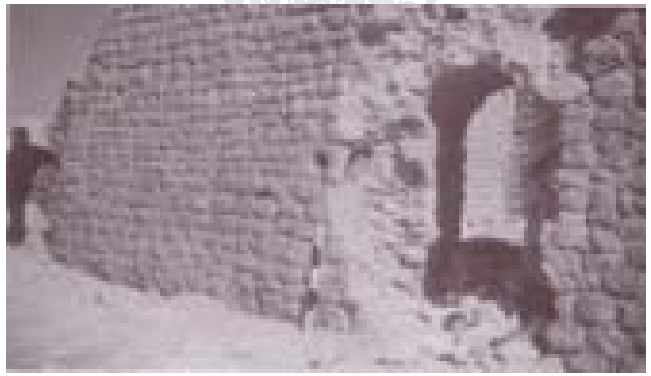

شكل **164** مدخل منزل المحراب بقرية ويغو

**على يمين الداخل إلى منزل تجويف في الجدار الجنوبي الشرقي. ووجوده في هذا الموضع يعطيه صفة المحراب.[303]** ( أنظر شكل

**303– يبدو هنا ان السكان قاموا، بخلاف الاخرين في مناطق الجبل، بترميمات حافظـــت على الطابع الاصلـــي. ويمكن ملاحظة هذا الأمـــر في المنازل التي تم اصلاحها، والمنتشرة بهذا الموقع.**





**167). وهذه الظاهرة منفردة في جبل نفوسة. ولقد رأينا أمثلة في القصور الأموية، التي اتخذها الأمراء للاستجمام، وكذلك في قصر الاخيضر.[304]**

شكل **165** مدخل لمنزل بقرية ويغو في الطرف الغربي للقرية

**وإذا تجاوزنا مدينة سامراء فيما يتعلق بهذه الظاهرة، فإننا لا نعثر على منزل بمحراب في المواقع الإسلامية، التي تعود إلى فترة مبكرة. ويجدر القول ان المحاريب المسطحة، التي وجدت بسامراء، لم تكن إلا للزينة.[305] ولذا فهذا المنزل– حسب علمنا – يظل مثلا**

**304– كرزويل، العمارة الإسلامية المبكرة، المجلد الثاني، ص 106. 126–7، 196.**

**305– أنظـــر، E. Herzfed, Die Ausgrabun Von Samorra, I, Der Wandschuch oher Bauten Von Sammaran und Seine Ornamen- tik, BERLIN, 1923 pp, 181, 225, Abb 259, 260, 316, LXII, C/281. Excavalion at Samarra, 1936–39, Bagdad, 1940 Part I , P 24, PI. LVII, also , B Franeis and it Nqshabandi, AL Maharib al Qadima, Sumer, VII, 1951, p, 213, pl. 1,2, cf CK. Williams, Bulletin of the Metropolitan; Museam of Art, N.S.II 1994, PP. 2, 286. See F**

متفردا في العمارة الإسلامية المبكرة، وربما يعود تاريخه إلى القرن الثاني – الثالث الهجري – الثامن، التاسع مسيحي.

شكل **167** داخل منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية

ونرى، في الفناء أيضا، إلى الجهة الشمالية الشرقية حجرة تماثل شكل الإيواء (أنظر شكل 168). ويكتنف مدخلها حنيتان معقودتان، حيث يبلغ قاعدتهما حوالي 30 سم طولا، وارتفاعهما حوالي 35 سم. وعند مواجهة مدخل الحجرة، تبدو الحنية التي على اليمين مغطاة بعقد على هيئة حدوة الفرس (أنظر شكل 168). وهذا مثل آخر لم نره بعمارة الجبل. وتتكون هذه الحجرة من شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي حوالي 1.60 م، الجدار الشمالي الشرقي حوالي 2 م. ويتكون سقف الحجرة من قبو

Shafi, I op,. cit p 622.





برميلي، كما هو الحال في جميع الحجرات. ويكتنف هذه الحجرة حجرتان صغيرتان. وتقدر مساحة الحجرة التي على اليمين، حال مواجهتهما، بحوالي 2 متر مربع. والأخرى 1.43 متر مربع تقريبا. ويوجد بالحجرة الأخيرة درج يقود إلى الطابق الثاني من المنزل. ومدخل كل من الحجرتين يقدر عرضه بحوالي 55 سم. وارتفاعه حوالي 95 سم (أنظر شكل 168).

شكل **168** الحجرة الرئيسية بمنزل المحراب كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربية لويغو

ويوجد في الشمال الغربي من الفناء حجرة واحدة. وتقدر مساحتها بحوالي 6.30 متر مربع. ويبلغ عرض مدخلها 90 سم، وارتفاعه حوالي 1.10م (أنظر شكل 169). وثمة سدتان حجريتان في نهاية الحجرة.

ولعل ما يثير الانتباه في هذا الفناء، تلك الأحجار البارزة عن الجدار الجنوبي الغربي (أنظر شكل 170) وهذه الظاهرة تذكرنا بجذوع الأشجار المثبتة في جدران قصور التخزين. والأرجح إنها قد

**استعملت للوصول إلى الطابق الثاني من هذه الجهة. ويبدو أن الطابق الثاني قد استعمل للتخزين. ومما يدعم هذه الفكرة عدم وجود بقايا آثار لقصر تخزين بالموقع.**

**شكل 169** فناء منزل المحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي

**شكل 170** فناء منزل المحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي





**وكما اشرنا سابقا فالمنازل تشترك في التخطيط العام، وأساسيات البناء المعماري. ولبعض المنازل حجرتان مصممتان على شكل إيوان. والفارق المميز بين هذه الدور، يكمن في عدد الحنيات المجوفة (أنظر شكل 171). ولا يفوتنا ان نتوقف عند طريقة إنشاء هذه المنازل. فلقد بنيت الجدران أولا من الطين، ثم لبست من الخارج بأحجار جيدة القطع (أنظر شكل 172).**

**شكل 171** بقايا آثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة

**ولا شك أن هذا الطراز من البيوت، تتمثل فيه مميزات البيت الإسلامي، التي رأيناها أكثر ما يكون وضوحا في قصر المشتى، وكذلك في قصري الطوبة والاخيضر. ولكنها أكبر حجما وأكثر تفصيلات.[306]**

**306– كرزويل، العمارة الإسلامية المبكرة ، المجلد الثاني، ص 147–8، 197–8. أنظر أيضا ، فريد شافعي، نفس المصدر، ص 186–9.**

**شكل 172** بقايا آثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة

**ونحن إذ ننتقي نموذجا للبيت الإسلامي في جبل نفوسة، متمثلا في بيت المحراب بقرية ويغو الأثرية، لنرمي بالدرجة الأولى، إلى إثارة الانتباه إلى هذا الموقع الهام. إضافة إلى ما يقتضيه هدف البحث من إبراز للقيم الفنية والمعمارية بهذه المنطقة.**

# الفصل الخامس

# الكنيسة – أم الطبول

# أبو كار

# الفصل الخامس
# الكنيسة – أم الطبول – أبو كار

تقع منطقة تمزدة على بعد حوالي 6 كم إلى الغرب من مدينة جادو. وتشتهر هذه المنطقة – كما هي المناطق المجاورة لها– بسهولة المنبسطة، تربتها الخصبة، وبكثرة أشجار الزيتون فيها. وهي إذ تقع على سطح مرتفع جبلي، لتختلف عن المنطقة الغربية من جبل نفوسة. وهي أيضا تختلف في بقايا أطلالها عن بقية القرى التي تطرقنا إليها آنفا. وتظهر بقايا أطلال تمزدة على، أو بين الهضاب الصغيرة. ولا نرى حولها ما يدلل، على إنها في أي وقت مضى، قد اتخذت نوعا من الوسائل الدفاعية لحمايتها. وربما يكون هذا عائدا من جهة، إلى موقعها في وسط جبل نفوسة. ومن الجهة الأخرى للتحصن الطبيعي المتمثل في سلسلة الجبال، الممتدة من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي للمنطقة. ولعل لهذه الجبال الدور الرئيسي في فشل كل المحاولات العسكرية للاستيلاء عليها. وان كانت أكثر ما حققته هذه المحاولات، إحراق أشجار الزيتون في أسفل هذه الجبال.[307]

وما يميز هذه المنطقة هو كثرة الأطلال المتناثرة في كل أنحائها. ولقد رأينا التركيز على بعض المعالم الأثرية بها وصولا إلى إظهار التنوع الفني المعماري في منطقة جبل نفوسة. وبالإضافة إلى ذلك، إلقاء مزيد من الضوء على الجوانب، التي كانت مثار نقاش في الصفحات السابقة.

307– علي يحي معمر، موكب ، الجزء الثاني ، ص 205.

**مسجد الكنيسة:**

**يوجد إلى الغرب من مدينة جادو متفرق طرق، على بعد حوالي 12 كم منها، وثمة طريق متجه نحو الشمال الغربي من هذا المفترق. ويقود هذا الطريق إلى تمزدة، التي تقع على بعد حوالي 3 كم. ويظهر على يمين هذا الطريق المبنى المعروف بالكنيسة.**

**ولا تمدنا المصادر التاريخية – ومن ضمنها السير – بأي معلومات، سوى الإشارة إليه، بأنه احد المساجد، التي تحظى بكل تقدير، من قبل الأهالي بجبل نفوسة.[308] وربما تكون هذه الندرة في المعلومات لقرب هذا المبنى من جادو، إحدى المدن المشهورة بمنطقة الجبل.[309]**

**وهذا المسجد يحتفظ بكثير من عناصره المعمارية الأصلية. خلافا لما عليه المساجد القديمة بجبل نفوسة. وربما يعود هذا إلى جودة الحجر المستعمل في البناء، بالإضافة إلى حجم المبنى ووضعه في باطن الأرض. الأمر الذي صرف الأهالي عن القيام بأعمال الترميم والإصلاح، كما رأينا في المواقع السابقة.**

**ويبدو ان هذا المبنى قد شيد بالحجر، بعد حفر موقعه في تلة صغيرة. ولولا واجهته المطلية باللون الأبيض، وبعض الأحجار الرومانية الظاهرة فوق الكثيب، لما اهتدت إليه العين بسهولة. ولا يفهم من وجود الأحجار بأعلى هذا المبنى إنها تقوم مقام (الصمعة) التي اشرنا إليها فيما مضى، بل هي على ما يعتقد أحجار جلبت من موقع روماني قديم، لكنها زادت عن حاجة البناء. فتركت بالموقع.**

**308– الشماخي، ص 599، أنظر أيضا روسي، نفس المصدر، ص 91.**
**309– ابن حوقل، نفس المصدر، 94–5.**





**وثمة احتمال بان المبنى الروماني كان في نفس الموقع قبل بناء المسجد (أنظر شكل 173، 174).**

**شكل 173** سطح مسجد الكنيسة بمنطقة تمزدة

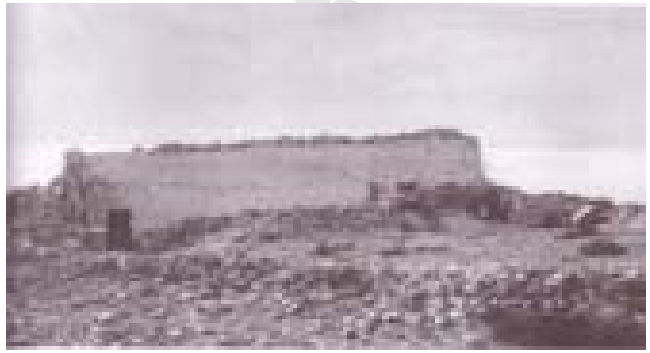

**شكل 174** الجدار الجنوبي الشرقي لمسجد الكنيسة بتمزدة

**ويتكون هذا المسجد (الكنيسة) من مخطط مربع الشكل تقريبا. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 25.10 م. والجدار الشمالي الشرقي حوالي 10.5 م بينما يبلغ سمك الجدران 60 سم (أنظر شكل**

175). **وتتكون قاعة الصلاة من أربعة أروقة، مغطاة بأقبية برميلية. وهي مدعمة بأقواس شبه نصف دائرية، مقامة على اثنتي عشر عمودا. كما ترى الدعامات الساندة للجدران، ما عدا في الحائط الجنوبي الشرقي. وتعتبر هذه الأقواس من الناحية المعمارية والفنية الأفضل تنفيذا في جبل نفوسة. ويلاحظ ان بعضا منها يستقر على تيجان مربعة الشكل. ويبدو واضحا عدم التوافق بين عناصر المسجد المعمارية. الأمر الذي يدلل على ان هذه الأحجار والأعمدة قد أعيد استعمالها لبناء هذا المسجد** (أنظر شكل، 176، 177، 178).

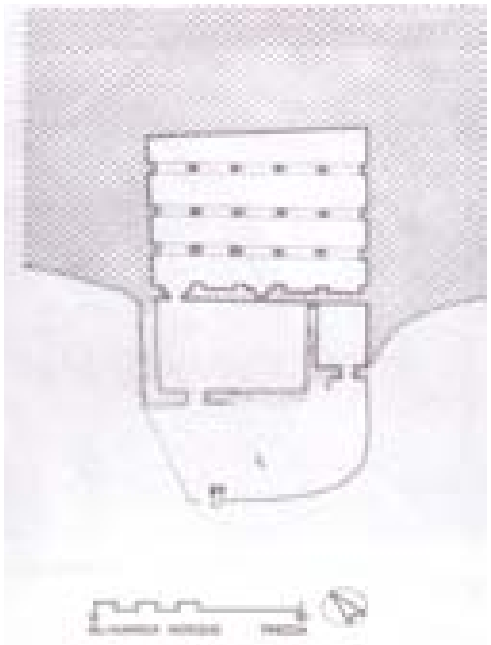

**شكل** 175 قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

**شكل** 176 قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

**شكل** 177 قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

شكل 178 لقطة لعمود من الأعمدة الموجودة بقاعة الصلاة لمسجد الكنيسة

ويقع محراب المسجد، بشكل تقريبي، في منتصف الجدار الجنوبي الشرقي. وهو عبارة عن تجويف نصف دائري. ولا ينسجم مع بقية عمارة المسجد. ولقد استخدم في بنائه الأحجار الجيدة القطع. والشكل المسطح لخلفية المحراب يذكرنا بالمحراب الموجود بمسجد تندميرة. والفارق ان محراب مسجد أبي منصور إلياس، يبرز خارج جدار القبلة. ويبلغ عرض محراب مسجد (الكنيسة) حوالي 60 سم. وعمقه حوالي 50 سم (أنظر شكل 179).

شكل 179 محراب مسجد الكنيسة بمنطقة تمزدة

ويبدو ان المحراب بشكله البسيط، وتناقضه مع مستوى بناء بقية المسجد، متفقا مع أغلب المحاريب بمساجد جبل نفوسة، التي تخلو من التنميق، زخرفة أو كتابة. وعلى الرغم من هذه الظاهرة، فالمحراب في العمارة الإسلامية، اكتسب أهمية من خلال دلالته على الاتجاه الصحيح للقبلة. وهذا شرط أساسي في صحة الصلاة. ولهذا السبب، كان في كثير من الأحيان محط عناية الفنانين المسلمين. ونرى هذا الاهتمام في مساجد الجبل في كل من أبناين، تندميرة، وشروس. والراجح ان محراب مسجد الكنيسة الأصلي كان متطابقا والمستوى

الجيد لبناء المسجد. أما المحراب الحالي فهو نتيجة لترميم قد لحق بالمسجد في فترة متأخرة.

ومما يزيد من مستوى هذا الترجيح، وجود أحجار مستطيلة جيدة القطع أمام المحراب. كما وجد غيرها متناثرا في بعض أنحاء المسجد. وإذا افترضنا إنتماء هذه الأحجار إلى المحراب الأصلي، فعددها يزيد بكثير عما يحتاجه بناء المحراب. الأمر الذي يجعلنا نظن ان أرضية هذا المبنى كانت مغطاة بهذه الأحجار المصقولة. وهذا مما يزيد من احتمال وجود مبنى سابق على بناء المسجد. وثمة قصة شائعة بين سكان المنطقة، تتعلق بنفر من المغاربة تمكنوا من العثور على كنز بهذا المبنى. ولم يكتشف الأهالي الدمار الذي تم بالمسجد إلا في اليوم التالي. وهذا ما يذكرنا بقصة المحراب المجصص في قونية (العهد السلجوقي)، الذي تعرض هو الآخر للتدمير من قبل سكان القرية، بحثا عن كنز خلف المحراب. ولم تكن النتيجة إلا تدمير المحراب[310]، والعثور على التراب .

ونجد هذه القصة مرتبطة بالكثير من المساجد في منطقة تمزدة. وعلى العموم فوضع محراب مسجد الكنيسة، والأحجار المتناثرة بقاعة الصلاة، توحي بأن عملا تدميريا متعمدا قد جرى بهذا المكان (أنظر شكل 179). ولازال بعض الناس يعتقدون بان الكنز لازال موجودا بالمبنى، ومدفونا بأحد جدران المسجد. ويعزون وجوده لتحوط الأقدمين بإيجاد المال اللازم لإعادة بنائه في حالة التصدع أو الانهيار.

310– المعلومات الشفوية زودنا بها كل من استاذ الآثار والفنون الإسلامية بجامعة لندن الدكتور جيزا فيهرفاري، وكذلك الدكتور م. كياني أستاذ الفنون الإسلامية، ومن الممكن الاطلاع على المصدر التالي:
R. Hillenbrand, Oriental Art, Vol, XVIII, 1972, PP. 1–14, See also, Hillenbrand, Kunst des Orient, X/1–2, 1976, PP. 49 7.





وعلى الرغم من عدم وجود الدليل الأثري – حتى الآن – لحسم هذا الأمر، فإننا لا نقطع بعدم وجود ما يطلق عليه (الذخائر) في المباني القديمة.[311] ويبدو ان ثمة ما يمت إلى حقيقة هذه القصة، بشكل أو بآخر، وإلا لما تناقلتها الأجيال، وأصبحت على هذا المستوى من الشيوع. ويجب إلا ننسى ان المساجد القديمة في جبل نفوسة قد تعرضت لكثير من الترميمات بعد إهمال دام لسنين طويلة. ونحن إذ نقول بغياب الحفريات الأثرية بهذه المنطقة، لنرى هذه الظاهرة تمثل إشكالية للدراسات المتعمقة بهذه الأنحاء من جبل نفوسة. وما يجب ان نؤكد عليه هنا ان مسجد الكنيسة – كما هي مساجد أخرى بهذه المنطقة – تزودنا بما يشير إلى التدمير المتعمد.[312]

ولمسجد (الكنيسة) مدخل واحد، يقع في الجهة الجنوبية الغربية من جدار القبلة. ويبلغ عرضه حوالي 56 سم، وارتفاعه 43.1 م تقريبا (أنظر شكل 180). وهنا أيضا كما هو المحراب نلاحظ عدم التلاؤم بين بنائه وبين عمارة المسجد. وتشمل هذه الملاحظة جدار القبلة، الذي تعرض إلى ما يبدو، إعادة لبنائه بالكامل. ولا يوجد بقاعة الصلاة إلا فتحتين بالجدار الشمالي الشرقي، للضوء والتهوية (أنظر شكل 181). ويوجد كذلك في الجدار المقابل لحائط القبلة حنية ذات قوس شبه نصف دائري (أنظر شكل 182). ولا يبدو ان هذه الحنية ذات وظيفة عملية في المسجد. ومن المستبعد أيضا ان تكون مدخلا مسدودا، ذلك لأنها في وسط التلة، التي تعلو على

311– في بداية السبعينات وجد رجل جرة مليئة بالعملة الفضية، بينما كان يحرث الأرض. وهذه العملة تعود إلى العهد الحفصي، وهي محفوظة بمصلحة الآثار، ولكن لم يكتب عنها بعد. وللاطلاع على مثيلتها أنظر، النقود العربية في تونس، تونس 1968. ص 148.

312– أنظر أعلاه، ص 102.

**سطح المسجد ذاته، ويرجح ان هذه الحنية ذات صلة بالمبنى القديم القائم بهذا الموقع قبل بناء المسجد. وهذا ما يعطي لتسمية المبنى من قبل الأهالي بالكنيسة، معنى يشير إلى الأثر الأقدم عهدا.**

**شكل** 180 المدخل الوحيد لمسجد الكنيسة الموجود بالجدار الجنوبي الشرقي

**شكل** 181 قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

شكل 182 قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

**ويظهر بقاعة الصلاة، على يمين الناظر إلى هذه الحنية المعقودة قبران (أنظر شكل 183). وعلى الرغم من ان هذه الظاهرة شائعة بمناطق جبل نفوسة، إلا ان ما يثير الانتباه هو وضعية القبرين المتعامدين مع جدار القبلة. وهذا مما يتناقض مع وضعية القبور الإسلامية المتوازية مع جدار القبلة. وتجنبا للإسهاب، فهذه إشكالية أخرى تضاف إلى الإشكاليات السابقة المتعلقة بهذا المسجد، وحقيقة أصل هذا المبنى. وهذا ما سنأتي عليه في الصفحات التالية:**

شكل 183 قاعة الصلاة بمسجد الكنيسة بتمزدة

**ويوجد فناء صغير ملحق بالمسجد في الجهة الجنوبية الشرقية. وهو ذو شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول الجدار الشمالي الغربي حوالي 30.5 م، والجدار الجنوبي الغربي 25.7 م تقريبا (أنظر شكل 175). ويقع مدخل هذا الفناء في الجهة الجنوبية الغربية، قبالة مدخل المسجد. ويقدر عرضه بحوالي 90 سم (أنظر شكل 174). وتظهر الأحجار الرومانية واضحة بهذا المدخل (أنظر شكل 184). كما توجد حجرة صغيرة ملحقة بالمسجد، في الجهة الشمالية الشرقية. ويبلغ طول جدارها الشمالي الغربي حوالي 60.3 م، بينما يبلغ عرض مدخلها حوالي 60 سم (أنظر شكل 175، 185). ووجود الحجرات بمساجد الجبل ظاهرة منتشرة، ولكننا نراها هنا خارج المسجد. ويظن من خلال تقويم البناء إنها تعود إلى فترة متأخرة. ويبدو إنها قد استعملت لإيواء الزوار.**

شكل 184 الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد الكنيسة بتمزدة

شكل 185 الجهة الجنوبية الشرقية لمسجد الكنيسة بتمزدة

**ويقود كل من مدخل المسجد ومدخل الفناء إلى فناء آخر في الجهة الشمالية الشرقية. وهو ذو شكل شبه مستطيل. وتقدر مساحته بحوالي 50 متر مربع. ويوجد بهذا الفناء صهريج أرضي للماء حيث تظهر على فتحة بعض الأحجار الرومانية، كما هي ماثلة للعيان في**





**سور الفناء ( أنظر الشكل 186). وهي أكثر ظهورا في الجزء الجنوبي الغربي. وبالنظر إلى الكيفية، التي بني بها سور الفناء، حيث وضعت الأحجار فوق بعضها البعض بعيدا عن التنسيق، والربط فيما بينها، يتبين أنها ترجع إلى تاريخ قريب. كما وجد صهريج آخر للماء إلى الجنوب الغربي من المسجد. وفتحة هذا الصهريج محاطة أيضا بالأحجار الرومانية الجيدة القطع. ويظهر على حجر منها زخرفة تمثل شكلا مستطيلا محتويا على دائرتين ( أنظر شكل 186، 187). كما نرى هذه النوعية من الأحجار ملقاة إلى جانب هذا الصهريج، وحول المسجد بشكل عام (أنظر شكل 188).**

شكل 186 الفناء الخارجي لمسجد الكنيسة الذي يميد باتجاه الجهة الجنوبية الشرقية

**ويبدو ان مسجد (الكنيسة ) على الرغم من احتوائه على أهم العناصر المعمارية، التي تصنفه في قائمة واحدة، مع بقية المساجد في الجبل. فهو يختلف عنها في بعض الوجوه. فالمخطط الأرضي المستطيل للمسجد، الذي رأيناه بمنطقة الغرب من جبل نفوسة، ينسبه علماء الفن والعمارة، إلى التأثر الأموي. ولقد رأينا ان مخطط مسجد**

الكنيسة يميل إلى الشكل المربع. وهذه الظاهرة لها علاقة بالمساجد الإسلامية الأولى في العراق.[313] ونحن لا نريد ان نتخذ من هذا المثل دليلا على تأثير العمارة الإسلامية في العراق على منطقة جبل نفوسة، ولكن يصح القول بأن تعدد هذا المثل سيجعل منه موضوعا جديرا بالاهتمام، خاصة وأن المعلومات التاريخية تشير إلى علاقة بين المنطقتين منذ القرن الأول الهجري – السابع مسيحي.[314]

شكل 187 أحجار رومانية ملقاة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد

وكما أوضحنا سابقا، فوجود قسم مخصص للنساء يعد أحد مميزات المسجد الأباضي بجبل نفوسة. وهذه الظاهرة لا نراها في مسجد (الكنيسة)، على الرغم من وجود الحنية المعقودة بالجدار الشمالي الغربي، التي تطرح هذا الاحتمال. فالحقيقة أن المسجد يخلو من أي أثر لوجود حاجز بالمسجد في أي يوم من الأيام .

وثمة فارق آخر هام بين مسجد (الكنيسة) والمساجد التي اشرنا

313– كرزويل، نفس المصدر، المجلد الثاني، ص 193.
314– الشماخي، السير، ص 123–4.





إليها في المنطقة الغربية من جبل نفوسة. ويتمثل في حسن التخطيط وجودة البناء. ولولا وجود الأحجار الرومانية في هذا المسجد، لتمت نسبة معماره إلى مستوى البناء، الذي رأيناه في عمارة منازل ويغو.

شكل 188 بقية لعمود روماني موجود ليس بعيدا عن مسجد الكنيسة

ولابد ان يطرح وجود هذه الأحجار الرومانية بكثرة في هذا الموقع العديد من الأسئلة. ولعل أهمها ما يتعلق بوجودها الأصلي. ولا يظهر اليوم للعيان ما يدلل على وجود مبنى روماني قديم بهذا الموقع. وكذلك لا تزودنا المعلومات التاريخية بأي إشارة تساعدنا على تبني هذا الافتراض. ولمزيد من إلقاء الضوء على هذه الإشكالية. وجب تتبع النقاط التي اشرنا إليها فيما يتعلق والتأثير المسيحي على هذه المنطقة.

وقد زودتنا المصادر التاريخية بالكثير عن اضطهاد الدولة الرومانية للمسيحيين حتى القرن الرابع مسيحي. وهو الوقت الذي أصبحت فيه الديانة المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية. ولقد سبب هذا الحدث ارتياحا في الوسط المسيحي في الشمال الإفريقي. ولكنه قد تسبب أيضا في خلق إشكالية جديدة. وقد تمخضت هذه المسألة عن

تضارب الآراء حول وضعية القسيسين، الذين هجروا المسيحية إبان فترة الاضطهاد، أو قاموا بتسليم الكتب الدينية إلى السلطات بغرض إحراقها. ونتيجة للجدال الذي دار حول الموضوع ظهر ما يعرف بالدوناتيين (Donatists) في شمال أفريقيا.

ولقد استقل الدوناتيين بمذهبهم الجديد ،الذي أجبرهم على إقامة كنائسهم الخاصة جنبا إلى جنب مع الكنائس الكاثوليكية. وتتحدث المصادر التاريخية عن انتشار الدوناتية بشكل واسع بين القبائل البربرية .ويشمل هذا الأمر أولئك المقيمين بجبل نفوسة. ويبدو ان ظهور هذا المذهب الديني لا يعزى فقط لاختلاف الآراء. بل كانت الدوناتية في جوهرها نزوعا إلى شكل من أشكال الرفض للحكم الروماني .ذلك لان الكاثوليكيين كانوا أنصار للرومان[315]. وربما يعزى إلى هذه الظاهرة عدم استجابة أهالي نفوسة لنجدة الروم بأطرابلس إبان الفتح الإسلامي[316]. وما يهمنا – على أية حال – ان هذا الماضي المسيحي قد تم رصده بما تركه من تأثيرات على جبل نفوسة، فاسم الكنيسة – مثلا – ليس حاصرا على هذا المسجد في منطقة تمزدة، بل أطلق على مساجد عدّة. وهي لازالت تحتفظ بهذا الاسم حتى يومنا هذا. ونحن لا نستبعد صلة هذه المساجد في القديم بمباني الكنائس الأقدم عهدا، بشكل أو بآخر. كما رأينا مساجد أخرى يشار إليها باسم تغليس. وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية .(Ecclesia) وهي تعني الكنيسة .كما وجدت مساجد أخرى ارتبطت باسم الحواريين[317]. والحواريون هم أصحاب النبي

315– هاتيز، نفس المصدر، ص 55–7. أنظر أيضا، ليفسكي، نفس المصدر، ص 39، 50. ودبوز، نفس المصدر، الجزء الأول، ص 406–9.

316– أنظر أعلاه، الفصل الأول، ص 9.

317– الشماخي، السير، ص 598–600. ليفسكي، نفس المصدر، ص 56.





عيسى عليه السلام. وفي هاتين الكلمتين دلالة واضحة على ارتباط هذه المباني بأصول مسيحية.

ونحن نميل إلى القول بأن اعتناق أهالي نفوسة للدين الإسلامي تم بشكل تدريجي، بعد الفتح الإسلامي. إبان هذا التدرج تعايش إتباع الديانتين في سلام، لما كان يتصف به الدين الإسلامي من تسامح وعدم إكراه للآخر لاعتناق الإسلام. وما يدعم هذا القول وجود بعض العائلات، التي انتسبت إلى أجداد من المسيحيين في القرن الثاني الهجري – الثامن مسيحي – وكذلك وجود بعض الأسماء ذات العلاقة بالدين المسيحي[318]. ولكن لم يلبث ان انتشر الإسلام بشكل واسع وسريع في جميع مناطق جبل نفوسة. وكان ذلك متوافقا مع تبني المذهب الأباضي. وعلى الرغم من ذلك استمر الوجود المسيحي على نطاق ضيق إلى وقت طويل.

وبناءا على هذا التوضيح ترجح كفة بناء مسجد (الكنيسة) على أنقاض كنيسة مسيحية. ويمكننا الذهاب إلى أبعد من هذا بالقول إن الكنيسة ذاتها لها علاقة ما بمبنى روماني قديم.[319]

ونحن إذ نميل إلى هذا الاحتمال اعتمادا على شواهد أثرية، فالمصادر التاريخية أيضا تؤكد على ان الرومان قد احكموا سيطرتهم على هذه المنطقة، لفترة طويلة من الزمن. ونتيجة لما عرفناه عن خصوبة الأرض وصلاحيتها لزراعة أشجار الزيتون، فالراجح أن مستوطنات،

وكذلك باسمي، نفس المصدر، ص 426.

318– الشماخي، السير 255–6. هاتيز، نفس المصدر، ص. 34–40.

319– الأعمـــدة التي وجدت بقاعة الصلاة، وكذلك حول المســـجد ، تتماثل بشكل كبير مع الاعمدة الرومانية. أنظر:
Libya Antigua, vol. v. 1968, pl. xl, Fig. a, b, c, d, pl. LI, Fig, b

ولو قليلة، قد أقيمت بهذه المنطقة، إبان الحكم الروماني.

وطالما أننا لم نعثر بمرقع مسجد الكنيسة على أي كتابات أو لقيات أثرية أخرى، تساعدنا في تحديد تاريخ بناء هذا المسجد، فسنرجئ هذا الأمر، للاطلاع على بعض الجوانب الأخرى. فالشماخي في إشارته إلى هذا الموقع لم يربطه بأي أحداث تاريخية[320]. ولكننا نستشف من هذه الإشارات وجود هذا المسجد في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي. ونحن نعلم أن الشماخي قد اطلع على المصادر التاريخية المتوفرة في وقته. وقام بتصنيف هذا المسجد ضمن قائمة المساجد، التي ينظر إليها بعين التقدير والاحترام من قبل أهالي نفوسة. ولقد جاء ذكر بعض هذه المساجد مرتبطا بأحداث تاريخية تعود إلى القرن الثاني، والثالث الهجري – الثامن، التاسع مسيحي.

ونحن نرى بتوفير هذه المعلومات، إضافة إلى وجود الأحجار الرومانية، والأسلوب ذي المستوى الجيد للبناء. الزعم بان تاريخ هذا المسجد يعود إلى القرن الثاني، الثالث الهجري – الثامن، التاسع مسيحي[321]. ويبقى الاحتمال قائما بإرجاع تاريخه إلى فترة أقدم.

## مسجد أم الطبول:

يقع هذا المسجد على بعد 6 كم، إلى الشمال الشرقي من مسجد الكنيسة وهو مقام على هضبة صغيرة محاطة بمزارع أشجار الزيتون. وهذا المسجد – كما هي مساجد أخرى بهذه المنطقة –

320– الشماخي، السير ، ص 599.
321– المصدر السابق، ص 554–5.





يرى متوحدا ومهجورا. وهذا ما يجعلنا نعتقد انه قد استعمل في فترة متأخرة من قبل الأهالي إبان فترة جني الزيتون والعناية بتقليمه. ولقد رأينا هذه الظاهرة في منطقة المزاب بجنوب الجزائر[322]. ويرى اليوم بقايا لمستوطنه لا تبعد كثيرا عن مسجد أم الطبول. ويلاحظ المرء في هذه المنطقة أمثلة لبقايا هذه المستوطنة، التي تبدو أحجارها متناثرة بهذه الموقع.

و هذه الظاهرة نراها منتشرة بشكل كبير عن الجهة الغربية من جبل نفوسة. ولكنها في منطقة تمزده تدلل بنوعية الأحجار المستعملة في البناء وأسلوب تشييدها، إنها تعود فترة تاريخية متأخرة. ووجود بعض المباني حول مسجد أم الطبول في الزمن الماضي ليس بمستعبد، إذ ان باستطاعة المرء رؤية بعض الأحجار في منطقة المسجد. وإذ أخدنا في الاعتبار اختلاف تضاريس هذه المنطقة عن المنطقة الغربية من الجبل، فمن المحتمل نتيجة لندرة الأحجار ان بقايا المباني المتصدعة حول المسجد، قد نقلت أحجارها لاستعمالها في تشييد دور القرى الحديثة. وهذا ما رأيناه في قرية ويغو القديمة، التي نقل الكثير من أحجارها لاستعمالها في بناء المنازل بقرية مرقس الجديدة[323]. وهذا ما يشير إلى ان هذه المساجد المنعزلة لم تكن في سابق عهدها على ما هي عليه الآن.

و ربما يتساءل المرء عن بقاء أبنية المساجد، واستمرار وجودها عندما يرى ما حل بما حولها من تصعد، أو اندثار بالكامل. والسبب غاية في البساطة. فالأمر عائد إلى البناء الجيد لهذه المساجد، مقارنة بالأبنية الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك فالمساجد كأماكن للعبادة تجعل

322– روشي، نفس المصدر، ص 75.
323– أنظر أعلاه، الفصل الرابع، ص 92.

**الناس متحمسين من ان إلى آخر، لصيانتها وترميمها**

**ويعرف مسجد أم الطبول باسم مسجد (تا إسحاق ). ورغم ان هذا الاسم لا يضيف شيئا في الجانب التاريخي، إلا انه يملي علينا إضافته إلى المساجد ذات الخلفيات التاريخية المسيحية[324]، مثل الكنيسة، تغليس، والحواريين. وجدير ان نوضح ان المصادر التي لدينا لا تتعرض إلى ذكر مسجد أم الطبول. ولذا فالاعتماد الكلي قائم على نتائج الدراسة الميدانية.**

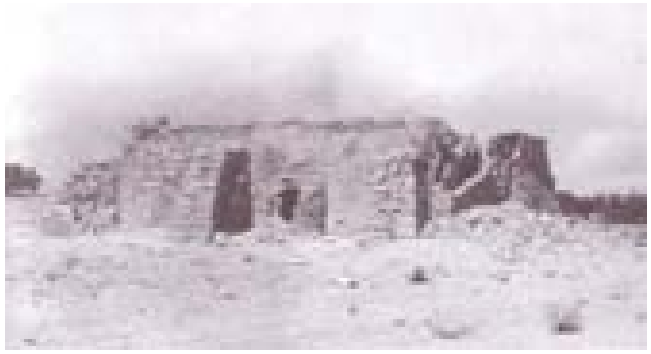

شكل 189 **مسجد أم الطبول كما يبدو من** الجهة الجنوبية الشرقية

**ويبدو هذا المسجد بحالة جيدة، رغم تصدع عقود أروقته في الجهة الشمالية الشرقية. وعلى الرغم أيضا من استعمال الأحجار الجيدة القطع في هذا المبنى، فهو لم يسلم من أعمال الترميم. ومن الممكن رؤية جزء من هذه الأعمال في الدعامة الساندة لجدار القبلة من الخارج (أنظر الشكل 189، 190).**

**324– أنظر أعلاه، ص 10–6.**

شكل 190 **مدخل مسجد أم الطبول الذي يقع** في الجدار الشرقي

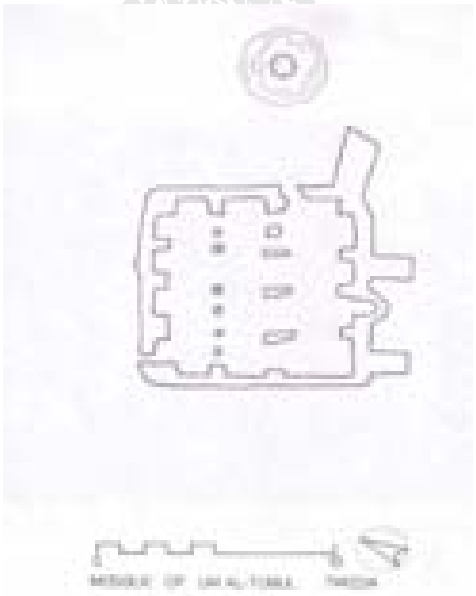

**شكل 191 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أم الطبول**

ويتكون المسجد من شكل شبه مربع. ويبلغ طول جدار القبلة حوالي 10 م. بينما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي 10.9 م تقريبا. أما الجدار الشمالي الغربي فيبلغ طوله حوالي 85.9 م، الجدار الجنوبي الغربي 10.10 تقريبا، بينما يبلغ سمك الجدران 65 سم (أنظر الشكل 191). ويحتوي المسجد على ثلاثة أروقة مغطاة بأقبية برملية متوازية مع حائط القبلة.

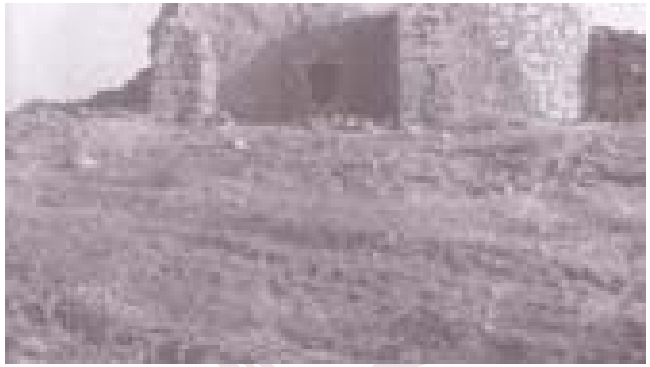

شكل 192 الجدار الجنوبي الشرقي لمسجد أم الطبول ويظهر المحراب بارزا عن الجدار

ويرى في وسط المسجد أربعة سواند تنبثق منها الأقواس، التي تدعم سقف المسجد. ويقع المحراب في منتصف جدار القبلة تقريبا. ويبلغ عرضه حوالي 70 سم، وعمقه مترا واحدا. ويكتنف المحراب من جانبيه، وكذلك أعلاه، شريط من الزخرفة الجصية. والوحدات الزخرفية جميعها تتشكل من عناصر نباتية بحتة. وهي عائدة إلى أعمال الترميم التي لحقت بالمسجد. وأما ما يثير الانتباه هنا فهو الجزء المتصدع من المحراب. فلقد أدى هذا التصدع إلى أحداث فتحة في تجويف المحراب (أنظر الشكل 192). ويبدو ان هذا





التصدع نتيجة لفعل متعمد. وهذا يذكرنا بمحراب مسجد (الكنيسة) وأحجاره المبعثرة بالمسجد. ويدعم كذلك ما يتردد بين الأهالي من قصص حول الكنوز بهذه الأبنية القديمة[325].

شكل 193 حجران مزخرفان وجدا على جدار القبلة بمسجد أم الطبول

ويظهر على يسار الناظر إلى المحراب، حجران مزخرفان، على جدار القبلة. والزخرفة متطابقة على كل من الحجرين. وتتكون من زهرة متنفخة ذات اثنتي عشر فصا (أنظر الشكل 193). وهي متطابقة

325– أنظر أعلاه، ص 102.

تماما مع ما عثر عليه في أبناين وتندميرة[326]. ووضعية هذين الحجرين في الأصل، من المؤكد ان تكون حول المحراب. ووضعها الحالي عائد إلى الترميمات، التي كانت أيضا سببا في وجود الأقواس التي تتقاطع مع جدار القبلة (أنظر الشكل 194، 195) وهذا الأسلوب من الترميم في دعم أسقف المساجد شائع في منطقة جبل نفوسة. ولقد أشرنا سابقا إلى محاسن ومساوئ أعمال الترميم هذه.

شكل 194 قاعة الصلاة بمسجد أم الطبول

ويقع مدخل المسجد في الجهة الشمالية الشرقية من جدار القبلة. ويبلغ عرضه حوالي 85 سم، وارتفاعه حوالي 83.1 (أنظر الشكل 190) كما يلاحظ في الجدار المقابل، وعلى ارتفاع 83.1 م تقريبا، زخرفة هندسية على شكل قطعة من الجص. وتتكون هذه الزخرفة من عنصر هندسي على شكل معين، وبوسطه دائرة مقسمة إلى أربعة أجزاء بخطين متقاطعين (أنظر الشكل 194، 196) ويظهر على يسار هذه الوحدة الزخرفية شكل لشبه مستطيل ملتصق بها. وثمة احتمال بان موضوع هذه الزخرفة يرمز إلى مكة المكرمة. وعلى

326– أنظر أعلاه، الفصل الثالث، ص 64.





الرغم من نسبة هذه الزخرفة إلى عهد متأخر عن بناء المسجد، فإننا لم نشهد لها إجمالا مثلا آخر في جبل نفوسة، أما فيما يتعلق بالزخرفة الهندسية والنباتية فهي تقليد لما وجد في أبناين تندميرة[327].

شكل 195 قاعة الصلاة بمسجد أم الطبول

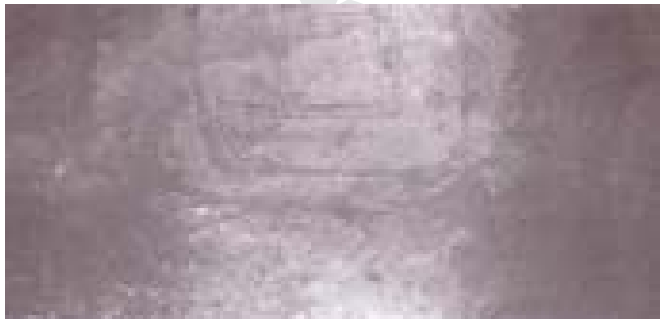

شكل 196 زخرفة جصية على الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أم الطبول

327– ان الحجر المستطيل والرسوم الجصية، التي مثلت– في اعتقادنا– رمزا للكعبة المشرفة بمكة، تذكرنا باللوحات الخزفية، التي صنعت بازنيك في تركيا. وهي تعود إلى القرنين السادس والسابع عشر مسيحيين وهذه الزخرفة بجبل نفوسة يبدو انها تقليد لما وجد على تلك اللوحات .أنظر،
Lardmann, Ars Orientalis, Vol, III, 1959. PP. 192–7.

ولقد تم العثور على حجر آخر مزخرف، مستقرا على قمة عمود في الرواق الثاني، والتحديد في الجهة الشمالية الشرقية (أنظر الشكل 197). وزخرفته التي تتكون من زهرة ذات اثنتي عشر فصا متطابقة مع مثيلتها الموجودة على جدار القبلة. وهذا مما يدعم فكرة ان المحراب الأصلي للمسجد كان مكتنفا بهذه الأحجار المزخرفة.[328] الأمر الذي يعيد إلى الذاكرة مسجد أبناين وزخرفته الرائعة على المحراب.

شكل 197 زخرفة على حجر موجود على أحد الأعمدة بمسجد أم الطبول

وهذا مما يجعلنا نذهب إلى ان بقية الأحجار المزخرفة قد استعملت في أعمال الترميم. أو إنها نقلت من طرف بعض الناس. وهذا أيضا ما اكتشفناه في كل من موقعي شروس وويغو.[329] وعلى أية حال فهذان الحجران المزخرفان والمتطابقان مع ما وجد في أبناين[330]

328– أنظر أعلاه، ص 46.

329– أنظر أعلاه ، الفصل الرابع، ص 92.

330– أنظر الفصل الثالث، ص 6.





وتندميرة، وشروس، يشكلان أهمية بالغة في تصنيف هذه الزخرفة، وإلقاء مزيد من الضوء على تاريخ البناء الأصلي .

ونلاحظ هنا كما هو في بناء مسجد (الكنيسة ) ان الأحجار الرومانية قد استعملت في البناء الأصلي لمسجد أم الطبول. ويظهر هذا جليا في أعمدة المسجد، وكذلك في الدعامة الساندة الخارجية لجدار القبلة، حيث نشاهد أحجارا تنتمي إلى معصرة زيتون رومانية. وإضافة إلى ذلك وجود تيجان الأعمدة ذات الطابع الروماني (أنظر الشكل 198، 199).

شكل 198 عمود روماني بقاعة الصلاة بمسجد أم الطبول بتمزده

و يبدو ان أعمال الترميم، التي أجريت على هذا المسجد، قد تسببت في خلق جدار فاصل بقاعة الصلاة. وإذا أخذنا في الاعتبار تلك الفتحة الصغيرة الموجودة في الركن الشمالي الغربي للمسجد، تأكد لدينا تخصيص الرواق الأخير لصلاة النساء. وهذا ما رأيناه في شروس وفي غيرها من المواقع القديمة.[331] واعتبرننا هذه الظاهرة

331– أنظر الفصل الرابع، ص 79.

إحدى مكونات المسجد الأباضي. ولكننا في مسجد الكنيسة لم نلحظ وجود هذه الظاهرة . الأمر الذي جعلنا نعيد النظر في بداية نشأتها. ونميل إلى القول بأنها لم تكن موجودة أصلا في المساجد القديمة، ولكنها طرأت عليها في فترة لاحقة. ومن الممكن ان تكون لصيقة بتطور وتقنين المذهب الأباضي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر مسيحي.

شكل 199 عمود روماني بقاعة الصلاة بمسجد أم الطبول بتمزده

وما يثير الانتباه في هذا المسجد، سقوط طبقة من (المونة) الطينية، التي تغطي الجدار في الجهة الجنوبية الغربية. وهذا ما تسبب





في انكشاف طبقة من قوالب الأجر في بناء الحائط (أنظر شكل 200) ولقد تبين بعد إجراء كشف بسيط، ان طبقة الأجر هذه تشكل الجزء الداخلي من الجدار، أما الخارجي منه فقد استخدم الحجر في بنائه. وهذه هي المرة الأولى، التي نرى فيها استعمال قوالب الأجر في جبل نفوسة. ومن المؤكد حتى الآن هذه الظاهرة غائبة تماما عن المنطقة الغربية من الجبل. ووجودها في مسجد أم الطبول يجعلنا قادرين على إضافة عنصر جديد لمواد البناء في جبل نفوسة. وعلى الرغم من العثور على بقايا آثار أفران لصناعة الفخار، فإننا لا نستطيع الجزم بتصنيع قوالب الأجر بمنطقة الجبل. ويبقى الاحتمال قائما بجلبها من أماكن أخرى، خاصة إذا عرفنا ان صلة المناطق الشمالية بالجبل كانت متصلة ومتواصلة. ومن المعروف ان قوالب الأجر قد استعملت في أبنية تلك المناطق بقدر كبير.

شكل 200 الركن الشمالي الغربي لمسجد أم الطبول بتمزده

ونحن إذ نشير إلى هذه العلاقة، لا نطرح أساس صناعتها بقدر ضئيل في جبل نفوسة. فوجود الأفران الخاصة بتصنيع الفخار[332]، يجعل الاحتمال قائما بتصنيع الأجر، خاصة في منطقة تمزده، التي يندر فيها الحجر، مقارنة بالمناطق الأخرى من جبل نفوسة.

ومما يدعم هذا الاحتمال نوعية الطين المستخدم في قوالب الأجر، التي وجدت بمسجد أم الطبول. وعل العموم فصناعة الأجر، واستخدامه في المباني في هذه المنطقة سيبقى موضوعا مفتوحا للبحث والاستقصاء.

ويبدو واضحا ان عمارة مسجد أم الطبول تتفق مع أهم ما يميز طابع المسجد القديم في جبل نفوسة. وبالإضافة إلى ذلك يبقى شكله المربع، كما هو الحال بمسجد الكنيسة، مثلا آخر لاستعارة تخطيط المسجد العراقي في القرون الأولى.

ويبدو من الطبيعي، أمام غياب الدليل الأثري التاريخي، ان نلجـــأ إلى ما لدينا من شواهد، للوصول إلى تحديد تاريخ البناء الأصلي لمسجد أم الطبول. فالواقع ان إطلاق اسم (تا إسحاق) يشير بشكل أو بآخر إلى التأثير المسيحي المتعلق بصل هذا المبنى. كما ان الأحجار الرومانية البادية للعيان، والتي تذكرنا بمسجد الكنيسة، تزيد من احتمال وجود مبنى سابق لمسجد أم الطبول. ولا يستبعد ان يكون هذا المبنى كنيسة مسيحية، استخدم في بنائها هذه الأحجار الرومانية. ويحتمل إنها قد تحولت إلى مسجد إبان القرن الثاني الهجري – الثامن مسيحي. وهي الفترة التي انتشر فيها الإسلام بمنطقة جبل نفوسة. وأما إذا ركزنا على مواضيع الزخرفة بمسجد أم الطبول فسيكون

332– أنظر الفصل الثالث، ص 57.





الأمر أكثر وضوحا. فالمستوى الراقي لهذه الزخرفة وتطابقها مع ما وجد في كل من شروس وأبناين وتندميرة[333] . يجعلنا أكثر اطمئنانا لتحديد تاريخ ولو تقريبي لمسجد أم الطبول. فالمساجد المذكورة في المواقع الآنفة الذكر، كانت قائمة في القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. ولذا فمسجد أم الطبول كان موجودا إبان هذا التاريخ.

## مسجد أبي كار:

يقع هذا المسجد على بعد 3 كم. إلى الشمال الشرقي، من مسجد (الكنيسة ). وكما هو الحال بالنسبة إلى مسجد امة الطبول، ومساجد أخرى في هذه المنطقة، فالمعلومات التاريخية لا يشير إلى أي منها. وأهالي المنطقة أنفسهم لا يعرفون شيئا عن مسجد أبي بكار. ولا يملكون إلا عبارة واحدة تجعل من هذا المسجد مكانا مقصودا للتبرك والزيارة.

و لقد بني المسجد على هضبة صغيرة تطل على حقول أشجار الزيتون، من جميع الاتجاهات. وهو كما هي مساجد أخرى معزول عن الناس والأبنية (أنظر شكل 201) والنظر إلى هذا المسجد ينبئنا من الوهلة الأولى عن تعريضه لعملية ترميم كبيرة. ويلاحظ هذا الأمر بوضوح في جدار القبلة المحتوية على الأحجار الرومانية (أنظر شكل 202). وتظهر على قطعة من الأحجار، الموجودة في الركن الجنوبي الغربي، خارج المسجد، رسوم زخرفية. ويبلغ طول هذا الحجر 39 سم، وعرضه حوالي 29 سم، وسمكه 8 سم تقريبا.و تمثل الزخرفة رجل يحرث الأرض، وجمل يجر المحراث. ويتقدمه رجل آخر يبذر الحبوب (أنظر شكل 203).

333– أنظر أعلاه، ص. 64–5–6.

شكل 201 مسجد أبي كار بمنطقة تمزده

شكل 202 الجدار الجنوبي الغربي لمسجد أبي كار تمزده





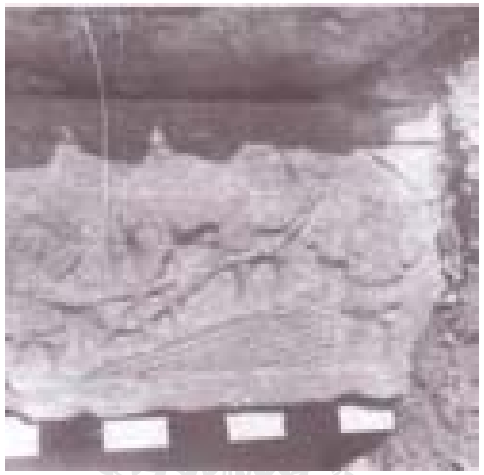

شكل 203 حجر مزخرف إلى جانب مدخل مسجد أبي كار

وهذه الزخرفة مطابقة لمثيلاتها الموجودة بمتحف السري الحمراء بأطرابلس. وتحتوي على نقوش تمثل الحياة الزراعية الريفية. وتنسب هذه الأحجار إلى مدينة (قرزة) الأثرية، التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث – الرابع مسيحي[334] . ولذا فمن المحتمل ان يكون حجر ابوكار هذا قطعة من الأحجار المستعملة في بناء ضريح روماني.

ويتكون مسجد أبي كار من شكل شبه مستطيل. ويبلغ طول جداره الجنوبي الشرقي حوالي 7 م، والجدار الشمالي الغربي حوالي 4.15 م، بينما يبلغ سمك الجدار 70 سم تقريبا (أنظر شكل 204).

وتتكون قاعة الصلاة من رواقين يغطيهما قبوان برميليان،

334– هاينز، نفس المصدر، ص 53–7.

متوازيان مع جدار القبلة. ويستند القبوان على دعامة بوسط المسجد، تعلوها ثلاثة عقود. ويدعم هذه العقود بائكتان وجزء من عمود، ملتصقة بالجدران، ماعدا الجهة الجنوبية الغربية من المسجد (أنظر شكل 202) ويقع مدخل المسجد في الجهة الجنوبية الغربية من جدار القبلة. ويليه إلى الداخل ممر صغير يبلغ طوله 1.50 م، وعرضه حوالي 75 سم. وهذا المدخل يذكرنا بمدخل مسجد الكنيسة.[335]

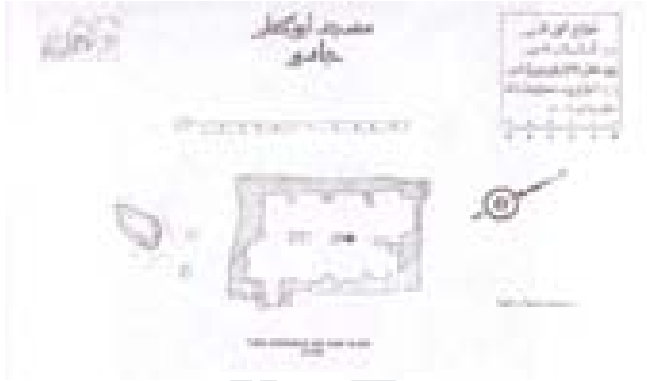

شكل 204 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبي كار

وتوجد بقايا لأثر جدار أمام المسجد، باتجاه الجهة الشمالية الغربية، على بعد حوالي 2.50 م. ويمتد هذا الجدار باتجاه الجنوب الغربي. ويبلغ طوله حوالي 25.10 م. (أنظر شكل 206). والأمر المحير في هذا المسجد هو عدم وجود محراب، أو ما يدل على اتجاه القبلة. ولكن بالنظر إلى بقايا آثار هذا الحائط أمام المسجد الحالي، لا يستبعد المرء وجود رواق ثالث متصدع. ويقودنا هذه الاحتمال إلى التفكير في وجود حائط آخر يمتد من الجهة الجنوبية الغربي إلى الجهة الشمالية

335– أنظر أعلاه، ص 103.





الشرقية. وللتأكد من هذا الاحتمال تعين علينا إجراء حفرية صغيرة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد، إلى جانب صهريج الماء الأرضي.

شكل 205 داخل مسجد أبي كار بمنطقة تمزده

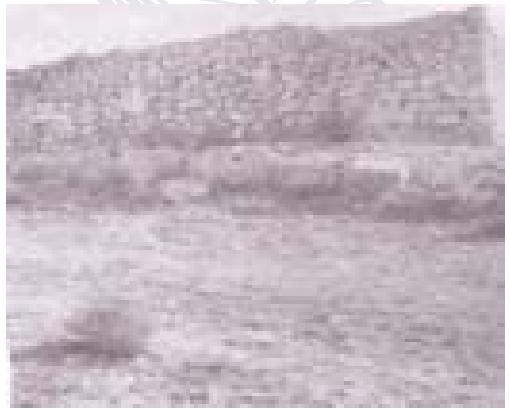

شكل 206 الجدار الشمالي الغربي لمسجد أبي كار بتمزده

ولقد كانت النتيجة تأكيد هذا الاحتمال، حيث عثر على بقايا جدار يبلغ طوله 1.75 م، ملتصقا بأساسات الجدار الجنوبي الغربي للمسجد (أنظر شكل 207) ولذا فقد أدت هذه الحفريات المتواضعة إلى التأكد من ان مخطط المسجد الأرضي يميل إلى الشكل المربع، كما هو لاحال بمسجدي الكنيسة وأم الطبول. وأصبح الأمر ميسرا لتعيين موضع المحراب. ومن المعروف ان المحراب في الأغلب الأعم يتوسط جدار القبلة.

شكل 207 بقايا أثار امتداد مسجد أبي كار الأصلي

ولقد قاد هذا الكشف أيضا إلى التركيز على المدخل الحالي للمسجد، الذي آثار نوعا من التساؤل بوجود ممر يعقبه.و لذا استمر العمل في تعقب بقايا أساسات في المساحة الصغيرة، التي تقع أمام المدخل. وهنا أيضا تم الكشف عن بقايا أساسات لشكل نصف دائري (أنظر شكل 208) ولذا أصبح واضحا ان بقايا هذا الأثر المنحني،





كان يشكل حنية المحراب الأصلي للمسجد (أنظر شكل 204).

شكل 208 مدخل مسجد أبي كار بمنطقة تمزده

ولقد ساعدتنا بعض الشواهد في تحديد تاريخ تقريبي للمسجدين السابقين. ولكن الأمر بالنسبة لمسجد أبي كار يبدو مختلفا. ولقد أشرنا إلى حجم أعمال الترميم التي أجريت على هذا المسجد. وربما يعود هذا إلى عمل متعمد أدى إلى تصدع المسجد بشكل كبير. ولا يجب ان يغيب عن أذهاننا وراية البحث عن الكنوز. وعلى الرغم من غياب كثير من الأدلة التي تساعدنا في تحديد تاريخ هذا المسجد، فاعتمادنا على ما لدينا من شواهد، ربما يساعد في هذا المجال. ونحن إذا أخذنا في الاعتبار تخطيط المسجد المائل إلى الشكل المربع، ووجود الأحجار الرومانية، رأينا بوضوح التماثل القائم بين أبي كار وبين المسجدين السابقين. ولذا فينطبق عليه ما اقترحناه بشأنهما.

وبمراجعة ما تعرض إليه البحث بخصوص بعض المساجد بوسط جبل نفوسة، يتبين لنا قد حافظت على أهم مكونات المسجد الأباضي، التي رأيناها في مساجد المنطقة الغربية من الجبل، والعائدة إلى القرون الإسلامية الأولى. ولعل من أبرزها غياب المنبر والمئذنة والنقص الشديد فيما يتعلق والمادة الزخرفية والكتابية.

وإضافة إلى ذلك، أظهرت المساجد في المنطقة الوسطى، على الرغم من عمليات الترميم العشوائية، مظهر اشد وضوحا للتأثيرات المسيحية والرومانية والمحلية. فلازالت أسماء المساجد وبعض عناصرها المعمارية تقف شاهدا على ماضي هذه المنطقة. وتشير إلى المنعطف التاريخي الذي طرأ عليها بانتشار الإسلام بين ربوعها. الأمر الذي جعلنا نشهد التأثيرات الرومانية والمسيحية والإسلامية مجتمعة في مبنى واحد. ولقد رأينا ان الأخيرة قد استوعبت الكل، وطبعته بالطابع الإسلامي، الذي يركز على جوهر المكان بالدرجة الأولى. ولعل تمسك الأباضيين الشديد بهذا الجوهر، دعاهم بحماس إلى توظيف هذا المظهر الجديد في كل مكان لا يمت إلى الإسلام بصلة. فعمدوا إلى إحالة الكنائس القديمة إلى مساجد، أو البناء على أنقاضها. كما استعملوا أحجار المباني الرومانية المتصدعة، وربما القائمة، في المباني التي تخدم أهداف هذا التوجه الجديد. ويظهر ان هذه الطفرة كانت على أشدها إبان القرن الثاني الهجري – الثامن مسيحي.

# الفصل السادس
# الكتابات الأثرية

## الفصل السادس
## الكتابات الأثرية

أتينا على بعض الكتابات الأثرية، التي عثر عليها ببعض المساجد السالفة الذكر. ولقد أرجأنا ما يتعلق بتقويمها والتعليق عليها، لتكون مركز الاهتمام في هذا الفصل. وعلى الرغم من قلة عددها، إلا إنها تمثل جانبا مهما في إلقاء الضوء على ماضي هذه المنطقة. فهي من جهة تساهم في تحديد التاريخ التقريبي للمباني ذات العلاقة، ومن جهة أخرى تبرز وجها مهما من أوجه الفن الإسلامي بجبل نفوسة.

وإنها لحقيقة معروفة ان الخط والكتابة العربية، وفقا لما وجد من كتابات نبطية، بدأ أصلا من منطقة الأنبار والحيرة. وكان دور الحجاز المتميز يتمحور حول تطوير الكتابة العربية.[336] ولقد شمل هذا التطور نوعين من الخط العربي نسب احدهما إلى المدينة، والآخر إلى مكة.[337] وفي سنة 17 هـ – 638م. أسست مدينة الكوفة في العراق، بأمر من الخلفية عمر بن الخطاب. وكان موقعها لا يبعد كثيرا عن مدينة الحيرة.

ولقد جلب العرب القادمون من المدينة نمط أسلوبهم في الخط

---

336– أنظر صلاح الدين المنجد، 19. 1.12، Etudes de paleographie Arabe , Beirut, 1972, pp

أنظر أيضا، Aida Arif, Arabic Labidary Kufic in Africa, Amman, 1966, p. 6 cf. N, Abbott The rise of noft Arabic script, Chicago, 1947, p. 6.

337– أنظر، نديم محمد بن إسحاق، كتاب الفهرست، القاهرة، 1905، ص 6–7. وأنظر أيضا المنجد، نفس المصدر، ص 23.

إلى الكوفة. وفي المدينة الأخيرة سجل الخط نقلة متميزة وتطورا ملحوظا باتجاه الدقة والإتقان. وتم تعريفه في هذه المرحلة بالخط الكوفي اليابس، تمييزا له عن الخط الكوفي المدور أو المبسوط. وبكلمات أخرى كان هو نفسه الخط المشار إليه سابقا، الذي عرف في منطقة شمال الحجاز. وكان الفارق ان الخط الكوفي كان أكثر تطورا، بحيث أمكن تمييزه عن الخطين الموجودين بمنطقة الحجاز.

ولقد كان يعيش بين العرب القاطنين بمدينة الكوفة مجموعة من (السريان)، الذين جاءوا إليها من مدينة الحيرة، والراجح ان الفنان المسلم، بحكم هذا التجاور، قد اطلع على الخط السرياني. ذلك الخط الذي تميزت حروفه وحناياه القائمة بتشكلها من شرطات قصيرة.

وكانت قد ظهرت فيما بعد في الخط الحجازي.[338] ونتيجة للتماثل بين الحجاز والكوفة في النواحي السياسية والثقافية والعسكرية، كان اثر الحجاز ماثلا في تطور الخط الكوفي، الذي انتشر في أصقاع العالم الإسلامي. ولا ننسى ان الكوفة كانت المركز الإداري لجميع المناطق المفتوحة ببلاد فارس.[339]

وإذا ما رجعنا إلى القلقشندي في هذه المسألة، وجدناه يرجع

338– أنظر خالد الجنابي، تخطيط الكوفة، بغداد، 1967، ص 26. أنظر أيضا أبوت، نفس المصدر، ص 17. أنظر أيضا عابدة عريف، نفس المصدر، ص 11–13. والقلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الاعشي في صناعة الانشأ، القاهرة، 1913، المجلد الثالث، ص 12. أنظر أيضا، حاجي خليفة، كشف الظنون ، القاهرة، 1885، المجلد الثاني، ص 355. وأنظر، البلانري، فتوح، المجلد الأول ص 471.

339– أنظر، المنجد، نفس المصدر ، ص 78.





أنواع الخط الكوفي إلى مصدرين رئيسيين. ويحددهما بالخط المكور والخط المبسوط. ويتميز الخط الأول بتدويراته وعرقاته المنحنية إلى أسفل من مستوى الكتابة. وهو الخط الذي عرف بالرقعة والثلث. والآخر عرف بالمحقق.[340] وهو يفتقر إلى المنحنيات التي تميز الخط الأول.

وهذا القول لا يحصر الخط الكوفي بذلك النوع ذي الزوايا القائمة، ولكنه يضم إليه الخط ذي الالتواءات المرنة. وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بان كلا الخطين قد تطورا أصلا من الخط النبطي. ولقد استعمل أهل الحجاز كل من الخطين في الكتابة. ولذلك فان مصطلح (الخط الكوفي) يجب إلا يفهم بأنه الخط المتميز بزوايا الحروف القائمة. وهذه الحقيقة ترسخت بالعثور على كتابة منحوتة على الحجر، يرجع تاريخها إلى العصر الأموي. ويجب ان لا يفهم من خلال هذا السرد ان الخط الكوفي شكل أرضية، أو مرحلة من مراحل ظهور خط النسخ. فمن المحتمل جدا ان يكونا متعاصرين، مع تأثر كل منهما بالآخر، إبان ما لحق بكل منهما من تطور.

وما يلاحظ هنا ان الاستعمال الواسع لخط النسخ كان في إطار كتابة المخطوطات، بينما الخط الكوفي بطبيعته ملائم للكتابة على الحجر. ولذا كان أكثر ظهورا على شواهد القبور، وعلامات الطريق وعلى العمائر بمختلف أنواعها. وكان، على أية حال، محببا للفنان المسلم، الذي استعمله على أوسع نطاق لقرون طويلة.[341]

340– القلقشندي، نفس المصدر، المجلد الثالث، ص 15.

341– المنجد، نفس المصدر، ص 114. وعايدة عريف، نفس المصدر ، ص 9، 10. وقارن، القلقشندي، نفس المصدر، المجلد الثالث، ص 15. وانظر أيضا، أبوت، نفس المصدر، ص 16.

ولا شك ان محدودية ظهور الرسوم الآدمية، بل انعدامها في القرون الإسلامية الأولى، أتاحت للفنان المسلم فرصة للإبداع في مجال الخط الكوفي المنفذ على مسطحات المباني المعمارية. الأمر الذي أدى إلى ابتداع أنواع من الخط الكوفي، في مجال تعدد الأساليب. ولقد تطورت هذه الظاهرة لتبلغ ذروة الإتقان في القرنيين الخامس – السادس الهجريين – الحادي عشر والثاني عشر مسيحيين. وبذلك أمكن للمرء ان يقول، بشيء من التحوط، ان الخط الكوفي أضحى عاملا مهما ومكونا رئيسا في وحدة الفن الإسلامي. وهذه الظاهرة يمكن مشاهدتها في كل بقعة حل بها المسلمون.[342]

ويبدو ان هذه الأنواع من أساليب الخط الكوفي، خاصة الكوفي المورق والمزهر، وفرت مجالا واسعا للمناقشات والتحليل. فقرومان (Grohman) مثلا[343]، يقسم الخط إلى ثمانية أقسام. ويعددها كالتالي: الخط الكوفي البدائي البسيط، الكوفي ذو النهايات المزينة، الكوفي المورق، الكوفي المزهر، الكوفي المطرز أو المتداخل، الكوفي المؤطر، الكوفي المعماري، والكوفي المستطيل.

ويظن ان الخط الكوفي المزهر، الذي أعجب به (قرومان) أصبح معروفا لدى الباحثين عن طريق (Chardin) في الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري – التاسع عشر مسيحي .ولقد كان هذا الأمر مرتبط بالعثور على كتابتين كوفيتين في إيران يرجع تاريخها

342– أنظـــر، G. Marcais, Manuel d'art Musulman, Paris. 1927. P –71. S. Flury, Une Formule Enigraphique de la Ceramique Cer-chaiquede l'islam, paris, 1927. p 253.Reprodueed by Grohmann in A, O, VOL, II, P, 184.

343– Grohamann, The Origin and early development of flo- riated Kufic, A-O, VOL, II, 1957 p. 183 cf. Flury Ornamentol Kufic inscriptions on pottery in survey of Persian Art. p- 1743.





إلى سنة348 هـــ – 959م، وسنة 392 هـــ– 1004م.[344] ولقد ميز (قرومان) الكوفي المورق بالزخرفة الورقية لأطراف الحروف، مع ظهور شق واحد للورقة النخيلية، أو الأوراق المائلة. وكذلك تزيين نهايات أطراف الأحرف، التي تمتد أحيانا لتصل إلى بعضها بالبعض الآخر.

وأما فيما يتعلق بالخط الكوفي المزهر، فيتميز بظهور العناصر الممثلة للأزهار، إضافة إلى احتفاظه بمواصفات الخط الكوفي في المورق، لذا كان مصطلح (الارابيسك) معبر عن الزخرفة التي صاحبت الخط الكوفي المزهر. [345]و لقد كان ج.مارسي (Marcais) ومارسي (W. Marcais) أول من تناول مسألة الخط الكوفي المورق .وقد توصلا إلى ان الخط الكوفي اليابس ظهر لأول مرة في تونس سنة 341 هـــ – 844م. ثم انتقل إلى مصر فيما بعد. كما يضيفان بأن الكتابات التونسية الكوفية عادة تتميز بشكلها المتقن الجذاب. ولكن المزهر أكثر جمالا.[346]

ولم ينقض كثير من الوقت حتى ظهرت نظرية أخرى، بعد الكشف عن شاهد قبر بسمرقند، المؤرخ بسنة 230هـــ – 844م.[347] ولقد أدت هذه النظرية إلى الاعتقاد بان الخط الكوفي

344– عايدة عريف، نفس المصدر، ص 24. وقارن، Chardin, Voyage en Perse, Amsterdam. 1711, VOL, III, P.118.

345– قرومان، نفس المصدر، المجلد الثاني، ص 183. وقارن، Flury, Survey, P, 174.

346 – أنظـــر، W. and G.Marcais, de monuments arabes de Tim- cen, paris, 1903, pp, 87,88. Grohmann, A-O, VOL, II, p. 184.

347– قرومان، نفس المصدر، المجلد الثاني، لوحة (1)، شـــكل (1)، أنظر أيضا، عايدة عريف، نفس المصدر، ص 26، 27.

المزهر جاء إلى مصر من الشرق. ولكن كاراباك( J. Karaback) وهرزلد (Herzeld) عارضا هذه النظرية بقولهما ان حجر سمرقند كان مجرد نسخه لأصل يحمل تاريخ سنة 230 هـ – 844م، وان الكتابة متطابقة مع ما وجد على شاهد قبر آخر، يعود تاريخه إلى سنة 541هـ – 1146م.[348] وهو ما كان مثار اهتمام وكتابة من قبل (Hartnan) هارتمان.

والحقيقة انه عند مقارنة شاهد قبر سمرقند بمثيله الذي ينسب إلى القيروان ،يتجلى لنا ما ذهب إليه كل من كارباك وهرزلد. فالكتابة على شاهد سمرقند اقرب إلى النسخ منه إلى الخط الكوفي.

ويعتقد (قرومان) ان أهم الخطوات ،التي وصلت بالخط الكوفي المزهر إلى مستوى عال من الجودة ،قد تمت بمصر .ويدعم هذا الرأي بمسجد الحاكم ،الذي يعود تاريخه إلى سنة393 هـ – 1003م.و هذا الأمر لا ينفي إدخال تحسينات جديدة في البلدان المجاورة، مثل فلسطين، كذلك في منطقة الحجاز.[349] أما أحسن الأمثلة عليه فتمثل في الكتابة الموجودة على باب تونس بالقيروان، والذي يعود تاريخه إلى سنة 437هـ – 1045م.[350]

وإن الشواهد تجعلنا نميل إلى ما ذهب إليه (قرومان) فيما يتعلق والدور المصري في تطوير الخط الكوفي المزهر. وفي ذات الوقت لا نختلف مع آراء عايدة عارف التي تقول بان العرب فتحوا بلاد ما بين النهرين، إيران، وسوريا، ومصر، وشمال أفريقيا في وقت واحد،

348– قرومان، الفنون الشرقية، المجلد الثاني، ص 185.

349– المصدر السابق، ص 206. أنظر أيضا، E.Kunnel, Islamiche Schi–riftkunst, Paris, 192–p. 14.

350– قرومان، الفنون الشرقية، المجلد الثاني، ص 209. شكل (23).





ولذا فهي قد عزت هذا التطور إلى التأثر بالأسلوب الفني الفارسي والبزنطي والهيلينتي والقبطي. وهو ما كان سائدا بهذه البلدان. وهو أيضا ما نرى تأثيرا له في الخط الكوفي. وتضيف ان الخط الكوفي قد تطور في كل من البلاد المذكورة في عزلة تامة تقريبا. ولم يكن التأثير فيما بينها إلا ضئيلا جدا. ولا يمكن أيضا نسبة هذا التطور. فيما يتعلق والمكونات الرئيسية للخط الكوفي، إلى فنان بعينه، أو إلى جيل بتعيينه، أو إلى فترة قصيرة من الزمن، أو إلى بلد بالتحديد.[351]

ان الغرض من هذا السرد المتعلق بالخط الكوفي وأساليبه، هو تحديد الإطار، الذي سنرجع إليه في تصنيف الكتابات الكوفية، التي عثر عليها بمنطقة جبل نفوسة. ونأمل من خلال المناقشة تسليط بعض الضوء أولا، على ما يتعلق بهذا الجانب الفني، ثانيا على التاريخ الغامض للمباني التي وجدت بها هذه الكتابات. ونأمل ان ينتج هذا التوجه ما يدعم الآراء التي حررناها في الفصول السابقة، وصولا إلى معرفة اكبر بماضي منطقة جبل نفوسة، اعتمادا على الأدلة التاريخية الأثرية.

ولقد تبنينا عند مناقشتنا لبعض المباني الأثرية الإسلامية – نسقاً يتمشى والمعطيات الجغرافية لهذه المنطقة، تيسيرا للقارئ، وتوضيحا أفضل لرصد المواقع الأثرية ذات العلاقة إما ما يتعلق بهذا الفصل، فلقد رأينا التطرق إلى الكتابات الأثرية وفقا لأهميتها وتسلسلها الزمني.

### كتابات مسجد شروس:

1– وجدت هذه الكتابة على ثلاثة قطع من الحجر، بأعلى

351– عايدة عريف، نفس المصدر، ص 28–9.

العقد الموجود بالجدار الفاصل. ويبلغ مقاسها التقريبي 28×32 سم (أنظر شكل 209). ويحتوي الحجر، الذي على يمين الناظر، على خمسة اسطر من الكتابة. وتقرأ على النحو التالي:

**«(أشهد) أ (ن) لا إله إلا الله وأن محمد (ا) عبد (ه) ورسوله وما جاء به حق»**

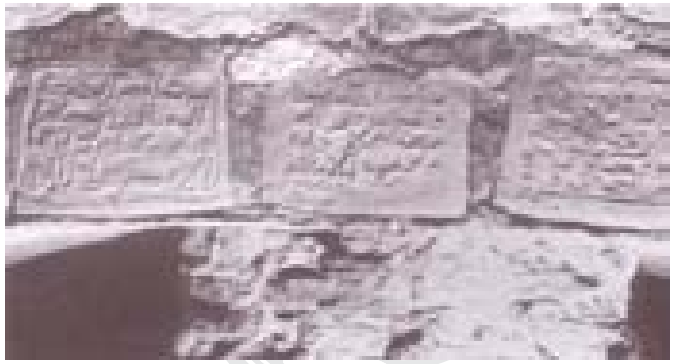

شكل 209 كتابة أثرية وجدت مقابل محراب مسجد شروس في الرواق الأول

وتشكل الأسطر الأربعة الأولى كلمتي الشهادة. وهذه العبارة إضافة إلى ظهورها بالعمائر الدينية، شاع نقشها على العملة في القرون الأولى للإسلام. وأما ما جاء في السطر الخامس، فهو يشير إلى كتاب الله تعالى، القرآن الكريم. وتتضمن العبارة الإشارة إلى سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وسنته ما صح عنه من قول وعمل وتقرير. واتفق أهل العلم، اعتماد على كثير من الآيات القرآنية، على سنته واجبة الإتباع.

ويحتوي الحجر الأوسط على أربعة اسطر. وتقرأ:





**«ما (شاء) الله قضا و(.....) من الله قسم ولا (حول) ولا قوة إلا بالله»**

ويلاحظ هنا ان الحجر قد تعرض لبعض التلف، بحيث أصبح من الصعوبة قراءة الكلمات. والعبارة كلها اقتباس غير كامل للقول الحكيم المأثور: ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وهو جزء من حديث لرسول الله، صلى الله عليه وسلم. والكتابة بشكلها الحالي تطرح أسئلة بخصوص فقه المؤلف ولمنفذ لهذه العبارة وإمكاناتهما اللغوية. والعبارة بشكلها المقتبس الصحيح رأيناها بالجامع الكبير بتونس.[352] كما وجدت على عمله بني زيان الذهبية في تلمسان بالجزائر.[353]

وأما بالنسبة للكتابة على اليسار، فتقرأ:

**«وقالو (ا) الحمد لله الذي صدقنا وعده وأو (ر) ثنا الأرض نتبوأ من الجنة»**

(سورة الزمر الآية 71)

ظاهر معنى الآية الكريمة فرح المؤمنين في الحياة الآخرة بما منّ الله عليهم من النعم، حيث أبدلهم، بالحياة الدنيا الجنة،التي تعجز الكلمات والأفكار والتصورات عن وصفها. ولكننا نستشف من ظهورها في شروس رسالة مبطنة وموجهة لأولئك الذين لم يعتنقوا الدين الإسلامي. وسيأتي في الصفحات التالية ما يدعم الرأي.

352– أنظـــر، B.Roy and p.poinssot, Inscriptions arabes de Kai-rouan, Paris, 1950, pp. 12,47.

353– H.Hazard, The Numisatic history of late medieral North Africa, New york. 1952. p 184.

هذه الكتابة الأولى بإمكاننا تصنيفها ضمن أسلوب الخط الكوفي البسيط. وهي تتماثل مع ما وجد على شاهد قبر، محفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة. ويحمل رقم 377/2721. ويرجع تاريخه إلى سنة 272هـ – 880م.[354] ويظهر التماثل الكبير في كتابة الحروف : هـ، ج، خ، د، ر، و، م، وكلمة الله.

2– نرى أيضا أسفل الكتابة رقم (1) هذه الكتابة بالجدار الفاصل، على واجهة عقد صغير، مشيد من الأحجار جيدة القطع. وتبلغ قاعدة الحجر ،الذي يشكل مفتاح العقد حوالي 32 سم، وارتفاعه حوالي 62 سم. وتظهر عليه وحدة زخرفية، تتكون من زهرة مفصصة، يحيطها عدد من الأقراص الصغيرة. كما يكتنفها على الجانبين إطار دائري. وتتأطر كامل الوحدة الزخرفية بمحيط من العقود والحبيبات (أنظر شكل 210) وتبدو الكتابة الكوفية منحوتة في أعلى الحجر، الذي يكون مفتاح العقد. ويلاحظ ان الكلمة الأخيرة في كل من السطر الأول والثاني قد تعرضت للتلف. وهذه الكتابة تتكون من ثلاثة اسطر. وتقرأ على النحو التالي:

**«(قولوا) آمنا بالله وما انزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل (وإسحاق) ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من (ربهم) لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»** (سورة البقرة الآية 136).

ويتضح من معاني هذه الآية الكريمة توضيح عقيدة المسلمين الإيمانية، فيما يتعلق بالرسل والأنبياء والرسالات السماوية. ونفهم

354– M.Gaston wiet, Gataloque due Musee Arabe Steles Fu-neraires, Cairo, 1936. vol, IV, pl. 1 no 1201.





أيضا من خلال وجودها بشروس إشارة إلى الموقف الفكري والعقدي للمسلمين، الذين يتعايشون في مجتمع مع الآخرين، الذين يعتنقون ديانة مخالفة. ويطرحون في الوسط الاجتماعي ما يشكل قضية فكرية و

شكل 210 كتابة أثرية وجدت مقابل بالجدار الفاصل بمسجد شروس

وأما فيما يتعلق بأسلوب الخط في هذه الكتابة، فهو يخضع لمصطلح، الخط الكوفي المعماري، الذي انتشر إبان القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي، على وفي العمائر الإسلامية.

ويمكن مقارنة كتابة شروس هذه بكتابة وجدت بمقياس الروضة لنهر النيل بمصر. والأخيرة يعود تاريخها إلى سنة 247هـ– 861م.[355] ويتبين للوهلة الأولى قدر التماثل بينها وبين الكتابة، التي عثر عليها بمسجد (الثلاثة بيبان) بالقيروان.[356] وكتابة القيروان هذه يعود تاريخها إلى سنة 252هـ– 866م. وهذا التماثل يصل إلى الحد،

355– كرزويل ، نفس المصدر، المجلد الثاني، اللوحتين، 80، 81.

356– المصدر السابق، اللوحة، 39.

الذي يصعب فيه تبين الفراق، إلا لذوي الاختصاص في هذا المجال.

وحالة مقارنة الكتابتين بكتابة شروس يتضح بجلاء مقدار التماثل في أسلوب الخط الكوفي، الذي يشكل القاسم المشترك بينها جميعا. وهذا ما يجعلنا نقرر باطمئنان ان تاريخ كتابة شروس يعود إلى المنتصف الأخير من القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي.

3– وجدت هذه الكتابة على الجدار، بالرواق الأوسط للمسجد. وهي لا تبعد عن الكتابة السابقة إلا بأمتار قليلة، إلى جهة الشمال الشرقي منها. ولقد نحتت هذه الكتابة على حجر يبلغ مقاسه التقريبي حوالي 46×36 سم.. ويرى على يمين الكتابة زخرفة تمثل أشكالا لعقود تعريقات نباتية خالية من الأوراق.

وعلى الرغم من ان الجزء العلوي لهذا الحجر قد تعرض للتلف، فانه لحسن الحظ لم يصل تأثيره إلى الكتابة ذاتها. وثمة أيضا إطار مزخرف يحيط بهذه الكتابة. وتمثل الوحدة الزخرفية بأعلى الحجر وأسفله عناصر هندسية على شكل خطوط متكسرة (أنظر شكل 211). وتتكون هذه الكتابة من ثلاثة أسطر، تقرأ:

**«رضينا بالله (ا) الذي ليس كمثله ربا وبالإسلام الذي لا يقبل غيره دينا»**

وهذه الكتابة تستبطن مرة أخرى الإشارة إلى التركيبة السكانية لقرية شروس، واختلاف النحل بين قاطنيها. ولعلها تمثل خاتمة للجدل والحوار، الذي ولا شك انه كان واقعا معاشا في حقبة من الماضي البعيد. ويبدو من خلال تداعي هذه المعاني للكلمات المكتوبة، ان حجرا آخر يحمل عبارة : وبمحمد رسولا، قد ضاع بين





الأنقاض. وذلك ان هذه العبارة المكتوبة مقتبسة بكاملها، وتنقصها الجملة الأخيرة.

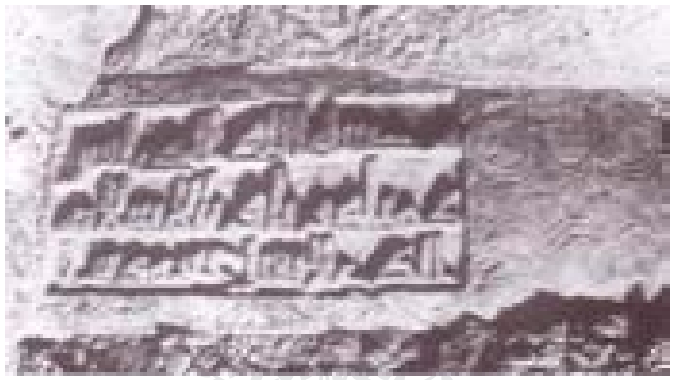

شكل 211 كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

ويبدو ان أسلوب الخط في هذه الكتابة– هو الآخر– ينتمي إلى أسلوب الخط الكوفي المعماري. وينطبق عليهما التعقب الذي صدر بخصوص الكتابة رقم (2). والفارق الوحيد ان هذه الكتابة أكبر حجما.

ولا يفوتنا هنا ان نشير إلى ان الرواق المحادي للرواق الأوسط، باتجاه الشمال الغربي، يتميز عن بقية الأروقة بثرائه المتعلق بكثرة الكتابات. وأربع من هذه الكتابات عثر عليها بأعلى العقد المقابل للمحراب. ووضعيتها مماثلة للكتابة رقم (1). وفيما يلي مناقشة لهذه الكتابة، مع الأخذ في الاعتبار، التسلسل في الحديث عنها، بدأ من اليمين إلى اليسار، عند مواجهتنا لهذه الكتابات.

4– هذه الكتابة – كما هي أغلب الكتابات بالمسجد –

منحوتة في الحجر. ويبلغ مقاسها حوالي 31×34 سم. ويحيط بالكتابة إطار مزخرف بشرطات صغيرة (أنظر شكل 212) وتتكون الكتابة من أربعة أسطر:

**«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد (ا) عبده ورسوله»**

وهذه العبارة التي تشير إلى التوحيد ومن جاء به، تصب في نفس المعنى الذي اشرنا إليه آنفا. وللمرء ان يجتهد في تفسير معنى هذا التكرار لهذا الموقف الذي لا يستدعيه ضرورة في المسجد.

5- هذه الكتابة منحوتة على حجر مستطيل، يبلغ مقاسه التقريبي حوالي 49×32 سم.. وبالإضافة إلى إطاره المزخرف بالشرطات الصغيرة، هناك خمسة من الكتابة (أنظر شكل 213)

**«يا أيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»**

(سورة آل عمران، الآية 200)

ولعل التبرير التاريخي لوجود هذه الكتابة هو ارتباطها بالمحنة، التي تعرض لها أهالي نفوسة في معركة (مانو) في أواخر القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. وأما فيما يتعلق بأسلوب خطها الكوفي، والكتابة التي سبقتها فبإمكاننا تصنيفها ضمن الخط الكوفي البسيط. ويظهر هنا تأثير خط النسخ، وخاصة في كتابة حرف (النون). كما يمكن نسبتها إلى عمل فنان واحد، لما بينهما من التطابق. ويجب التنويه على جودة الكتابة مقارنة بالكتابة رقم (1)، وخلوها من الأخطاء اللغوية كما هو بين في الكتابة رقم (1).





وهذا الاختلاف البين الواضح في الكتابة ذاتها وأسلوب خطها، لا يعني فقط اشتراك أكثر من فنان في نحت الكتابات، بل يتجاوز ذلك إلى احتمال تحديد تواريخ مختلفة لهذه الكتابات. وبعبارة أخرى، تبدو الكتابة رقم (1) مثلا، أقدم عهدا.

شكل 212 كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

وثمة أيضا ما يثير الانتباه عندما نتمعن في الكتابتين رقم (4) ورقم (5). (أنظر شكل 212، 213). فكلتاهما قريبة التماثل مع كتابة وجدت على شاهد قبر محفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة.

وهو مسجل تحت رقم 7206. يرجع تاريخه إلى سنة 289 هـ– 902م.[357] ويزداد مظهر التماثل هذا، عندما نقارن كتابة حرفي الألف والهاء، وكلمة الله، في كل منهما. ولا جدال حول ان الكتابة على شاهد القبر أكثر تنظيما ودقة. ولكن الأسلوب مشترك في الكتابتين.

شكل 213 كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

357– قبيت، نفس المصدر، المجلد الثاني، اللوحة، 29.





6- هذه الكتابة منحوتة على حجر شبه مستطيل. ويبلغ مقاسه حوالي 34×29 سم .. وهي كمثيلاتها محاطة بإطار بسيط، ولكنه خال من الزخرفة (أنظر شكل 214). وتتكون الكتابة من أربعة أسطر، تقرأ على النحو التالي:

**«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما جاء به حق»**

هذه العبارة مكررة. ولا حاجة لنا هنا في التعليق (أنظر شكل 214). ولكن وجودها يدعم بشكل اكبر ما ذهبنا إليه بشان الوضع الاجتماعي لقرية شروس (أنظر شكل 209). أما ما نضيفه هنا فهو تقطيع الكلمة الواحدة بين سطرين. وهذا لا يظهر إلا نادرا في الكتابات الأثرية. وان دل هذا على شيء فهو يدل على عدم التخطيط المحكم قبل نحت الكتابة.

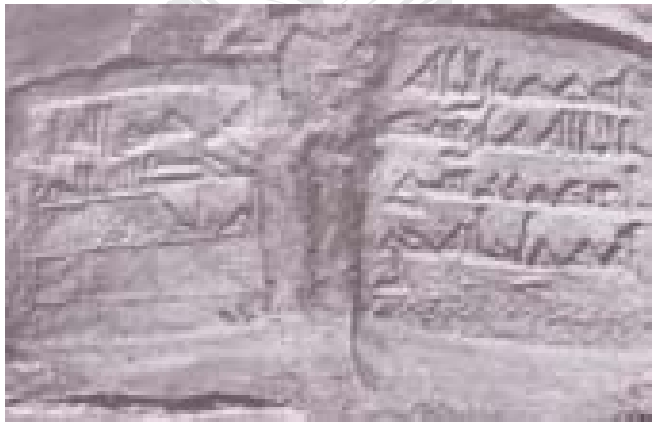

شكل 214 كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

وأسلوب الخط في هذه الكتابة الكوفية، ينسجم مع أسلوب الكتابة رقم (2)، (أنظر شكل 210). وهذا الأسلوب يعد تقليدا للخط المعماري الكوفي، الذي أسلفنا القول عنه بأنه ساد في القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. كما يتضح ان تأثير خط النسخ جلي في حرف (النون).

7- وهذه هي الكتابة الأخيرة الموجودة على هذا العقد. وهي منحوتة على قطعة حجر مربع الشكل تقريبا. ويبلغ مقاسه حوالي 32×30 سم. ويحيط بالكتابة إطار خال من الزخرفة. ويلاحظ ان النصف الأخير من السطر الثالث لم ينحت مطلقا، وان الفراغ الذي تركه الفنان للسطر لم يكن في حاجة إليه. وهذا ما يؤكد تنوع الفنانين واختلاف إمكاناتهم.

وتتكون الكتابة هنا من ثلاثة أسطر:

**«قل هو الله أ**

**حد الله الصمد**

**لم يلد ولم (يولد)»**

(سورة الإخلاص، الآيتان، 1، 3)

ويبدو أن الفنان كان ينوي كتابة سورة الإخلاص كاملة، ولكنه لم يفعل لضيق المساحة. وأما ما يدخل ضمن المعنى الاشاري لوجود هذه السورة بالذات، هو إعلان وتوضيح موقف المسلمين العقدي، تجاه ما تدعيه الطوائف الأخرى، التي عايشتهم – لوقت ما بقرية شروس القديمة. وربما ينسحب هذا الموقف على جبل نفوسة بكامله.





ويتبين في هذه الكتابة أسلوب الخط الكوفي البسيط. وما تجب الإشارة إليه هنا، هو اختلاف أحجام الكلمات. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنها ليست من عمل فنان محترف. ومما يدعم هذا الرأي عدم التقدير الجيد لشغل الفراغ. وهذا مخالف لما عرف به الفن الإسلامي، الذي التصق بفنانيه مصطلح الخوف من الفراغ.

وإذا ما نظرنا بعين المنطق إلى وضعية هذه الكتابة وأخواتها، وجدنا إنها لا تنتمي إلى أماكنها الأصلية. وهذا القول يشمل كل الكتابات بالمسجد، باستثناء واحدة منها. ونحن لا نشك في نسبة هذه الوضعية إلى أعمال الترميم، التي أجريت بهذا المبنى. وفي الوقت الذي يأسف فيه المرء على عدم إعادة هذه الأحجار المكتوبة إلى أماكنها الأصلية، ليحفظ لأولئك المرممين بالشكر لمجرد المحافظة عليها.

8– توجد في الشمال الشرقي للمسجد حجرة صغيرة. ويفتح مدخلها الواقع في الجدار الجنوبي الشرقي، على قاعة الصلاة (أنظر شكل 113). ونرى عند مواجهة هذا المدخل قطعة من الحجر، مثبتة على الحائط، على ارتفاع حوالي 2.20م من مستوى أرضية المسجد. ويبلغ مقاس هذا الحجر حوالي 42×40 سم.. (أنظر شكل 215) وهذه الكتابة المحاطة بإطار تتكون من أربعة أسطر.

**«(الإسلام) ديننا**

**ومحمد نبينا**

**والقرآن إمامنا**

**والسنة طريقنا»**

هذه الكتابة تصب بدلالتها الاجتماعية في دائرة مخاطبة

الآخر، الذي يملك خطابا مغايرا. ولكن ما يجب التوقف عنده هو الجملة الأخيرة، التي يحدد فيها الأباضيون إتباعهم للسنة. وفي هذا رد على من يحسبهم على طائفة الخوارج. ولقد جاء ذكر هذا في المصادر التاريخية والجغرافية التي أتينا على ذكرها فيما سبق.

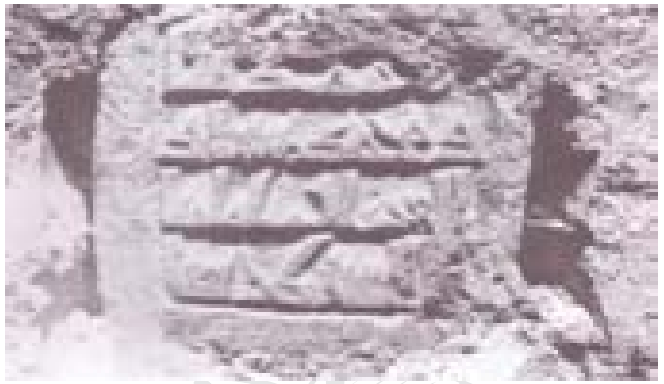

شكل 215 كتابة أثرية وجدت بمسجد شروس

ويتصف أسلوب هذه الكتابة ضمن تقليد الخط الكوفي المعماري. وهذه الكتابة متماثلة مع الكتابة رقم (2). وينطبق عليها ما قيل بخصوص الكتابة الأولى، أي الكتابة رقم (2).[358]

9- تعتبر هذه الكتابة أكثر الكتابات طولا بالمسجد. وتقع على جدار القبلة، أعلى المحراب. وهي منحوتة على حجر مستطيل، يقدر مقاسه بحوالي 89×79.. ويلاحظ ان الجزء السلفي من الحجر قد أصابه التلف. وان الإطار الذي يحيط بالكتابة خال من الزخرفة (نظر شكل 216). ويتكون الكتابة من سبعة اسطر .

358- وللمقارنة أنظر الشكل، 210.





و تقرأ الكتابة من السطر الثالث إلى السابع على النحو التالي:

**«ربي اجعلني مقيم الصلاة ومن**
**ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا**
**إغفر لي ولوالدي وللمؤمنين**
**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**
**وهب لنا من لدنك رحمه»**

(سورة إبراهيم، الآية 40، سورة آل عمران، الآية 8)

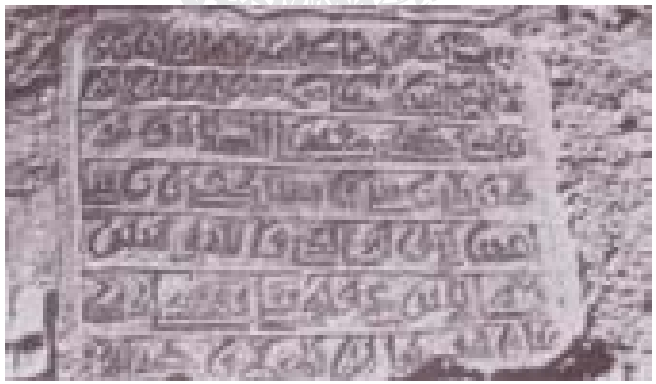

شكل 216 كتابة أثرية وجدت على محراب مسجد شروس

ويبتدئ السطر الأول بدعاء أيضا. والاحتمال انه اقتباس من القرآن الكريم. والكلمات الأولى تقرأ: رب اجعل هذا. وبقية الكلمات في هذا السطر والسطر الذي يليه غير ميسرة للقراءة. ونحن لا ندري كم من الأسطر المكتوبة قد ضاعت، نتيجة للتلف، الذي

أصاب الجزء السفلي من الحجر (أنظر شكل 216).

تنسب هذه الكتابة إلى أسلوب الخط الكوفي البسيط. وثمة هنا ما يدلل على ما اشرنا إليه سابقا من تأثير الخطين، النسخ والكوفي على بعضهما. فأثر خط النسخ على هذه الكتابة ذات الخط الكوفي، واضح في الحروف التالية:

الراء، الزاء، النون، والواو (أنظر شكل 216).

ويبدو ان هذه الظاهرة قد سادت لفترة إبان القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. ولقد كانت في ذات الوقت إرهاصا يؤسس لبداية ظهور الخط الكوفي المورق. وهذه الكتابة ومثيلاتها لا ترقى إلى المستوى، الذي نفذت به الزخارف في هذا المسجد. وهذا ما يدلل على ان الكتابات أقدم عهدا منها.

وسعيا نحو تحديد أكثر دقة لتاريخ كتابة شروس، نستشهد – للمقارنة – بشاهد القبر المحفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة. ويحمل رقم 8381. وهو مؤرخ بسنة 251هـ – 865م.[359] وعلى الرغم من رؤية التماثل بين الكتابتين، فإننا نلحظ تميز كتابة شاهد القبر بدقة الكتابة وتنظيمها. ويلاحظ أيضا، الظهور المتواضع لإرهاصات الخط الكوفي المورق في كتابة شاهد القبر .

وإذا قارنا كتابة شروس بشاهد قبر آخر بنفس المتحف، يحمل رقم 12607، وهو مؤرخ بسنة 317هـ – 930م،[360] رأينا ان وجه التماثل شديد الوضوح. وتبين لنا ان ما يشكل الامتداد في أطراف الحروف، مثل الياء المعرقة والنون، التي تمتد نهايتها أسفل الكلمات، متطابق في النصين.

359– فييت، نفس المصدر، المجلد، الثاني، اللوحة،L.II

360– المصدر السابق، المجلد الخامس، اللوحة (1).





وإذا حصرنا النظر على الكتابات التي ضمنها مسجد شروس، يتبين لنا الفروقات في أسلوب الخط، مع تصنيفها جميعا تحت عنوان أسلوب الخط الكوفي. وأما فيما يتعلق بتنفيذ هذه الكتابات فيظهر الفارق أكثر وضوحا. وهذه الملاحظات هي التي نعتمدها في القول باختلاف تاريخ هذه الكتابات، واختلاف أولئك المسئولين على تنفيذها.

10– اشرنا إلى ان لمسجد شروس في الوقت الحالي مدخلان. أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي، والآخر في الجدار الجنوبي الغربي. ويغطي الجزء الأعلى في الأخير عقد حجري مغلق على شكل نصف دائري. أما الحجر في حد ذاته فذو شكل شبه مستطيل. ويبلغ طول قاعدته حوالي 74 سم، بينما يبلغ ارتفاعه حوالي 83 سم (أنظر شكل 217).

شكل 217 كتابة كوفية وجدت بمسجد شروس

وتظهر على واجهة هذا العقد، من خارج المسجد، ثلاثة اسطر من الكتابة الكوفية المتأثرة بخط النسخ في العديد من الحروف. وتقرأ:

**«لا اله إلا الله وحده لا شريك له**
**محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين**

**الحق ليظهره»**

يمثل السطر الأول شهادة التوحيد. وأما السطران الآخران، منهما جزء من الآية الكريمة رقم **33** من سورة التوبة. وأما بقية الآية فهي: «على الدين كله ولو كره المشركون». وهذه الكتابة الأخيرة التي نتطرق إليها في مسجد شروس تؤكد – كما هي اغلب الكتابات بهذا المسجد – إعلان الموقف العقدي في مواجهة تيارات دينية وفكرية، وأما أسلوب الخط فيمكن مقارنته مع ما وجد في قرطبة والزهراء.[361]

## الكتابات الأثرية بقرية أبناين

11– وجدت الزخارف والكتابات بمسجد أبناين على ثمانية قطع حجرية تكتنف المحراب، أربعة من كل جهة. وهذه الأحجار ذات الشكل المربع يقدر مقاسها بحوالي 32×32 سم. وبمواجهة المحراب، تبدو لنا على اليمين، على الحجر الثاني من الأعلى، تلك الكتابة الكوفية المتميزة بالإتقان، مقارنة بما عثر عليه في مسجد شروس من الكتابات. وهذا ما يطرح التساؤل حول تاريخ الكتابة في كل من المسجدين، إضافة إلى المستوى الذي كان عليه الفنانون في كل من الموقعين.

361– وللمقارنة بكتابة شروس أنظر،
J.Bekwith, Czaskets From Cordoba, London 1960–pls. 6–8–9–10–12–18.





وأما الزخرفة فتتكون من وحدة فنية، تضم أربعة عقود. ويشغل المركز زهرة ذات ثمانية فصوص. ويظهر بين هذه الفصوص الزخارف النباتية. ويحتوي الشكل الدائري، الذي يحيط بهذه الوحدة الزخرفية، على حبيبات متتابعة (أنظر شكل 218) وأما الدائرة الخارجية فتشغلها كتابة تقرأ كالتالي:

**«شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو»** ( سورة آل عمران، الآية 18)

شكل 218 كتابة كوفية وجدت على محراب مسجد أبناين

ان ما يميز هذه الكتابة الكوفية، ويكسبها أهمية كبرى، نسبتها إلى الخط الكوفي المورق. إضافة إلى إنها المثل الوحيد لهذا الأسلوب من الخط الكوفي من بين الكتابات التي عثر عليها بجبل نفوسة. وهذا النمط من الخط الكوفي عثر على نماذج منه في شرق البلاد[362] كما وجد على بعض شواهد القبور. ويبدو ان العنصر الورقي الذي يزين نهايات الحروف أكثر قربا من الطبيعة، وأكثر تنسيقا إذا ما قورن بكتابة ابناين.

12- وبمواجهة المحراب أيضا، توجد أربعة أحجار مزخرفة، على اليسار. وتتكون الزخرفة، التي تشغل سطح الحجر الثاني، من الأعلى، على دائرتين. وتحتوي الدائرة الداخلية على خطين متقاطعين يقسمانها إلى أربعة أجزاء. وتظهر الزخرفة متطابقة في كل جزئين متقابلين. وتتكون الوحدات الزخرفية في الأغلب الأعم من عناصر نباتية وتعريقات. ويتمثل اغلبها في عنصر الورقة النخلية. وأما الدائرة الخارجية فتشغلها كتابة كوفية، كما هو الوضع في الجهة الأخرى من المحراب.

وتقرأ الكتابة على النحو التالي:

**«بركة من الله لمن آمن بأمان الله وليه»**

وعلى الرغم من ان هذه الكتابة تصنف في قائمة أسلوب الخط الكوفي البسيط، إلا ان إنها تتداخل مع خط النسخ. ويتمثل هذا في حروف الراء، والواو، الميم، والنون. وهذه الكتابة تتشابه كثيرا مع الكتابة رقم (9) العائد إلى شروس. ولذا لا حاجة لتكرار ما ذكر

362- أنظر، س بالحاج، Libya Antiqua، المجلد الخامس، 1968.، اللوحات، LXXXVIII، الأشكال، B، LXXXVشكل B.





(أنظر شكل 216).

شكل 219 كتابة كوفية وجدت على محراب مسجد أبناين

## الكتابة الأثرية بتنومايت

13- ينفرد مسجد تنومايت من بين مساجد الجبل باحتفاظه بطابعه الأصلي. وربما يعود هذا بالدرجة الأولى إلى بنائه في باطن الأرض، مما جنبه التعرض لمظاهر التصدع، التي عانت منها مباني

الجبل القديمة كلها. والأمر الآخر يتمحور حول عدم وجود ما يلفت النظر إليه. بحيث يكون عرضه لأولئك الذين يبحثون عن الكنوز، كما شاهدنا من آثار تشير إلى وجود هذه الظاهرة في وقت من الأوقات.

شكل 220 كتابة كوفية وجدت على مدخل مسجد تنومايت القديم

ولقد وجدت كتابة على الحجر الموجود على مدخل المسجد. ويبلغ طول قاعدة هذا الحجر حوالي 90 سم، وارتفاعه حوالي 60 سم (أنظر شكل 220). وتظهر على هذا الحجر سبعة أسطر من الكتابة. وتقرأ:

**«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**
**أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**
**وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل**
**لي من لدنك وليا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**





**بنيت في شهر رمضان في سنة أربع وخمسين وأربع**
**مائة وبناها من أراد ثوابته في الدنيتا والآخرة**
**كتبه عبد الملك بن يعقوب النفوسي».**

**السطر الأول اقتباس من القرآن الكريم. سورة التوبة، الآية 18.**

**السطر الثاني اقتباس من القرآن الكريم. سورة المؤمنون، الآية 1، 2.**

**السطر الثالث والرابع اقتباس من القرآن. سورة الإسراء الآية 80.**

تعتبر هذه الكتابة حتى الآن المثل الوحيد القديم المؤرخ، الذي عثر عليه بمنطقة جبل نفوسة. وهي تعود إلى القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي. وتبدو كتابة تنومايت أكثر تشويقا من مثيلاتها. وعلى العموم، فان حرفي الألف اللام بهذه الكتابة يتميزان بشكل يشبه رأس السهم المشقوق في نهاية الحرفين المذكورين. وربما يعود هذا إلى نوع الآلة، التي استعملها الفنان للكتابة، أو ربما تكون تنميقا لها. وما عدا هذه الظاهرة التي تنسب إلى أسلوب الخط الكوفي المورق، فبقية الكتابة تتصنف في قائمة الخط الكوفي البسيط. ولكنه ليس الخط الذي رأيناه في الأمثلة السابقة. فتأثير أسلوب الخط المغربي الذي استعمل في كتابة المخطوطات، يظهر جليا بهذه الكتابة. وهذا مما يزيد من أهمية كتابة تنومايت، التي لم يماثلها أي من الكتابات الأثرية، التي عثر عليها بليبيا. ومن المحتمل ان الخط الكوفي المعماري التأثر بأسلوب الخط المغربي قد ظهر لأول مرة في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر مسيحي. ومن المؤكد انه لم يظهر على العمائر الأثرية في شرق العالم الإسلامي .

وجدير بالذكر انه عندما قورنت كتابة تنومايت بكتابة

وجدت على شاهد قبر، محفوظ بالمتحف الإسلامي بالقاهرة، يحمل رقم 1216، ومؤرخ بسنة 322 هـ – 934م، رصد التماثل بينهما في طريقة نحت الحروف.

وأما الفارق فيتمحور حول تميز كتابة تنومايت، وتأثرها بطابع الخط المغربي.[363] ويظهر هذا واضحا في حرفي القاف والكاف. وثمة شاهد قبر آخر بنفس المتحف. ويحمل رقم 3710، بتاريخ سنة 412هـ – 1021م.[364] ونرى عند مقارنته بكتابة تنومايت اشتراكه معها إلى حد ما في نمط الكتابة. ولكن يغيب عنه التأثر ببعض ملامح الخط المغربي.

ولقد رأينا في الكتابات 9، 11، 12، إن حرف الألف يتميز في أعلاه بإنحاء بسيط. وهذه الظاهرة ملمح وظفه خط النسخ أصلا بقصد الزخرفة. وانه لمن المناسب هنا ان نشير إلى ان الألف في كتابة مقياس الروضة بالقاهرة، والمؤرخ بسنة 247 هـ – 861م، يملك نفس الانحناء.[365]

ويبدو ان هذا الشكل لا يظهر كثيرا في الجانب الأيسر. وتكثر ملاحظته في الجانب الآخر منه. ويبدو انه قد استمر حضوره في الكتابة، مع شيء من التطور وقتا طويلا.[366] ولقد عثر عليه في كتابات تعود إلى القرن التاسع الهجري.

363– فييت ، نفس المصدر، المجلد الخامس، اللوحة (9).
364– المصدر السابق، المجلد السادس، اللوحة (38).
365– كروزيل، نفس المصدر، المجلد الثاني، ص 293. شكل (22). أنظر أيضا ، A.Lane, Farly Islamid Pottery, London, 1947. P.8.
وكذلك، كونيل، نفس المصدر، ص 9.
366– قرومان، الفنون الشرقية، المجلد الثاني 189–90.





وأما بالنسبة للكتابات 2، 3، 4، 5، 6، فنلاحظ ان الشركات التي تمتد أسفل الألف القائم. إلى الجهة اليسرى. أضحى مظهرا لحرف الألف، في العديد من الكتابات الكوفية بالشمال الإفريقي.

ويعود تاريخ الأمثلة، التي تتميز بها الظاهرة إلى القرن الثالث، الرابع الهجريين – التاسع، العاشر مسيحيين.[367] وباستثناء الكتابة رقم (3) نلاحظ التماثل الكبير بين كتابات الجبل، وتنفرد الكتابة رقم (10) بظهور شكل يشبه فم الثعبان عند كتابة الحرفين المذكورين. وعند مقارنتها ببعض الكتابات التي عثر عليها بمصر، فهذا الذيل يبدو اقل تعقيدا إبان الحقبة الفاطمية[368] وأما فيما يتعلق بالحرف (لـــــا ـــــ) فإننا نشهد على إنهاء كتابته بشكل قريب من الشكل الثلث، يتجه يمينا ويسارا عند طرفيه (أنظر شكل، 209، 212، 215). وهذا الشكل يبدو انه من مميزات الخط الكوفي في شمال أفريقيا، الذي يعود ظهوره إلى القرن الثالث الهجري.[369]

وهذه الظاهرة تبدو أكثر حضورا في الخط الكوفي البسيط.[370] وإذا ما قارنا ما وجد من كتابات في جبل نفوسة مع مثيلاتها، التي عثر عليها بأنحاء ليبيا، وكذلك القيروان وجدناها أقل قيمة من الناحية الفنية.[371] ولكن هذا الأمر لا يؤثر على قيمتها التاريخية والأثرية.

367– عايدة عريـــف، نفس المصدر، (مجموعة الألف ، لوحة رقم (1)، أنظر ، بوينسوت، نفس المصر، المجلد الثاني، اللوحتان، 52، 53.
368– عايـــدة عريف، نفس المصـــدر، ص 41، 42. وقارن، كونيل، الكتابات الإسلامية، ص 18. أنظر أيضا فلوري، نماذج كتابية، ص 61.
369– عايدة عريف، نفس المصدر، (مجموعة الكاف والدال) ص 17، 56. أنظر أيضا القلقشندي، نفس المصدر، ص 101.
370– عايدة عريف، نفس المصدر، ص 62.
371– ليبيـــا القديمة (مجلـــة) المجلد الخامـــس، 1968، اللوحات. LXXXV،

وربما يعود اثر هذا الفارق إلى العوامل الاجتماعية والتاريخية والدينية. وعلى الرغم من هذا القول، فكتابات جبل نفوسة تمثل مستوى عاليا يتعلق وأسلوب الخط الكوفي البسيط.

ولقد رأينا منطقة الجبل باستعمالها للخط الكوفي مع تأثره بالطابع المحلي بقدر ما تشترك مع بقية المناطق الإسلامية في القرون الأولى للإسلام، فهي تمثل وجها من أوجه الطابع الإسلامي في الفن.[372] وهذا مما يبرز مظهرا آخر للتقارب ووحدة الرؤية لمعتنقي الإسلام، فضلا عن العقيدة، التي تعد اجل مظاهر هذه الوحدة. ويظل الخط الكوفي أهم العناصر في الوحدة الزخرفية.[373]

وعلى الرغم من أعمال الترميم، والإهمال الذي تعرضت له المنطقة لفترة طويلة من الزمن، فالكتابات التي عثر عليها بجبل نفوسة مثلت قيمة متميزة. ولقد أظهرت ان الفنان المسلم بالجبل – كما هو في كثير من البقاع الإسلامية – قد أبدى مهارة مرموقة في تجاوز مهمة الكتابة ككتابة، ليجعل منها جزئية في الوحدات الزخرفية. فالكتابات الكوفية بطبيعتها تتلاءم ومتطلبات الفنان. فانبساط وعمودية حروفها، بالإضافة إلى تقبل الزيادات في أطراف حروفها كان عونا للفنان على تكييفها والشكل المعماري والزخرفي. ويبدو ان هذه الميزة لم تكن حلا كاملا. فالفنان أصبح يواجه مشكلة الفراغ الذي يتكون من استعمال الحروف التي لا تقبل الشرطات الطويلة

LXXXIV أنظر أيضا، س زابس، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، تونس، 1968.، ص 50، الأشكال، 51، 52،55.

372– أنظـــر T. Burchhart, Fine arts in Islamic Civilisation, Ma-laysia, 1977, p. 17.

373– أنظر، T.W.Arnold, Painting in Islam, Oxford, 1928. p 2





مثل الألف واللام. ولهذا كان الاتكاء على الزخرفة طورا من أطوار المنعطفات المميزة قي تطور الخط الكوفي. وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الكتابة حتى القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي، ملتزمة بأسلوب الخط الكوفي البسيط. وهذا ما شاهدناه من خلال الأمثلة التي عثر عليها بالجبل وغيره من المواقع.

ولقد حدثت النقلة المتميزة في أسلوب الخط الكوفي البسيط، في المنتصف الأخير من القرن الرابع الهجري. ولقد دلت الأمثلة العائدة إلى هذا التاريخ على استخدام الفنان المسلم الكتابة كعنصر زخرفي أكثر من استخدامها لغرض آخر. ولهذا أصبحنا نرى هذا الإبداع للأشكال الجديدة التي ميزت الخط الكوفي وصبغته بصبغة التطور. وعلى الرغم من هذا التحول فلقد رأينا الكتابة بجبل نفوسة – كما في غيرها من المناطق الإسلامية – محتفظة بأهم مكونات الخط الكوفي عبر مراحل التطور بأجمعها.

وبالنظر إلى الكتابات، التي عثر عليها في منطقة الجبل الغربي، لا نجد من الأمثلة ما يوضح لنا هذه الطفرات التي صاحبت تطور الخط الكوفي، إلا بالقدر الضئيل. وربما ستشكل الحفريات في المستقبل إلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع، على الرغم من معرفتنا بان سقوط الدولة الرستمية في أواخر القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي، قد فرض على الجبل ان يعيش في عزلة لوقت ليس بالقصير.

وأما ما يتعلق بالتاريخ في كتابات جبل نفوسة، فقد رأينا غياب هذا الجانب المهم. ولم يعثر إلا على كتابة واحدة مؤرخة (أنظر شكل 220). ولكن بمقارنة هذه الكتابات بمثيلاتها في كل من ليبيا

ومصر والقيروان وغيرها، توفر لدينا شيئا من الاطمئنان بإرجاعها إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين – التاسع والعاشر مسيحيين. وهذا الرأي ينسجم مع الأدلة المعمارية والزخرفية، التي زودتنا بها المساجد في كل من شروس، ابناين وتندميرة.

ولقد أشرنا – فيما سبق – إلى تأثير القيروان في مجال الزخرفة على جبل نفوسة.[374] ويبدو ان هذا التأثير قد شمل موضوع الكتابة. وربما نستطيع القول بان الكتابات الأثرية قد سبقت ورافقت انهيار الدولة الرستمية في القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. وربما تقودنا هذه النظرة إلى فرضية ان بعض الفنانين القاطنين بمدينة تاهرت، قد وجدوا طريقه إلى الجبل. وساهموا بشكل أو بآخر في إثراء الجانب الفني، بجبل نفوسة. ومما يدعم هذه الفرضية ان جبل نفوسة – وفقا للمصادر التاريخية – بعد أقول نجم الرستميين، كان أكثر المواقع حصانة بالنسبة للأباضيين. ولا يعني هذا – على أية حال – إلغاء دور أهل الجبل في هذا المجال.

374– أنظر أعلاه، الفصل الرابع، ص 112.



# الفصل السابع

# الخاتمة

## الفصل السابع

## "الخاتمة"

لقد أصبح واضحا من خلال المجالات التي تطرق البحث، ان منطقة جبل نفوسة تحتوي على كثير من المواقع الإسلامية الأثرية، التي يعود تاريخها إلى قرون مبكرة من التاريخ الإسلامي. ورغم بقائها في زاوية النسيان والإهمال لفترة زمنية طويلة، احتفظت لنا بمادة شيقة في فضاءات العمارة والزخرفة والكتابة الأثرية. وكانت هذه دلالات كافية لتسليط بعض الضوء، على ما لهذه المنطقة من ماض متفاعل مع حركة التاريخ والعقيدة والحضارة. ويؤمل ان تجتذب هذه المواقع الأثرية إليها ذات طلاب المعرفة، وصولا إلى دراسات أكثر تعميقا وتفصيلا في حقل الفنون والآثار الإسلامية. وربما تكون هذه الخطوة، إذا قدر لها ان تكون، التزاما بأهمية التراث، الذي ولسوء الحظ يتعرض للتصدع والدمار والسطو.

ويجدر القول ان تاريخ هذه المنطقة قد شابه شيء من الغموض وغياب التفصيلات، فيما يخص منعطفاته المتعددة. وعلى الرغم من حقيقة هذا الوصف، فوجود قدر ضئيل من المصادر الأباضية وغيرها، إضافة إلى العمل الميداني في حقل الفنون والآثار الإسلامية، أمكن تأسيس فكرة تاريخية عامة لمنطقة الجبل الغربي. وربما يكون هذا القول أكثر موضوعية، فيما يتعلق والقرون الأولى للإسلام. فمحاولة وضع الخطوط العريضة الخاصة بالتسلسل الزمني لحكام الجبل، وأولئك الذين تولوا إدارة الأمور في مناطقهم الصغيرة، زودتنا بفهم أفضل لمجريات الأحداث والتاريخ. كما يسرت وساهمت في إلقاء مزيد من

الضوء على دراستنا لبعض المعالم الإسلامية بمنطقة الجبل .

ولقد أصبحنا الآن نملك فكرة أكثر رصانة عن خلفية قرى جبل نفوسة خاصة في القرون الإسلامية الأولى. فلقد تبين لنا ان المسجد وقصر التخزين يحتلان في الأغلب الأعم مركز القرية. وحولهما تتموضع المباني المهمة، مثل مبنى المحكمة والأسواق ثم الدور السكنية، التي تلتحم جدرانها لتشكل تلك الدروب والأزقة الملتوية الظليلة. وتكون هذه الجدران الواقعة على مشارف القرية ما يقترب من شكل الأسوار المستخدمة للأغراض الدفاعية. وتظل قرية ويغو استثناءا لهذه الظاهرة. ولكنها تميزت بدورها المحفورة في باطن الأرض، وصولا إلى التغلب على شدة الحرارة وشدة البرودة أيضا. ومن الطبيعي ان يذكرنا تخطيط القرية في جبل نفوسة بتخطيط المدن الإسلامية الأولى. ولكن مكونات المدن الصحراوية حاضرة بجلاء في قرى جبل نفوسة.

وتبين لنا أيضا ان المسجد في قرى الجبل، والذي شكل مركز الاهتمام، من حيث موقعه بالنسبة لتخطيط القرية، كان يشكل بؤرة الإلهام للمجتمع الأباضي. فالمسجد في القرية الأباضية – كما هو الحال بالنسبة إلى المساجد الأولى في الإسلام – لم يكن مجرد مكان للعبادة. بل كان مكانا لتبادل الآراء وصنع القرارت المصيرية. ولذا كان حكام الجبل ومن دونهم يولون جل اهتمامهم بالمسجد، الأمر الذي أدى إلى تلازم أسمائهم بتلك المساجد، حتى وقتنا الراهن.

وفوق كل ذلك تبين لنا ان المسجد كان المكان الرئيسي للتعليم. ولقد كانت المساجد في قرى جبل نفوسة الأمكنة التي تعلم فيها العلماء وعلموا فيها فيما بعد. ولقد رأينا ان من بين أولئك





العلماء من تولى حكم الجبل، ومنهم من تولى إدارة الأمور في المنطقة التي ينتمي إليها. ومع قيام المسجد بدور التعليم، سمعنا عن ورأينا بقايا آثار مكتبة جبل نفوسة، التي ذاع صيتها ذات زمن.

ولقد أصبح الأمر أكثر وضوحا حول عدم حظوة المسجد بالأولوية في مجال العمارة، مقارنة ببعض المباني الأخرى، على الرغم من دوره المتميز في الحياة السياسية والتعليمية والاجتماعية. ولا يفند هذه الملاحظة وجود بعض المساجد، التي حلفت بأوجه من الاهتمام المعماري والفني. فهذه المساجد، على الرغم من أهميتها الأثرية لم تتمكن من تجاوز مكونات المسجد الأباضي. وربما يكون هذا – كما اشرنا – عائدا إلى نظرة الأباضيين المحافظة، التي شملت مجالي الفن والعمارة. ولذا وجب ان تقوم هذه المساجد وبعض المباني الأخرى، إضافة إلى منازل ويغو الرائعة، على إنها طفرة في خضم ما كان سائدا من تفكير عقدي، بمنطقة الجبل، في القرون الإسلامية الأولى.

وعلى الرغم من القدر القليل للزخارف، التي عثر عليها في منطقة جبل نفوسة الشاسعة، فهي قد زودتنا بمادة كافية لتسليط الضوء على جوانب مجهولة في تاريخ وماضي هذه المنطقة. فلقد تبين من خلال المناقشة، تأثرها بما كان سائدا في شرق العالم الإسلامي، وخاصة في مدينة سامراء بالعراق. ورأينا تأثيرات القيروان وسدراته. إضافة إلى ان العناصر الزخرفية المحلية بادية الحضور. ولقد كانت الأخيرة، بشكل أو آخر، ذات صلة بالفن الهيلينستي والروماني.

ولقد ساعدت الشواهد المقارنة في هذا المجال، على تصنيف تاريخي لزخارف جبل نفوسة. الأمر الذي أسس المعيار والمثل، ربما يكون مرجعية لما يكتشف في هذا المجال مستقبلا. ولا يفوتنا ان نشير

إلى ان هذه النتيجة قد ساهمت بقدر كبير في تحديد تاريخ تقريبي للمباني ذات العلاقة.

ونحن إذ نعدد بعض الملامح التي أثارها هذا البحث، وجب ان نذكر ان العثور على كتابات عبرية بقرية شروس، يمثل الدليل الأثري الوحيد حتى الآن الذي يدعم المعلومات التاريخية القائلة بوجود طائفة من اليهود في جبل نفوسة. وبالإضافة إلى ذلك، يقف هذا الدليل شاهدا على استمرار قرية شروس على قيد الحياة والتفاعل، حتى القرن التاسع الهجري – الخامس عشر مسيحي، على الأقل. وهذا ما يدحض ما اعتقده بعض الباحثين من ان قرية شروس قد دمرت وهجرت في القرن السادس الهجري – الثالث عشر مسيحي. وربما تتمخض الحفريات الأثرية، في هذا الموقع، عن مزيد من الأدلة حيال هذا الأمر.

ومن المعروف ان المصادر التاريخية بشكل عام قد غاب عن سردها ما كان لهذه المنطقة من تاريخ وأحداث. وهذه اشاكالية تتعلق بكتابة التاريخ أكثر منها بمنطقة الجبل وغياب ذكرها في المصادر التاريخية.و تبقى حقيقة عزلة الجبل مظهرا تاريخيا لا جدال فيها. وذلك عائد إلى العوامل السياسية، التي أصبح التمذهب الديني جزئية من توجيهاتها وأهدافها. ويتضح هذا الأمر من خلال العهود المتعاقبة، التي اتسمت بحكم الأمويين والعباسيين الاغالبة والفاطميين. ويبدو من خلال هذه الدراسة ان هذه العزلة كانت محصورة بشكل كبير في الحراك السياسي. وأما ظاهرة الانفتاح في المجالين الثقافي والفني بين جبل نفوسة وما يحيط به من المناطق، أضحت واضحة المعالم. فلقد امتدت تأثيرات هذا الانفتاح إلى بعض مناطق في القارة الإفريقية. ولقد كانت مساهمة تجارة القوافل والدعوة إلى اعتناق المذهب





الأباضي الأثر المهم والفعال .

وصفحات من الماضي الذي لم تتطرق إليه المصادر، لازلت معاول السنين، وبالإضافة إلى عدم وعي الإنسان، تصدع جنباتها رويدا رويدا. ولازالت الكثير من الأجوبة عن الأسئلة المطروحة حد ذاته. وليست أيضا دعاية لمل يترتب عليها ــ كما يقال ــ دخلا من الموارد السياحية، بل ان الأمر أكثر أهمية وأعمق رؤية. ففقه الماضي بجوانبه المتعددة ذو صلة وثيقة برقي الإنسان في حد ذاته. وذلك لان مقصد هذا الفقه الوصول إلى قمة العبرة ولاعتبار .

ولقد فات الكثير من الباحثين في هذا المجال على مختلف المستويات، وفي كثير من البلاد، هذا المقصد. وهذا ربما يكون من أهم العوامل، التي أدت إلى الفهم الخاطئ بان الاهتمام بهذا العلم ترف وابتعاد عن المعاصرة، وفي أحسن الأحوال مورد وتابع للسياحة، وفقاً للمعطيات ومفهوم السياحة في الثقافة المترجمة .

والحقيقة التي نغفل عنها، في كثير من الأحيان، ان في كتاب الله العزيز إشارات كثيرة إلى هذا العلم منطلقا واستيعابا وغاية .ولكن المرء عندما يخوض في تداعيات المعاني الراشدة، ويتجول بهذه المنطقة، وغيرها من المواقع الأثرية، لا يملك إلا ان يتساءل: متى يتبين الناس قيمة ما يملكون من حولهم وتحت أقدامهم. ؟!

وما التوفيق إلا بالله

# (بعض الآثار الإسلامية في جبل نفوسة)

## – ملحق –

لقد أثارت بعض النقاط التي طرحت أثناء الامتحان لنيل درجة الدكتوراه العديد من الأسئلة مقاصد هامة من الجوانب، التي تطرقت إليها هذه الرسالة. ولقد رأيت كتابة هذا الملحق تعميما للفائدة. وإثارة لرغبة الباحثين في إثراء هذا المجال بالبحث والدراسة.

ولعل المطلع على هذا البحث سيتساءل عن التاريخ المحتمل والتطورات التي مرت بها أبنية قصور التخزين، التي وجدت في جبل نفوسة. والحقيقة ان قصور التخزين تعتبر من أهم ما يلفت النظر في المعالم الأثرية القائمة بهذه المنطقة. ولقد تمت الإشارة إلى بعضها في هذه الرسالة استكمالا لصورة القرية الأباضية، وعلى سبيل المثال، عند الحديث عن نالوت، كاباو، فريسطه، وشروس.[375] وجدير بنا ان نذكر ان أمثلة لهذه المباني قد وجدت في تونس والمغرب.[376] وعلى الرغم من ان وظيفتها متماثلة مع وظيفة ما وجد من قصور في جبل نفوسة، إلا ان تصميمها المعماري يختلف عنها قليلا. ويظهر هذا الاختلاف واضحا في وضعية الحجرات.[377]

375– أنظر أعلاه، ص –36–7، 53، 77.

376– أنظر H.T.Norris, Cave habitation and granaries in Tripoli Tania and Tunisia. 1953 p. 84.

377– نفس المصدر، ص 84.





وبما ان قصر التخزين بنالوت قد تعرض لكثير من الترميمات وفالمحتمل إنها قد تسببت في ضياع الأدلة الأثرية، التي من الممكن ان تساعدنا في تحديد أكثر دقة لنشأة هذا النوع من المباني. وعلى الرغم من ان المصادر التاريخية تؤكد على وجود قصور التخزين في القرن العاشر الهجري – السادس عشر مسيحي.[378] فقصور التخزين التي وجدت بمنطقة قرب تطاوين بتونس، يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجري – الثاني عشر مسيحي.[379]

ويبدو ان بعض قصور التخزين في جبل نفوسة مثل قصري فرسطه وشروس، كانتا جزءا من التخطيط الأصلي لهاتين القريتين.[380] وهذا الأمر يجعلنا منقادين إلى مناقشة أصل قصور التخزين حصرا في جبل نفوسة، مع الأخذ في الاعتبار استيعاب الجوانب الاجتماعية والسياسية لهذه المنطقة في القرون الإسلامية الأولى.

وفوق كل هذا فثمة ما يدعو إلى الظن بان أصولها تعود إلى فترة ما قبل الإسلام. ذلك ان فكرتها تتناقض وما درج عليه العرب من عادات في شمال أفريقيا.[381] وعلى الرغم من هذا فمن الخطأ ان نميل إلى هذا القول في غياب الدليل الأثري.

و يجدر القول أيضا ان الإشارة إلى قصور التخزين في هذه الرسالة، قد أتت لاستكمال تصورنا عن التخطيط العام للقرية الأباضية.[382] ولكنها في ذات الوقت قد فتحت مجالا لأولئك الذين

378– أنظر أعلاه، ص 37–8.

379– نوريس، نفس المصدر ، ص 84.

380– أنظر أعلاه، ص 53، 77.

381– نوريس، نفس المصدر، ص 84–5.

382– أنظر أعلاه، ص 49.

يرغبون التعمق في دراسة قصور التخزين في جبل نفوسة، دراسة علمية وموضوعية.

وأما بالنسبة للزخارف التي عثر عليها في جبل نفوسة، فلقد نوقشت في إطار علاقتها بزخارف وجدت بالقيروان وسدراته وسامراء.[383] بالإضافة إلى ذلك فبعض العناصر الزخرفية، التي وجدت بجبل نفوسة تذكرنا بمثيلاتها على التحف المعدنية والحلي والأعمال الفنية على الخشب، وكذلك على القطع الفخارية في القرون الإسلامية المبكرة وخصوصا في العراق.

وإذا رجعنا إلى موضوع الوحدة الزخرفية بمسجد تنومايت، التي تتكون من أربعة دوائر متداخلة.[384] فنجد ان الدائرة الداخلية يملؤها عنصر لزهرة مفصصة، بينما تخلو الدائرتان اللتان تليانها من الرسوم. ونرى ان الدائرة الخارجية قد ملئت بالشرطات الصغيرة المائلة. وهذه الوحدة الزخرفية تعد إلى حد كبير متطابقة مع ما وجد على قطعة خزفية بطر سوس، تعود إلى القرن الثاني الهجري – الثامن مسيحي.[385] وإضافة إلى ذلك فعنصر النجمة السداسية المحاطة بدائرة، الذي وجد على جانبي المحراب، في مسجد ابناين، يشبه إلى حد كبير، ما وجد على قطعة خشبية، محفوظة بمتحف المروبوليتان بنيويورك.[386]

383– أنظر أعلاه، ص 68–9،71.

384– أنظر أعلاه، ص 2، (وشكل، 103).

385– أنظر Florence E.Day. The Islamic finds at Tarsus , Asia, 1941, pp 134–6, fig. 3

386– أنظر، زكي محمد حسن، أطلس الفنون الإسلامية، القاهرة، 1956، ص 34. وشكل 276.





ونرى أيضا هذه الوحدة الزخرفية على إحدى القطع الخشبية التي تشكل المنبر الخشبي لمسجد القيروان. وهذا المنبر – من المعروف – انه صنع في العراق في القرنين الثاني – الثالث الهجري – الثامن – التاسع مسيحي.[387]

ولذا فتأثير الفن الإسلامي في الشرق يبدو جليا في زخارف الجبل. وهذا التأثير لم يكن محصورا في هذا الجانب، بل تعداه إلى الجانب الفقهي والتجاري وفقا لليعقوبي. فهو في كتابه، كتاب البلدان، أثناء حديثه عن زويلة، حيث ذكر انه إلى الجنوب من ودان تقع زويلة، وأهلها كلهم مسلمون أباضيون، والجلود المعروفة بالزويلية من أهل خرسان والبصرة والكوفة.

ويبدو ان تلك الطوائف من الأباضيين التجار، الذين قدموا من الشرق، ووجدوا ملاذا بين الأباضيين في مناطق شمال أفريقيا. وهذا ما يشهد عليه وجود مجموعات من الكوفة والبصرة في مناطق أخرى مثل منطقة سجلماسة.[388]

وهذه الشذرات تزيد من صحة الاحتمالات المقترحة لتواريخ مساجد الجبل المذكورة أعلاه، خصوصا تلك التي وجدت بها الأعمال الفنية الزخرفية.

387– نفس المصدر، ص 35، وشكل 282.

388– قارن، Corpus of early Arabic sources for west African history, N.Levtzion and J.F.P. Hopkins, Caambridg, 1980. pp. 22, 378.